الواعظ الحثيث

بالآية والحديث

تأليف الدكتور

محمد بن أحمد بن الطالب عيسى الشنقيطي

عنيت بالطبع

المكتبة الأزهرية للتراث

رقم الايداع : ٩٨/٢٥٨٠
الترقيم الدولى : .I.S.B.N
977-5165-78-4

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله نحمدة ونستعينه ، ونعوذ باللهمن شرور أنفسنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدى الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى ، نسأل الله ربنا أن يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ، ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه ، فإنما نحن به وله فنسأله تعالى توفيقنا لسنة نبينا وشفيعنا محمد ﷺ ... أما بعد .

فإن الله تعالى قال فى كتابه العزيز موضحاً الحكمة من خلق الإنس والجن :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) ﴾[١] .

وقال جل وعلا :

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) ﴾[٢] .

ويقول ﷺ فى الحديث المتفق عليه من رواية أمير المؤمنين أبى حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى ..) الحديث [٣] .

(١) الذاريات آية ٥٦ ، ٥٧ . (٢) البينة آية ٥ .

(٣) متفق عليه انظر صحيح البخارى مع الفتح ٩/١ الحديث (١) .

إذا تبين أن الله جل جلاله ما خلق عباده إلا لعبادته بإخلاص فإننى أيها العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن أحمد الشنقيطى رأيت أن كثيراً من المسلمين أعرضوا عن عبادة الله تعالى واشتغلوا بطلب الأرزاق وانهمكوا فى العب من الشهوات واتباع الهوى والملذات ، وما فسرت ذلك إلا بانتشار الجهل وطغيان الغفلة وقساوة القلوب .

وقد جاءنا عن نبينا وشفيعنا محمد ﷺ أنه قال : « من دل على خير فله مثل أجر فاعله » (1).

وقد رأيت أن كثيراً من أهل العلم وُفقوا للدلالة على الخير بما عرضوا على الأمة من مؤلفات مباركة نافعة تيسر فهم الكتاب والسنة على المعلمين والمتعلمين فوقع فى نفسى مع غبطتهم على ما فازوا به من أجر الدلالة على الخير لانتشار علمهم ومؤلفاتهم بين الخاصة والعامة ، استيائى لحال كثير ممن يتسمى باسم الإسلام وهو لا يتعلم ولا يجلس فى مجلس علم حتى انتصر عليه الشيطان ونصب على هامته تاجا من المذلة والاستكانة لعبودية الشيطان والإعراض عن ماجاءه من وحى الرحمن ، فأشفقت على هذه الأغلبية وعلى نفسى معهم فاعملت الفكر فى سبيل أدخل به فى زمرة الدالين على الخير وأنفع به الهاربين منه وأستفيد منه استفادة ذاتية علمية إذ قالوا: (علم علمك ، وتعلم علم غيرك ، فإذا أنت قد علمت ما جهلت وحفظت ما علمت) (2).

وما سأل النبى ﷺ ربه الزيادة إلا من العلم :

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ (3).

---

(1) صحيح مسلم كتاب الإمارة .

(2) البيان والتبين للجاحظ ١/٢٧٤ .

(3) سورة طه (١١٤).

وإن التعلم أو التعليم إذا لم ترافقهما الخشية والإخلاص فلا ينتظر المعلم والمتعلم إلا الإثم والحسرة . عياذا بالله تعالى. لذا اتجهت إلى ما يعين على تحصيل الإخلاص والخشية وهو النظر فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ إذ تعلمهما وتفهمهما أجره حاضر وثمرتهما باقية والناس إنما هم مخاطبون بالوحى لذا كان حث النبى ﷺ التمسك بالكتاب والسنة ، وكان قول عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما لجابر بن زيد : (يا جابر إنك من فقهاء البصرة وإنك تستفتى فلا تفتين إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية، فإنك إن فعلت ذلك ، وإلا فقد هلكت وأهلكت) [1] ولكن فى الحقيقة اتهمت نفسى بالجهل والقصور وقلة الإخلاص فانكففت فترة عن هذه الوجهة حتى غلبنى الاهتمام بهذا الأمر والسعى فى البحث عن موضوع يناسب حالى وينتفع به إن شاء الله تعالى أجيالى وأنجالى ويكون أيضا عند الله تعالى أنجالى .

فاستسهلت البحث والتفكير وتوصلت إلى أنه لا يعدو أن ندل على خير أو نقول لمسلم : اتق الله ، وقد قال زيد بن على رضي الله عنه : (لا أحد فوق أن يوصى بتقوى الله ، ولا دون أن يوصى بتقوى الله) [2].

وقد جاء فى حديث الطبرانى : (ما تصدق الناس بصدقة مثل علم ينشر) [3].

فالأمر إما وصية بتقوى الله أو علم ينشر وكل على قدر طاقته وجهده ، وقد علمت أن طاقتى وجهدى لا يطمعانى فى لحوق أولئك الصالحين الموفقين فى التأليف والتصنيف الذين فسروا القرآن وبينوا

---

(١) الفقيه والمتفقه ٢/١٦٣ .

(٢) البيان والتبين ١/٣١٠.

(٣) الطبرانى فى الكبير ٧/٢٣١ رقم (٦٩٦٤) ورواه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله بلفظ : (ماتصدق رجل بصدقة أفضل من علم ينشره) ١/٤٩٧ .

الأحكام وجمعوا السنة وشرحوها وأحسنوا الاختيار فى الأصلين فأصابوا فى الاختيار والتمييز ، ولكنى اهتديت بتوفيق الله تعالى إلى تتبع نصوص الكتاب والسنة التى وردت فيها لفظة (وعظ) وما تصرف منها حتى اجتمع عندى من الآيات الكريمات أربع وعشرون آية ومن الأحاديث النبوية الشريفة مئة وأحد عشر حديثا بالمكرر من الصحاح والسنن ومسند الإمام أحمد . فقرأت هذه النصوص قراءة متأنية وتفهمتها بدون توسع وعمدت إلى تصنيفها حسب تقارب معانيها ومقاصدها فألفيت ذلك يرجى نفعه إن وضع الله تعالى فيها لبركة وأنزل له القبول حيث إن هذه نصوص من الوحى الكريم تعالج أمور الإيمان والعمل والأخلاق والسلوك والآداب والأحكام علاوة على ما تضمنته من مواقف تعلم الإنسان وتنمى فيه الإيمان وتعظه بما فيها من عبر تدل على قدرة الله ولطفه وقوته ، وعدله وكرمه وشدة بطشه ، وجوده وإحسانه ، وتفضله وامتنانه ، زد على ذلك ما فيها من أخبار الأنبياء وأممهم وأخبار الصالحين وسيرهم وعاقبة المكذبين وتدميرهم وتطهير الأرض من عنادهم ومكرهم .

وإن القلوب التى أظلمتها الغفلة والعقول التى ران عليها الجهل لتستفيد من ذلك إذا بسط لها وعرض عرضا حسنا كما أمر الله تعالى فى كتابه بقوله :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ﴾ (١) .

وقد يسر الله بتوفيقه بعد جمع هذه النصوص وتصنيفها شرحها شرحا موجزا يبرز العناصر والأفكار ويعين على التفهم والاستذكار

(١) سورة النحل آية (١٢٥) .

والاتعاظ والاعتبار والعمل لهذه الدار وتلك الدار. وقد سميته بعد أن أتممته: الواعظ الحثيث بالآية والحديث. المؤلف / محمد بن أحمد العزيزية . مكة المكرمة حرسها الله تعالى ١٤١٦/٨/١٢هـ.

وإليك محتوياته :

جاء الكتاب بعد المقدمة فى تمهيد وعناوين رئيسة يأتى سردها:
أما التمهيد فيشتمل على الموضوعات الآتية :

تعريف الوعظ لغة واصطلاحا :

عرض مواقف واعظة لرجال ونساء :

١) فاصدع بما تؤمر . ٢) امرأة تعرف زوجها ولا تكفر العشير
٣) هاجرأم إسماعيل «عليهما السلام» ٤) أول الأمراء على مكة فى الإسلام.
٥) مواقف محمودة . ٦) ذات النطاقين .
٧) واعظ أهل مكة . ٨) محدث واعظ بجوار الحرم .
٩) فى عصرنا الحاضر. ١٠) أهمية مجال الوعظ.

أما موضوعات الكتاب فهى كالآتى :

١- الأمر بالموعظة الحسنة وأن القرآن هدى وموعظة للمتقين .
٢- الوعظ فى الحياء وأنه شعبة من شعب الإيمان وخلق أهل الإسلام والإيمان والإحسان .
٣- الوعظ فى الأمانات والحكم بالعدل بين الناس .
٤- تخول العالم أصحابه بالموعظة .
٥- الموعظة بالاحتياط فى الرواية وتغليظ الكذب .

٦- الوعظ بالعلم وبيان الأحكام الشرعية .

٧- الوعظ فى المواسم والأعياد .

٨- الوعظ فى يوم الجمعة.

٩- الوعظ للنساء وتعليمهن.

١٠- الوعظ للرجال فى عشرة النساء .

١١- الوعظ فى الفتن والتخويف من الوقوع فيها.

١٢- وعظ أهل المعاصى والستر على غير المجاهر بها .

١٣- وعظ الخصماء قبل إصدار الحكم .

١٤- وعظ الله تعالى للصالحين فى أبنائهم الفاسدين.

١٥- وعظ الصالحين لأبنائهم الفاسدين.

١٦- الوعظ فى أهل الكتاب وبيان عدل الإسلام.

١٧- العاقبة الحسنة لمن يتقبل الموعظة.

١٨- العاقبة السيئة لمن أعرض عن الموعظة .

١٩- الوعظ بأهوال الآخرة ووصية الناس بالتمسك بالكتاب والسنة.

٢٠- الخاتمة : الوعظ فى المسجد الحرام فى هذه الأيام.

تمهيـــــد

الوعظ لغة واصطلاحا

لغتنا العربية هى لغة القرآن الكريم ولغة نبينا محمد ﷺ وهى التى يجب على طالب العلم أن يتعلمها ويفهم دلائل ألفاظها ليتعلم أحكام الله تعالى من لغة الوحى كما أن على الواعظ أن يعظ الناس بها إذ لها خصائص بليغة فى التأثير على القلوب والنفوس إذا استعملها فصيح صادق اللهجة يحدوه الوجل والإشفاق على نفسه وسامعيه لذا كان على المؤلفين الغوص فى معاجمها لاصطياد المعانى من ألفاظها وتوضيح مقاصدهم من خلال شرح دلائلها. وإن الوعظ وإن كان معروفا فإن مادته وما تصرف منها غير معلومة لكل طلاب العلم علاوة على أن قواميس اللغة غير ميسورة لكل الناس وتختلف فى تبويبها وترتيبها ، والمعانى كما قلنا متوقفة على معرفة دلالة اللفظ العربى وإطلاقاته عند أهله.

قال فى جمهرة اللغة : (ظ ع و) : (الوعظ معروف وعظته أعظه وعظاً ، فأنا واعظ ووعاظ . والعظة من الوعظ)[1] .

وقال فى المخصص : (الوعظ والعظة والموعظة تذكرتك الإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب . وعظته وعظاً فاتعظ)[2] وفى المصباح المنير : (وعظه يعظه وعظاً وعظة : أمره بالطاعة ووصاه بها

---

(١) المصدر المذكور لابن دريد أبى بكر محمد بن الحسن الأزدى البصرى المتوفى (٣٢١هـ) دار صادر ص ١٢١ .

(٢) المصدر المذكور لأبى الحسن على بن اسماعيل النحوى اللغوى الأندلسى المعروف بابن سيده المتوفى (٤٥٨هـ) بيروت المجلد ٤/٩٥ .

وعليه قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ﴾[1] .

أي أوصيكم وآمركم ، فاتعظ أي ائتمر وكف نفسه ، والاسم : الموعظة ، وهو واعظ والجمع وعاظ[2] .

وفي مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني أن (الوعظ : زجر مقترن بتخويف . قال الخليل: هوالتذكير بالخير فيما يرق له القلب ، والعظة والموعظة الاسم)[3] ، والموعظة : مصدر من قول القائل : (وعظت الرجل أعظه وعظا وموعظة إذا ذكرته) .

وفي الاصطلاح نكتفي بقول صاحب أضواء البيان رحمه الله قال : تنبيه :

(فإن قيل : يكثر في القرآن إطلاق الوعظ على الأوامر والنواهي ، كقوله هنا : ﴿ يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ مع أنه ما ذكر إلا الأمر والنهي في قوله :

﴿ إن الله يأمر بالعدل - إلى قوله - وينهى عن الفحشاء ﴾ الآية ، وكقوله في « سورة البقرة » بعد أن ذكر أحكام الطلاق والرجعة :

﴿ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ .

وقوله : (في الطلاق) في نحو ذلك أيضاً :

﴿ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾

---

(١) سبأ آية (٤٦) .

(٢) المصدر المذكور المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي لأحمد بن محمد بن علي المعرى الفيومي المتوفى (٧٧٠هـ) دار الكتب العلمية ٨٣٢/٢ .

(٣) ص٨٧٦ ، ط دار القلم .

وقوله فى النهى عن مثل قذف عائشة :

﴿ يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ﴾ الآية

مع أن المعـــروف عند الناس: أن الوعظ يكون بالتـــرغـــيب والترهيب ونحو ذلك لا بالأمر والنهى [1] .

فالجواب : أن ضابط الوعظ : (هو الكلام الذى تلين له القلوب ، وأعظم ماتلين له قلوب العقلاء أوامر ربهم ونواهيه ؛ فإنهم إذا سمعوا الأمر خافوا من سخط الله فى عدم امتثاله ؛ وطمعوا فيما عند الله من الثواب فى امتثاله . وإذا سمعوا النهى خافوا من سخط الله فى عدم اجتنابه ، وطمعوا فيما عنده من الثواب فى اجتنابه ، فحداهم حادى الخوف والطمع إلى الامتثال ، فلانت قلوبهم للطاعة خوفاً وطمعاً) [2] .

(١) الطبرى ٢/١٨٠، ١٨١ .

(٢) أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن ٣/٣٤٩ ، ٣٥٠ والآيات المشار إليها فى هذاالنص هى من نصوص الوعظ فى هذا الكتاب ويأتى عزوها وتفسيرها إن شاء الله تعالى فى مواضعها .

مواقف واعظة *

الموقف الأول

قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ (١) .

إن النبي ﷺ بعثه الله تعالى بعد أن بلغ الرشد ودخل في سن الأربعين حيث اكتمال العقل والرجولة واستعمال مقتضيات المروءة من الأخلاق الحسنة كالصدق والأمانة والكرم والسخاء والمعاملات الطيبة التي يعلو بها ذكر الرجل ويرتفع صيته ويفوز بثقة الجميع . فلما نال رسول الله ﷺ ذلك كله وأكثر وأراد الله إكرامه وتكليفه بمهمة خاتم الرسل إنقاذاً للبشرية التي يسوسها الشيطان ويقودها إلى كل رذيلة في أبواب العقائد والأخلاق والمعاملات جاءه أمين الوحي بالنبوة والرسالة ، فـ ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ﴾ وآمن به من لا تحجبه خصال الكبر والحسد ممن كان يعرفه ويخالطه إذ هو كما قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه في وصفه ﷺ : (أجود الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ..) (٢) . فبالإيمان بالله تعالى والعلم بعظم المسؤولية وما يتوقف عليها من نجاة الخليقة ، وبهذه الصفات العظيمة قام ﷺ على الصفا ينادي في عشيرته الأقربين صادعا بين الحق والباطل والإيمان والكفر والتوحيد والشرك مظهراً شفقته على

---

* اخترناها من جوار بيت الله تعالى .

(١) الحجر آية (٩٤) .

(٢) جامع الترمذي أبواب المناقب ، باب ماجاء في صفة النبي ﷺ .

الناس حريصا على إيمانهم ودخولهم فى الإسلام فقال لهم :

(ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، إنى جئتكم بخيرالدنيا والآخرة)[1].

وناداهم قائلا : « أنا النذير والساعة الموعد)[2].

وفى لفظ لمسلم وأحمد : (فجعل ينادى : إنما أنا نذير ، وإنما مثلى ومثلكم كرجل رأى العدو فجعل يهتف : يا صباحاه)[3].

قال ابن عباس رضي الله عنهما : لما نزلت :

﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ، ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف : يا صباحاه .

فقالوا : من هذا ؟ فاجتمعوا إليه ، فقال : أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقى ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذبا ، قال : ﴿ فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ... ﴾[4].

إنه موقف له ما بعده وإن الرجال يتعلمون منه دروساً وعبرا ، وإن من ذلك أن الرجل إذا كان صحيح الإيمان قوى الإرادة والعزيمة لا مغمز فيه ولا عيب يشينه يستطيع أن يواجه أمة بكاملها ويصارحها بما هى عليه من الانحراف ويخوفها بسوء عاقبة حالها ويأخذ بيدها إلى سبيل النجاة ، وقادر بكل ثقة أن يخاصم ويجادل بالتى هى أحسن علية القوم ويسكتهم ويقيم عليهم الحجة ، وقادر بعلمه ورحمته وسعة صدره أن يجتذب فتيانهم ومواليهم ويأخذ فى تربيتهم وتنشئتهم على الإيمان

---

(١) من حديث على رضى الله عنه . انظر فتح البارى ٥٠٣/٨.

(٢) الفتح الربانى بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى للساعاتى .

(٣) صحيح مسلم باب (وأنذر عشيرتك الأقربين) والمسند ٦٠/٥ .

(٤) صحيح البخارى مع الفتح ٧٣٧/٨ .

والفضيلة على - رغم أنوف آبائهم وأسيادهم وإنه بتلك التربية والتنشئة الإيمانية لمتمكن أن يقود منهم جيشاً لا يهزم إلا وعاد للنزال والكر أقوى عزيمة وأشد شكيمة وأكثر إخلاصا وتضحية وبذلك يحول الأمم الكافرة الفاجرة إلى أمة واحدة مؤمنة صالحة مجاهدة . إن هذا وأكثر ما أثمره ذلك الموقف المبارك ، وإن الصحابة رضوان الله عليهم مع ما قاله أنس ابن مالك ﷺ من حالهم بعد نبيهم ﷺ (.. وما نفضنا أيدينا من دفنه ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا) [1] . قاموا بالمسئولية من بعده على أكمل وجه والدموع تسيل على خدودهم والحزن يعتصر قلوبهم ولكنهم تعلموا من صاحب الموقف السابق أن الحق لابد له من رجال يحملونه ويتحملون فى سبيله الأذى وقفوا رضوان الله عليهم مواقف مصيرية أنقذت الأمة من الهاوية والهلاك المحقق .

ولشهرة موقف الصديق ﷺ وكبار الصحابة ذوى السابقة فى الإسلام جلبنا مواقف واعظة لرجال ونساء مكيين ذلك أنه لولا لطف الله بهذه الأمة وكانت تلك المواقف المصيرية لأنهار الإسلام فى جوار الكعبة المشرفة وكانت قريش تقع فيما حذرها منه أول أمير على مكة من قبل النبى ﷺ إذ قال لهم بعد وصول خبر وفاة المصطفى ﷺ وبدرت له منهم بادرة : (يا قريش لا تكونوا آخر الناس دخولا فى هذا الأمر وأول الناس خروجا منه) .

---

(١) البزار بسند جيد انظر الفتح ١٤٩/٨ .

الموقف الثانى

زوجة تعلم مكانة زوجهـــا

تلكم هى أم المؤمنين خديجة بنت خويلد الأسدية صاحبة الحظ والعقل والفطنة إذ قالت للنبى ﷺ لما جاءها ترجف بوادره لما فجأه به جبريل عليه السلام من الوحى الأمر الذى جعله يقول لها : لقد خشيت على نفسى: (فقالت خديجة ﵂ كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق) مع الأمانة وصدق الحديث [(١)].

إن ثقته ﷺ بها كاملة لذا أطلعها على أمر فاجأه وخشى على نفسه منه وكانت محلا للثقة حيث بادرت بذكر ما يؤنسه واستبعدت له كل احتمالات السوء لما وصفته به من صفات محمودة حيث إن من كان مجبولا على هذه الأصول العظيمة من مكارم الأخلاق لا يبتليه الله تعالى بأسباب الخزى على سنته المعلومة عند العقلاء .

إن امرأة بهذه المكانة من العقل ومعرفة صفات زوجها الحميدة لجديرة بأن تكون قدوة لنساء العالمين فى المسارعة إلى الإيمان وطاعة الله تعالى واتباع هدى رسوله ﷺ ثم طاعة الزوج ومعرفة خصاله الحميدة لمساعدته على تنميتها والوقوف معه فى مواطن الشدة والحاجة.

إن إيمان أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ومواقفها الواعظة لبنات حواء أورثتها خيراً كثيراً إذ بشرت فى حياتها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب . وتملكت لحسن تبعلها وإخلاصها

---

(١) البخارى كتاب بدء الوحى الباب ٣/ الحديث ٣ فتح البارى ١/٢٣ وما بعدها .

لزوجها مجامع قلبه فأظهر لها المحبة والمودة فى حياتها وتبدى عليه الحزن لفراقها وحفظ لها ذلك بعد مماتها حتى إنه يذبح الذبيحة فيوزعها فى صواحبها ومعارفها ويفرح بسماع صوت من تحب ومن تود ولما غارت من ذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهى أحب نسائه إليه - دافع عن مكانة أم المؤمنين خديجة وأظهر من مزاياها ومواقفها ما أسكت به غيرة أم المؤمنين عائشة وجعلها بعد ذلك تحدث هذه الأمة بأخبار أم المؤمنين خديجة وما كان لها من أثر حسن مبارك فى مطلع البعثة المحمدية [1] . فهل أنتن يا نساء هذه الأمة بصدد التأسى بها ؟

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/١١ - ١٥ و٤٢ .

الموقف الثالث

موقف أول أمير فى الإسلام على مكة رضي الله عنه

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ ليلة قربه من مكة فى غزوة الفتح إن بمكة لأربعة نفر من قريش أربأ بهم عن الشرك وأرغب لهم فى الإسلام قيل ومن هم يارسول الله ؟

قال : عتاب بن أَسيد وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام وسهيل ابن عمرو[1].

من أخبار أُمير مكة رضي الله عنه عتاب بن أَسيد أبو عبد الرحمن ويقال: أبو محمد :

١) أسلم يوم الفتح .

٢) استعمله النبى ﷺ على أهل مكة لما سار إلى حنين واستمر وقيل إنما استعمله بعد أن رجع من الطائف.

٣) وكان عمره حين استعمل نيفا وعشرين سنة .

٤) قالوا : (وكان صالحاً فاضلا) .

٥) وحج بالناس سنة الفتح .

٦) وأقره أبو بكر على مكة إلى أن مات يوم مات علما أنه بين العلماء خلاف فى هذا على ما سيأتى .

٧) ولما أراد النبى ﷺ أن لا يتزوج على رضي الله عنه بنت أبى جهل على فاطمة بادر عتاب فتزوجها فولدت له ابنه

---

(١) المستدرك ٣/٥٩٥ .

عبد الرحمن .

٨) ذكره الطبرى فى عمال عمر ﷺ إلى سنة (٢٢هـ) .

٩) وكان شديدا على المريب ليناً على المؤمنين . وكان يقول : والله لا أعلم متخلفاً عن هذه الصلاة فى جماعة إلا ضربت عنقه فإنه لا يتخلف عنها إلا منافق . فقال أهل مكة يا رسول الله : استعملت على أهل الله أعرابياً جافيا . فقال : (إنى رأيت فيما يرى النائم أنه أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقعقعها حتى فتح له ودخل)[١] .

عن عمرو بن أبى عقرب قال : سمعت عتاب بن أسيد رضى الله عنه وهو مسند ظهره إلى بيت الله ، يقول : والله ما أصبت فى عملى هذا الذى ولانى رسول الله ﷺ إلا ثوبين معقدين فكسوتهما كيسان مولاى [٢] .

عن سعيد بن المسيب عن عتاب بن أسيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال فى زكاة الكروم أنها تخرص كما تخرص النخل ثم تؤدى زكاته زبيباً كما تؤدى زكاة النخل تمرا) [٣] .

وفى عتاب بن أسيد قال ابن سعد :

استعمله النبى ﷺ على مكة يصلى بالناس وقال له : تدرى على من استعملتك ؟ قال الله ورسوله أعلم قال: (استعملتك على أهل الله)[٤] .

وفى كتاب الأوائل للعسكرى بسنده قال : (لما توفى النبى ﷺ

---

(١) الاصابة فى تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلانى ٤٥١/٢ .

(٢) قال الحافظ بن حجر واسناده حسن / المستدرك ٥٩٥/٣ ، ٤٥١/٢ .

(٣) المستدرك ٥٩٥/٣ .

(٤) الطبقات الكبرى ٥/٦ .

ارتدت العرب ، وكان عتاب بن أَسيد بمكة ، استعمله النبى ﷺ عليها ، فخاف أن يرتد أهلها ، فبدر إليه منهم بادرة ، فنزل من شعابها فجاء سهيل بن عمرو فأخرجه إلى المسجد ، وخطب الناس فقال : (إن يكن محمد ﷺ قد مات فإن الله حى لا يموت ، وقد علمتم أنى أكثركم قتبا فى بر ، وجارية فى بحر، فقروا على أمركم وأدوا زكاتكم ، وأنا ضامن إن لم يتم هذا الأمر أن أردها عليكم ، فإنى والله أعلم أن هذا الأمر سيمتد كامتداد الشمس من طلوعها إلى غروبها ، قالوا : وأنّى علمت ذلك.

قال : إنا رأينا رجلاً وحيداً جريدا فريدا ، لا مال ولا عز ولا عدد، قام فى ظل هذه الكعبة فقال : أنا رسول الله إليكم ، فكنا بين هازل وضاحك ، ومستجهل وراحم ، فلم يزل أمره ينمو ويتصاعد ، حتى ناله طوعا أو كرها ، ولو كان من عند غير الله ، لكان كالكرة فى يد بعض سفهائكم ، فبلغ أبا بكر قوله فشكر له) [1].

---

(١) الأوائل لأبى هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى ١٨٩ .

الموقف الرابــــع

لسهيل بن عمرو بن عبد شمس ﷺ

١- (كان أحد الأشراف من قريش وساداتهم فى الجاهلية أسر يوم بدر كافرا وكان خطيب قريش فقال عمر يارسول الله : « أنزع ثنيته* فلا يقوم عليك خطيبا أبدا ، فقال رسول الله ﷺ : دعه فعسى أن يقوم مقاما تحمده) .

٢- ولما جاء إلى النبى ﷺ فى الحديبية فقال رسول الله ﷺ : حين رآه قد سهل لكم أمركم وعقد مع رسول الله ﷺ الصلح يومئذ وكان متوليا ذلك دون سائر قريش [1] .

٣- (وكان المقام المحمود فى الإسلام الذى قال فيه رسول الله ﷺ لعمر : دعه فعسى أن يقوم مقاما تحمده ، أنه لما ماج أهل مكة عند وفاة النبى ﷺ وارتد من ارتد من العرب قام سهيل بن عمرو خطيبا فقال : والله إنى لأعلم أن هذا الدين سيمتد امتداد الشمس فى طلوعها إلى غروبها فلا يغرنكم هذا من أنفسكم يعنى أبا سفيان فإنه ليعلم من هذا الأمر ماأعلم ولكنه قد جشم على صدره حسد بنى هاشم) .

٤- ولما غضب بعض مشيخة قريش من تقديم عمر بن الخطاب ﷺ فى خلافته لصهيب وبلال وغيرهم من أهل بدر عليهم فى الإذن فى الدخول عليه والمكان فى المجلس قال لهم سهيل : أيها القوم إنى والله قد أرى الذى فى وجوهكم فإن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم دعى

(*) ذكر الحافظ بن حجر أن علة قول عمر رضى الله عنه ذلك أن سهيلا كان أعلم أى مفتوح الشفة العليا ومثله إذا سقطت ثناياه لا يستطيع أن يأتى بالحروف صحيحة

(١) الاستيعاب مع الاصابة ٢/١٠٩ .

القوم ودعيتم فأسرعوا وأبطأتم ، أما والله لما سبقوكم به من الفضل أشد عليكم فوتا من بابكم هذا الذى تتنافسون فيه .

ثم قال : أيها القوم إن هؤلاء القوم قد سبقوكم بما ترون ولا سبيل لكم والله إلى ما سبقوكم إليه فانظروا هذا الجهاد فالزموه علَّ الله عز وجل أن يرزقكم شهادة ، ثم نفض ثوبه وقام ولحق بالشام .

قال الحسن البصرى فيه :

(يا له من رجل ما كان أعقله) .

وقال : (فصدق والله لا يجعل الله عبداً له أسرع إليه كعبد أبطأ عنه بطاعته) .

قيل قتل فى اليرموك وقيل خرج بأهله وماتوا جميعاً فى طاعون عمواس [1] .

٥ـ وقال سهيل بن عمرو (والله لا أدع موقفا وقفته مع المشركين إلا وقفت مع المسلمين مثله ولا نفقة أنفقتها مع المشركين إلا أنفقت على المسلمين مثلها لعل أمرى أن يتلو بعضه بعضا) [2] .

ونرى بعض الناس يمن الله عليهم بالتوبة ثم لا يبعثهم الندم على هذا الاجتهاد ، فما السبب ؟ .

٦ـ عن أبى سعد بن أبى فضالة الأنصارى ، وكانت له صحبة ، قال : اصطحبت أنا وسهيل بن عمرو إلى الشام ليالى أغزانا أبو بكر الصديق ، فسمعت سهيل يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (مقام أحدكم فى سبيل الله ساعة خير من عمله عمره فى أهل) قال سهيل : فأنا أرابط حتى أموت ولا أرجع إلى مكة أبداً فمات فى طاعون عمواس

---

(١) الاستيعاب مع الاصابة ٢/١٠٩ ـ ١١٢ . (٢) الاصابة ٢/٩٤ .

بالشام سنة ثماني عشرة [1] .

٧- قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفى رسول الله ﷺ هموا بالرجوع عن الإسلام وأرادوا ذلك ، حتى خافهم عتاب بن أسيد ، فتوارى فقام سهيل بن عمرو ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ ، وقال : إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة ، فمن رابنا ضربنا عنقه ، فتراجع الناس وكفوا عما هموا به وظهر عتاب بن أسيد .

فهذا المقام الذى أراد رسول الله ﷺ فى قوله لعمر بن الخطاب : (إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه) [2] .

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/١٠ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٤/٦٦٦ .

الموقف الخامس

هاجر أم إسماعيل عليهما السلام

إن امرأة مرضعا وضعت فى واد غير ذى زرع أو أنيس من البشر أو طعام متوفر أو ماء يؤمن الحياة وتقول لزوجها : (آلله أمرك بهذا) لمؤمنة حقا .

وإن أعظم توكل على الله تعالى أن يعتقد المؤمن أن الله جل جلاله لا يريد بعده المؤمن إلا خيراً مهما كان الكرب وشدة الحال . وإنه فى رد أمنا هاجر على سيدنا إبراهيم خليل الرحمن عندما قال لها أن الله أمره بذلك (فقالت : إذا لا يضيعنا) لأعظم قدوة إيمانية إنها رجعت بعد هذه الكلمة مسلمة لقضاء الله وقدره واثقة من توكلها على ربها الذى صرحت بكل إيمان وثقة أنه لا يضيعها ورضيعها مدام أمر بذلك خليله.

وصدقت فإن الله جل جلاله لا يضيع من آمن به وأطاعه وسلم لأمره وقضائه . إن الله أكرمها بكرامات خالدة باقية إلى الأبد وأرسل لها الأنس والطمئنينة فى حياتها . وجعل الله تعالى من شعائر الحج الذى هو ركن من أركان دينه السعى بين الصفا والمروة حيث كانت رضي الله عنها تسعى بين هذين الجبلين تبحث عن الماء لولدها الذى أخذ يتلوى من شدة الجوع والعطش بعدما نفد ما فى جرابها من تمر وما فى سقائها من ماء إذ أن تشوفها لرحمة الله وغوثه مع كراهيتها للنظر إلى ولدها فى تلك الحال كتب علينا أن نتبع خطواتها فى ذلك لأنها كانت مطيعة لله مترقبة لرحمته باحثة عن فضله. فالمؤمن دائماً فى لهفة وشوق وبحث عن فضل الله تعالى ورحماته التى تنقذه من كربات الدنيا والآخرة .

وإن هذا الرضيع الذى كانت تخشى عليه الهلكة رأته رجلاً محبوباً

بين جيرانه الذين نزلوا عليه فى بلدته ومن إعجابهم به يتسابقون لتزويجه فأقر الله عينها به فى حياتها ونشر من نسله أمما لا تنتهى حتى قيام الساعة .

وإن العطش الذى كان مصدراً للموت ماثلاً أمامها أزاحه الله عنها بماء طيب طاهر شاف من العلل والأمراض باق لا ينقطع. وإن الجوع الذى كان يضايقها ارتفع كلية إذ جعل الله هذا البلد :

﴿ يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (1).

وإن الوحشة والخوف من الوحدة زالت لأن الله جعل بيته :

﴿ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ (2).

﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) ﴾ (3).

إن مواقفها الإيمانية وصبرها وتجلدها لأقدار الله تعالى وخضوعها لأوامر الله، وطاعتها لخليل الله وصيانتها لنفسها وإحسانها تربية ولدها كل ذلك أعطيت جزاءه كاملاً من الله تعالى فكانت بذلك للمؤمنات نبراساً يستضاء به وقدوة مثالية يقتدى بها . وعظة وعبرة تربى العقول والنفوس وتلين القلوب فى جانب الله تعالى فمن اقتدت بها فيما ذكر عنها لا شك تنال من الله خيراً كثيراً لأن سنة الله فى أهل طاعته ماضية لا تتخلف (4).

---

(١) القصص آية (٥٧) .

(٢) البقرة آية (١٢٥) .

(٣) إبراهيم آية (٣٧) .

(٤) انظر صحيح البخارى فى حديث ابن عباس الطويل فى قصتها وأخبار زمزم.

الموقف السادس

ذات النطاقين أسماء بنت أبى بكر الصديق رضي الله عنهما

إن مواقف هذه الصحابية الجليلة كلها عظات وعبر آمنت بالله تعالى وصدقت رسوله محمداً ﷺ وهى تشاهد الاضطهاد والتعذيب الذى يعانى منه من آمن ، فهذا يضرب وهذا يهاجر إلى بلاد الغربة فراراً بدينه .

ولم تقف عند حد الإيمان القلبى العقدى فقط بل جندت نفسها لمساعدة والدها وصاحبه وقدوته فجهزت لهما الطعام وخرجت به تتخوف الكفار حتى أوصلته لهما وأعطتهما الأخبار .

وعمت على الكفار وكتمت أخبار أبيها وتعرضت للطمة من ذلك الجبار أبا جهل .

تزوجها الزبير بن العوام وماله فى الأرض مال ولا مملوك ولا شىء غير فرسه فعاشت معه مطيعة وفية تخدمه وترعى أموره وشئونه مع مراعاة خواطره فى غيرته الشديدة وكانت كذلك عابدة سخية تنفق ولا تنتظر أن يفضل شىء عن حاجتها .

إنها ربت لهذه الأمة عدداً من عباد الله الصالحين الذين نشروا العلم والنور.

علمتهم كيف يواجهون الظلمة بالإنكار ويقرعون الطغاة بالحق ويسندون الحديث إلى رسول الله ﷺ بصدق وعدالة .

وإننا بحاجة أن يتأسى بها نساؤنا فى إيمانها وسعيها فى نشر هذا الدين الحق ، والصبر على الأذى فيه ، وترك الأوطان فى سبيله طاعة

للرحمن ، وحسن التبعل للزوج ومساعدته على مسئولياته والنصح والإخلاص له فى غيبته وحضوره ، والرعاية للأولاد والمال . مع العبادة وطلب العلم ونشره والصبر على نوائب الدهر وتقلباته .

إنها مضرب مثل للمؤمنات وقدوة حسنة للمجاهدات الصابرات [١] .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٩٦/٨ - ٢٠١ ، والاستيعاب لابن عبد البر مع الإصابة ٢٣٢/٤ - ٢٣٤ والإصابة ٢٢٩/٤ ، ٢٣٠ وسيرة ابن هشام ٤٨٧/٢ .

الموقف السابع

من التابعين : عبيد بن عمير الليثى الخندعى المكى الواعظ المفسر

ولد فى حياة رسول الله ﷺ (وكان من ثقات التابعين وأئمتهم بمكة وكان يذكر الناس ، فيحضر ابن عمر ﵄ مجلسه. ويبكى ويقول : لله در بن قتادة ماذا يأتى به . وعن عطاء بن أبى رباح قال : دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة فقالت له: (خفف فإن الذكر ثقيل - يعنى إذا وعظت)[1] .

عن غيلان بن جرير قال : كان عبيد بن عمير إذا آخى أحداً فى الله استقبل به القبلة فقال : (اللهم اجعلنا سعداء بما جاءنا به نبيك ، واجعل محمداً ﷺ شهيداً علينا بالإيمان ، وقد سبقت لنا منك الحسنى غير متطاول علينا الأمد ، ولا قاسية قلوبنا ولا قائلين ما ليس لنا بحق ، ولا سائلين ما ليس لنا به علم) [2] .

عن ابن جريج سمعت ابن أبى مليكة يخبر عن عبيد بن عمير أنه سمعه يقول : سأل عمر أصحاب النبى ﷺ قال : ففيم ترون أنزلت : ﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة ﴾ فقالوا الله أعلم . فغضب ، فقال : قولوا نعلم أو لأنعلم . فقال ابن عباس فى نفسى منها شىء يا أمير المؤمنين فقال عمر : قل يا ابن أخى ولا تحقر نفسك . قال ابن عباس : ضربت

---

(١) كتاب القصاص والمذكرين لابن الجوزى وسيأتى فى باب تخول العالم أصحابه بالموعظة شىء من كلامه .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٦/٩ ، ٧ . (فقيه أهل مكة) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ١٨٤ .

مثلاً لعمل فقال عمر : أى عمل . فقال : لعمل ؛ فقال عمر : (رجل غنى يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشياطين فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله كلها) [1] .

(١) رواه الحاكم وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبى . المستدرك ٢/٢٨٣ .

الموقف الثامن

الفضيل بن عياض المحدث المجاور

هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمى اليربوعى أبو على الزاهد الخراسانى .

من أخباره : عن الفضل بن موسى قال : (كان الفضيل بن عياض شاطراً يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس ، وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينما هو يرتقى الجدران إليها إذ سمع تالياً يتلو :

﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾

فلما سمعها قال : بلى يارب قد آن ، فرجع فأواه الليل إلى خربة فإذا فيها سابلة أى قافلة سالكة (سبيلا للناس لأنها على الطريق المسلوك) فقال بعضهم : نرتحل وقال بعضهم حتى نصبح فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا .

قال: ففكرت، قلت : (أنا أسعى بالليل فى المعاصى وقوم من المسلمين يخافوننى هاهنا وما أرى الله ساقنى إليهم إلا لأرتدع ، اللهم إنى قد تبت إليك وجعلت توبتى مجاورة البيت الحرام) .

قالوا عنه بعد التوبة : (وكان ثقة نبيلاً فاضلا عابداً ورعاً كثير الحديث) قال هارون الرشيد: (ما رأيت فى العلماء أهيب من مالك ولا أورع من الفضيل) .

قال ابن الجوزى :

الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى أبو على شيخ الحرم المكى كان من أكابر العباد الصالحين وكان ثقة فى الحديث توفى بمكة سنة

١٨٧هـ عن محمد بن حسان السمتي قال : شهدت الفضيل بن عياض وجلس إليه سفيان بن عيينة . فتكلم الفضيل فقال : (كنتم معشر العلماء سرج البلاد يستضاء بكم فصرتم ظلمة . وكنتم نجوماً يهتدى بكم ، فصرتم حيرة لا يستحى أحد منكم أن يأخذ مال هؤلاء الظلمة ثم يسند ظهره ويقول : حدثنا فلان عن فلان . فقال سفيان : لئن كنا لسنا بصالحين فإنا نحبهم) [١] .

وقال خادم الفضيل إبراهيم بن الأشعث: (ما رأيت أحدا كان الله فى صدره أعظم من الفضيل كان إذا ذكر الله عنده أو سمع القرآن ظهر به من الخوف والحزن وفاضت عيناه فبكى حتى يرحمه من بحضرته) .

قال ابن حبان : (أقام بالبيت الحرام مجاورا مع الجهد الشديد والورع الدائم والخوف الوافر والبكاء الكثير والتحلى بالوحدة ورفض الناس وما عليه أسباب الدنيا إلى أن مات بها) [٢] .

ومن مواعظ الفضيل لأمير المؤمنين هارون الرشيد (يا أمير المؤمنين بلغنى أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكى إليه فكتب إليه عمر: يا أخى أذكرك طول سهر أهل النار فى النار مع خلود الأبد وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء . قال : فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له : ما أقدمك ؟ قال : خلعت قلبى بكتابك لا أعود إلى ولاية أبداً حتى ألقى الله عز وجل) [٣] .

وعن إسحاق بن إبراهيم قال : (كانت قراءة الفضيل حزينة شهية بطيئة مترسلة كأنه يخاطب إنساناً ، وكان إذا مر بآية فيها ذكر الجنة رددها) [٤] . رحمه الله تعالى .

---

(١) القصاص والمذكرين ٢٣٢ صفة الصفوة ٢/٢٤١ . (٢) تهذيب التهذيب للحافظ بن حجر ٨/٢٩٤ .
(٣) صفة الصفوة ٢/٢٤٤ . (٤) صفة الصفوة ٢/٢٣٨ .

فى عصرنا الحاضـــر

إنك باطلاعك على المواقف السابقة علمت أن الله تعالى إذا منَّ على عبد بالإيمان الخالص قوى على مواجهة الدنيا وهو لا يبالى بأهلها المخالفين لما هو عليه من الحق وكان واعظاً لهم بحاله ومقاله ، ومصارعاً لهم وهادياً ومعلماً ومربياً وآمرا وناهيا ذلك أن الله هو الذى أمده بذلك وأعطاه من عنده الشجاعة والتضحية وبصره بهدفه وبعثه للعمل من أجل الوصول إليه .

وإنك من تلك المواقف تتعلم أن الإنسان تحت علم الله ومشيئته ، يمن عليه بالإيمان بعد أن لم يكن يدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، وينقذه من الكفر إلى الإيمان ومن الضلالة إلى الهداية ومن الجهل إلى العلم ومن الضعف والذلة إلى العز والقوة ومن المعصية إلى الطاعة ، ومن الغفلة وقساوة القلب إلى البصيرة والمخافة والرقة والخشية لذا لا تقنط لحى من الخير ولا تأمن عليه الغواية ـ نسأل الله العون والسداد والهداية .

وإذا علمت ذلك فاعلم أن هذه الأمة المحمدية مرحومة من البداية إلى النهاية إذ كان دينها محفوظا وعلماؤها ورثة الأنبياء ولا تجتمع على ضلالة ولا تزال فيها طائفة ظاهرة على الحق وإن تفرقوا فى البلاد والمجالات والاختصاصات فهم يجددون للأمة أمر دينها ويحيون ما اندرس من سنة نبيها ﷺ فهم كالغيث الذى ينزل من السماء فيحيى الله به الأرض بعد موتها إنها سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا ، ولا تزال هذه السنة ماضية بفضل الله تعالى منذ وقف النبى ﷺ على الصفا وناداهم قائلاً : واصباحاه .. والأمثلة من الوعاظ الناصحين والعلماء المجاهدين والدعاة المصلحين والمؤلفين

النابهين ، والخطباء الراشدين فى التاريخ الإسلامى كثيرة نذكر لك هذا دون الآخر ولكن تعرف عليهم بنفسك فى كتب الطبقات والتراجم والمصنفات الأخرى.

إن أمة ابتليت بالنزاعات والخلافات الداخلية وظلت متماسكة لأمة خالدة ، وإن أمة عاشت فيها فرق كالخوارج بمذاهبها وآرائها والمعتزلة بعقلانيتها وفلسفتها ومنهجها ، والصوفية بطرقها ، وطوائفها ، والمرجئة بأحكامها واستسلاماتها ، والشيعة بشيعها والباطنية بكيدها ومكرها ، وأهل الفلسفة والزندقة والنفاق .. لأمة قوية حية متجددة النشاط حيث إن دينها ومصدر دستورها يظلل برايته هذه الفئات ويصون وحدتها فى البلد الواحد إذ تصلى فى مساجد جامعة وتتعامل فى أسواق تجارية واحدة ويرأسها إمام أو حاكم أو خليفة أو أمير واحد ثم هى تصلى إلى قبلة واحدة وتصوم شهراً واحداً وتحج البيت الحرام وتقف المشاعر المعلومة كل ذلك إيماناً بالله الواحد والرسول الخاتم والكتاب المنزل .

إن هذه الأمة مع ما أشرنا إليه من تفرق واختلاف استطاعت بما ذكرنا من الوحدة أن تنشر الدين وتعمر الأرض وتقيم الحضارات فى شرق البلاد وغربها ، وتمكنت من صد الاعتداءات الخارجية أو إذابة المهاجمين فى بوتقتها كما حصل للتتار والصليبيين الذين رجعوا يجرون أذيال الخيبة وصدق فيهم قول الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ... ﴾[1] .

وإنها بعون الله تعالى قادرة على صد الهجمات فى هذا العصر بفضل تمسكها بدينها وتجاربها من الابتلاءات والامتحانات التى

---

(١) الأنفال آية (٣٦) .

تعرضت لها فى تاريخها الطويل .

إن أمة الإسلام تعرضت فى هذا العصر الحديث إلى عوامل هدم فتاكة وكثيرة ومتنوعة، غزيت فى فكرها وشوهت عليها عقائدها بالدس والشبهه ، وروج فى ديارها للنزعات الطائفية والعرقية وزرعت فيها الاتجاهات الهدامة والأفكار السامة ، ودرست لها المذاهب والنظريات الخاطئة وقررت عليها المقررات المنحطة التى يضيع الوقت فيها سدى ولا يحصد منها إلا المجون والانحلال وقلة الحياء والجرأة على الوقاحة والإباحية ، وزودت بالمخططات التى تعطل استقلالها ونمو اقتصادها ، وعطلت عن العمل لصالح البلاد والجد والاعتماد على النفس والممتلكات بما توعد به من كذب زائف بالمساعدات والتسهيلات والاصلاحات ، واستغلت مواردها المعدنية وثرواتها ومدخراتها ، وجعلت منها أسواق استهلاكية ومواقع استراتيجية لمقر المصانع والشركات ، وروجت فيها البضائع التى لا تحتاجها وسخرت بالدعاية الكاذبة حتى اشترتها واستهلكتها .

ونشرت فيها البنوك الربوية وأغريت بالمعاملات والعقود المحرمة التى تستنزف الطاقات ولا تعود بطائل على الفرد والمجتمع .

وجلبت لها البضاعة المزجاة فى ديار الغرب من دعاية الكنائس العالمية وإرسالياتها ، ومدارسها ، ونشراتها ، واستغل الفقر والجهل لنشر التنصير والكهانة والدجل والشعوذة النصرانية والصليبية الحاقدة ، وحيل بين الأمة وحكامها فى كثير من البلاد الإسلامية الذين صدقوها معركة مصيرية وأشعلوها فتنة وحربا دموية فاستقرت العداوة فى النفوس وخون الأمين وأخذ البرىء بالظنة . وتعمد أبناء البلد الواحد مسايرة المستشرقين وتلاميذهم وأذنابهم على نشر الشبه والطعن فى القرآن والوحى وصاحب

الرسالة وحملتها من السلف الأول وأعانوهم على الترويج لهذه السموم بين طلاب الجامعات والثانويات حتى ضعف وهان فى نفوس الكثيرين منهم وازع الدين الإسلامى باسم البحث العلمى الكاذب فى الدعوة والأهداف والنتائج .

ونشر الإلحاد فى كثير من المناطق الإسلامية باسم الحرية الفكرية والتقدم ومسايرة أصحاب الحضارة المزدهرة .

وأعلنت المادية وطلب الكسب بالحق أو بالباطل ، بالحلال وبالحرام وقدست الرأسمالية وعبدت الدنيا وأهلها من دون الله حتى زاغت النفوس وطاشت العقول أمام هذا المعبود وبهارجه الخداعة .

واستجلبت العلمانية وأخلاقياتها وسقيت للحاكم والمحكوم حتى أشرب الجميع حبها فطبلوا لها وزمروا وفرقوا البلد الواحد بسببها شيعاً وأحزاباً وطوائف متصارعة تعارض من أجل المعارضة وتعترض أو تصوت من أجل المناورات السياسية ، فافترقت الكلمة وذهبت الريح والمنعة وشرد المعارض أو قتل أو سجن فتعطل البناء والتعمير والتنمية والتعليم والتصنيع والتعدين والله تعالى يقول لنا :

﴿ ... وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) ﴾ [(١)].

والنبى ﷺ يحذرنا من داء الأمم قبلنا: الذى هو افتراق ذات البين والتنافس فى الدنيا، وسماها الحالقة التى تحلق الدين[(٢)].

وعلى العموم فإن ذلك كله كان حتى كاد الحبل أن يلقى على الغارب ولكن كما أسلفنا فإن هذه الأمة محفوظة من الضياع قوية قوة متجددة حية متحركة لأنها وإن مكر بها وهى غافلة وتسلط عليها وهى

(١) سورة الأنفال آية (٤٦) . (٢) ابن كثير ٢/٢٨٥ .

مستضعفة فإن المصدر الذى تستلهم منه حيويتها باق محفوظ ، فمن التفت إليه منها شرب منه وارتوى وسقى غيره ما شرب ونمى وارتوى وارتقى لذا بقيت في الأمة الحياة والحيوية عبر العصور ونشطت فيها الهمم العالية فى أيام حالكة وظروف قاسية أنارت للسائرين طريق النجاة وللدارسين طريق العلم والنور وأيقظت النائمين وحركت المتكاسلين واجتذبت إلى الهدى فريقاً من الضالين وأقامت الحجة بالبيان المبين أولئك المعاندين وفضحت كيد الكائدين وزيف المنافقين، وحذرت الأمة من سبيل المتخاذلين ، فإذا بالبلاد تعمها صحوة إسلامية مباركة يحوطها مرشدون من العلماء العاملين حتى دحروا بها جنود الضلال والغواية حتى غزوها فى عقر دارها وفتحوا بالقرآن الكريم والدعوة الصادقة قلوب أقوام طال ما حيل بينهم وبين حلاوة الإيمان التى ينشدونها ، والحق والخير والهدى والنور الذى يطلبونه فهدى الله بهم خلقاً كثيراً فى عواصم العالم الغربى والشرقى وأخذوا فى تربيتهم على كتاب الله تعالى وسنة المصطفى ﷺ حتى أقيمت المساجد والمراكز والمدارس والمتاجر والمسالخ الإسلامية وحتى نازعت الفتاة المسلمة وزراء التربية فى البلاد الكافرة على حقها فى حجابها وخمارها قبل حقها فى التعليم والتربية وما زال ذلك الخير والنور يتنامى ويسطع رغم المحاربة والمعاندة والمكابرة .

﴿... وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١)﴾[١] .

إن ذلك تم بجهود أفراد مباركين اختارهم الله لطاعته وخدمة دينه فى بلاد متعددة ولكن جهودهم تصب فى مصب واحد هو الولاء لله ورسوله ، والنصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

---

(١) يوسف آية (٢١)

ومع دعائنا ومباركتنا لجهود أولئك النفر الخيرين فإننا نعيب على أولئك العلماء الساكتين بعلمهم عن هداية الناس به وتعليم الجاهل أحكام دينه وتبصير الحائرين بمسالك النجاة والوقوف فى وجه الظلم والفساد ذلك أن سكوتهم ذلك يعد إقراراً بالظلم والجور والجهل والضلال والفساد بأنواعه وأشكاله .

فإذا كان على الكافر أن يتوب من كفره وعلى المذنب أن يقلع عن ذنبه ويندم على ما فرط فى جنب الله تعالى فإن على الساكتين بعلمهم وثقافتهم أن يتوبوا من سكوتهم ذلك ، إذ الساكت عن الحق شيطان أخرس.

وإن التوبة لأشد تأكداً فى حق أولئك القوم الذين تجاوزوا ذنب الساكتين فجعلوا من أنفسهم شياطين ناطقين ولكل جرم يرتكب فى حق الإسلام وأهله مبررين أو محسنين .

إن هذا الصنف من المتعلمين أولى بالموعظة والإرشاد من العصاة الماجنين ذلك أن هؤلاء يلبون شهوة غريزية تغالبهم ، وأولئك يرتكبون ما يرتكبون فى سبيل الحصول على شهوة منفصلة عنهم يريدون تحقيقها وإشباعها .

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧) ﴾ (١) .

وقال على ﷺ : (ما أخذ الله على الجاهلين أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا) (٢) .

وإلى هنا نصل بك إلى أهمية مجال الوعظ ..

---

(١) آل عمران الآية (١٨٧) .

(٢) القرطبى ٣٠٥/٤ .

أهمية مجال الوعظ

إن أهمية مجال الوعظ تتمثل فى أن الله تعالى جعل على قلب كل عبد واعظاً ، ووعظنا فى أنفسنا وألواننا وألسنتنا ولغاتنا ومأكلنا ومشربنا وابتداء أمرنا وانتهائه ، وجعل خيرة خلقه هم الوعاظ لعباده ومكنهم بقدرته وحكمته مما كلفهم به حيث أعطاهم أصول الخلق وسياسة النفوس ومعالجة أمراضها ومداواة عللها ، ثم إنه أمرنا أن نعظ ونتعظ ونذكر ونعتبر وجعل العلماء هم ورثة الأنبياء فى هذا المجال لأهميته وخطورة تركه حيث إن الخير والشر والحق والباطل فى صراع دائم والنفوس البشرية قابلة للخير والشر بفطرها ومسارعة إلى طاعة الهوى والشيطان إذا لم يغرس فيها الخير وتنمى فيها الفطرة السليمة التى فطرها الله عليها فالخير والشر بالعادة على أن الشقى من شقى فى بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره .

وإن أهمية مجال الوعظ تعتمد أساساً على أنه يخاطب أشرف شىء فى الإنسان ألا وهو قلبه وروحه وبصلاح القلب يصلح سائر البدن .

بالوعظ خاطب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أطغى الطغاة وأكفر الكفرة وبالوعظ خاطبوا الجهال والعصاة ، وبالوعظ خاطبوا الأتقياء والبررة فإن الإنسان لا يخلو عن شر يوعظ ليقلع عنه ، أو خير ليثبت عليه ويزداد فيه .

وإن الإسلام فتح القلوب بالموعظة الحسنة قبل أن يفتح البلاد والحصون ، ذلك أن القلوب إذا انفتحت للكلمة الطيبة انقاد لها سائر الجوارح وإذا استسلمت الجوارح بدون القلب لم يفد ذلك إيماناً ولا عملاً. لذا حث القرآن الكريم على الموعظة والتذكير وعول النبى ﷺ والسلف

الصالح من بعده ومن تبعهم من الدعاة الناصحين على الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة لقوة أثرها وعظمة المكاسب وراءها . وما ترك الوعظ فى مجتمع إلا سيطرت عليه الغفلة وقساوة القلوب وأنواع الأمراض القلبية والنفسية من كبر وعجب وحسد وعصبية وغمط للحق ، وإذا شاعت هذه عم الفساد بين العباد وكانت الجاهلية التى يستحق أهلها مقت الله وغضبه وعقابه .

وما كان الوعظ شائعاً فى بيئة إلا صلحت وأصلحت، وعرف الناس المعروف وأمروا به ، وعلموا المنكر ونهوا عنه ، ورقت القلوب ولانت النفوس للعلم والفضيلة والطاعة . وبذلك ينزل الله تعالى رحمته وفضله فيعم العلم والمحبة والوحدة والقوة والبذل والإيثار ، فإذ النفوس زاكية والعيون باكية والقلوب وجلة والألفة ظاهرة والأرواح طاهرة صافية :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ... ﴾ (١) .

هذه نبذة عن أهمية مجال الوعظ الذى تركناه فى مساجدنا ودروسنا وخطبنا على منابرنا وانصرفنا عنه لمعالجة قضايا عامة وخاصة علمية أو فكرية اجتماعية أو سياسية وعمدنا إلى ما فيه الحظوظ الدنيوية العاجلة فاتجه الناس للّهو والعبث ، وتفننوا فى أنواع البدع والخرافات ، وأنواع الذنوب والموبقات ورضى الناس بالجهل والمذلة والمهانة وسادت الأنانية والخيانة وقلت فى النفوس مهابة الديانة . فتعاطى المسؤلون الرشوة وترك الشباب الصلاة والعلم والطاعة ، واسفرت العذراء عن وجهها فى الأسواق والفصول الدراسية ودور اللهو

---

(١) الاعراف آية (٩٦) .

والخنا ، وقلد المسلمون فى كثير من البلاد الكفار فى الظاهر حيث حلقوا لحاهم وشربوا المسكر واستحلوا الزنا والربا والقمار وماتت قلوبهم فماتت فى نفوسهم الغيرة وانحسرت عن وجوههم سيما أهل الإيمان عياذاً بالله من الشيطان .

وسخطاً لهذا الواقع وبحثا عن واقع إيمانى صالح مصلح أخذت قلمى وتوكلت على ربى فهو حسبى ونعم الوكيل وجمعت هذا الكتاب المبارك إن شاء الله سائلاً المولى تبارك وتعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به الحاضر والبادى ويهدى به قلوب أهل الكفر والعناد والغائصين فى دركات الجهل والجحود والفساد كما أسأله سبحانه أن يسهل طبعه ونشره ويهيىء له طلبة علم يدرسونه ووعاظاً يعظون به ويتعظون ، إذ ما ألفته على هذا النحو إلا استجابة لقول الله تعالى فى كتابه فى آيات عديدة منها :

﴿ ... فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥) ﴾[١] .

وقوله : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) ﴾[٢] .

وقوله : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥) ﴾[٣] .

وقوله : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ (٩) ﴾[٤] .

إنها أوامر لنا بعد نبينا وشفيعنا وقدوتنا ﷺ وفى القرآن الكريم أيضاً بيان لسوء عاقبة من أعرض عن التذكرة . قال تعالى :

---

(١) سورة ق آية (٤٥) .
(٢) سورة الغاشية آية (٢١).
(٣) سورة الذاريات آية (٥٥) .
(٤) سورة الأعلى آية (٩).

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ... ﴾ (1) .

وقوله : ﴿ ... وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا (99) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (100) ﴾ (2) .

وقوله : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (49) ﴾ (3) .

وإنى أوصى نفسى ومن يريد أن يعظ أو يعلم هذا الكتاب أن نتحلى جميعاً بما نعظ به غيرنا حتى لا نقع فى المحذور ونحصد فى النهاية الخيبة والندامة - عياذا بالله تعالى - وعلينا أن نجعل نصوص الوحى هى عمدتنا ومشغل هدايتنا وحجتنا على من نخاطبه إذ هى خطاب له كما هى خطاب لنا وقلوبنا جميعاً بيد بارئها هو الذى يملك هدايتها وإصلاحها كما أن علينا أن نضيف لإتقان موضوع موعظتنا التزام آداب الداعى وصفات المعلم المربى من العمل بالعلم وسعة الصدر والحلم والجرأة فى الحق بلا تهور ولا وقاحة وتجنب الكذب والمداهنة فى الحق مع لزوم العفة وطهارة اللسان والقناعة واستعمال الأساليب العربية الفصيحة التى ترغب الناس فى الحق وتجتذبهم إلى الأخذ به بعد استحسانه والإذعان له ثم العمل به .

وبالله تعالى وحده التوفيق والهداية

---

(1) سورة السجدة آية (22) .

(2) سورة طـه آية (99 ، 100) .

(3) سورة المدثر آية (49) .

الأمر بالموعظة الحسنة
وأن القرآن هدى وموعظة للمتقين

١) قال الله تعالى :

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)﴾[1] .

تفسير الآية :

يقول ابن عطية : (أمره الله تعالى أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ، وهو أن يسمع المدعو حكمة ، وهو الكلام الصواب القريب الواقع فى النفس أجمل موقع) .

« والموعظة الحسنة » : التخويف والتوجيه والتلطف بالإنسان ، بأن يجله وينشطه (ويبسطه) ويجعله بصورة من يقبل الفضائل ونحو هذا ، فهذه حالة من يدعى، وحالة من يجادل دون مخاشنة تظهر عليه دون قتال، والكلام يعطى أن جدك وهمك وتعبك لا يغنى ، لأن الله قد علم من يؤمن منهم ويهتدى ، وعلم من يضل ، فجملة المعنى : اسلك هذه السبيل ولا تلجأ للمخاشنة فإنها غير مجدية، لأن علم الله قد سبق بالمهتدى منهم والضال) .

وهل الآية منسوخة أو محكمة فى حق الكفار حيث إنها نزلت بمكة فى وقت الأمر بمهادنة المشركين؟خلاف يخلص منه ابن عطية بقوله :

(وأما من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار، ويرجى إيمانه بها دون قتال ، فهى فيه محكمة إلى يوم القيامة ، وأيضاً فهى محكمة فى

---

(١) سورة النحل الآية (١٢٥) .

جهة العصاة ، فهكذا ينبغى أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة)(١) .
ويفسرها ابن كثير بقوله : (يقول تعالى آمرا رسوله ﷺ أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة) .

قال ابن جرير وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة والموعظة الحسنة : أى بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس ذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى .

وقوله : (وجادلهم بالتى هى أحسن) : أى من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب كقوله تعالى :

﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ... ﴾(٢) .

فأمره تعالى بلين الجانب كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون فى قوله :
﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) ﴾(٣) .

وقوله : ﴿ .. إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ﴾ الآية أى قد علم الشقى منهم والسعيد وكتب ذلك عنده وفرغ منه فادعهم إلى الله ولا تذهب نفسك على من ضل منهم حسرات ، فإنه ليس عليك هداهم إنما أنت نذير عليك البلاغ وعلينا الحساب .
﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ... ﴾(٤) .

---

(١) المحرر الوجيز ٨/٥٤٥ ، ٥٤٦ وقارن بما فى القرطبى ١٠/٢٠٠ .
(٢) العنكبوت آية (٤٦) .
(٣) طه آية (٤٤) .
(٤) القصص آية (٥٦) .

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ (١) (٢) .

وأبدع النسفى فى إيجاز تفسير الآية الكريمة فقال :

(ادع إلى سبيل ربك) : الإسلام . (بالحكمة) : بالمقالة الصحيحة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة (والموعظة الحسنة) : وهى التى لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها أو بالقرآن أى : ادعهم بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة ، أو الحكمة المعرفة بمراتب الأفعال ، والموعظة الحسنة أن يخلط الرغبة بالرهبة والإنذار بالبشارة .

﴿ وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ : بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة أو بما يوقظ القلوب ويعظ النفوس ويجلو العقول وهو رد على من يأبى المناظرة فى الدين .

﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ : (أى هو أعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل ، ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل)(٣) .

ومن فتح القدير للشوكانى :

١) ﴿ ادع إلى سبيل ربك ﴾ : وحذف المفعول للتعميم لكونه بعث إلى الناس كافة ، سبيل الله هو الإسلام .

٢) ﴿ بالحكمة ﴾ : أي بالمقالة المحكمة الصحيحة ، قيل وهى الحجج القطعية المفيدة لليقين .

٣) ﴿ والموعظة الحسنة ﴾ : وهى المقالة المشتملة على الموعظة

---

(١) البقرة آية (٢٧٢) .

(٢) ابن كثير ٢/٥٩١ ، ٥٩٢ .

(٣) المصدر المذكور ٢/٣٠٤ ، ٣٠٥ .

الحسنة التى يستحسنها السامع وتكون فى نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها . قيل وهى الحجج الظنية الإقناعية الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة ، قيل وليس للدعوة إلا هاتان الطريقتان ، ولكن الداعى قد يحتاج مع الخصم الألد إلى استعمال المعارضة والمناقضة ونحو ذلك من الجدل . ولهذا قال سبحانه.

٤) ﴿ وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ أى بالطريق التى هى أحسن طرق المجادلة ، وإنما أمر سبحانه بالمجادلة الحسنة لكون الداعى محقا وغرضه صحيحا ، وكان خصمه مبطلا وغرضه فاسداً .

٥) ﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ﴾ : لما حث سبحانه على الدعوة بالطرق المذكورة بين أن الرشد والهداية ليس إلى النبى ﷺ وإنما ذلك إليه تعالى فقال : ﴿ إن ربك هو أعلم ﴾ : أى هو العالم بمن يضل ومن يهتدى .

٦) ﴿ وهو أعلم بالمهتدين ﴾ : أى بمن يبصر الحق فيقصده غير متعنت ، وإنما شرع لك الدعوة وأمرك بها قطعا للمعذرة وتتميما للحجة وإزاحة للشبهة ، وليس عليك غير ذلك) [(١)] .

ويفسر الآلوسى الآية الكريمة مبينا مراتب الناس وأنواع المدعوين وما يناسب كل طائفة على ضوء الآية وعمل النبى ﷺ فيقول:

١- (فمنهم خواص وهم أصحاب نفوس مشرقة قوية الاستعداد لإدراك المعانى قوية الانجذاب إلى المبادىء العالية... وهؤلاء يدعون بالحكمة)

٢- (ومنهم عوام أصحاب نفوس كدرة ضعيفة الاستعداد شديدة الألف بالمحسوسات قوية التعلق بالرسوم والعادات قاصرة عن درجة

(١) فتح القدير ٣/٢٠٣.

البرهان لكن لا عناد عندهم وهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة) .

٣ـ (ومنهم من يعاند ويجادل بالباطل ليدحض به الحق لما غلب عليه من تقليد الأسلاف ورسخ فيه من العقائد الباطلة فصار بحيث لا تنفعه المواعظ والعبر بل لابد من إلقامه الحجر بأحسن طرق الجدال لتلين عريكته وتزول شكيمته وهؤلاء الذين أمر ﷺ بجدالهم بالتي هي أحسن) [١] .

٤ـ قال الله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ [٢] .

تفسير الآية :

بعد أن بين ابن عطية الآيتين قبل هذه الآية قال :

(ثم أمر نبيه ﷺ أن يدعو لعبادة الله، والنظر فى حقيقة نبوته هو، ويعظهم بأمر يقرب للأفهام ..)

١ـ فقوله: ﴿ بِوَاحِدَةٍ ﴾ معناه : بقضية واحدة إيجازا لكم وتقريبا لكم

٢ـ ﴿ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ﴾ يحتمل أن يريد بالطاعة والإخلاص والعبادة ، فتكون الواحدة التى وعظ بها هذه .

٣ـ ثم عطف عليها : أن تتفكروا فى أمره هو هل به جنة أو هو برىء من ذلك ؟ [٣] .

---

(١) روح المعانى ١٤/٢٥٤ .

(٢) سورة سبأ الآية (٤٦) .

(٣) المحرر الوجيز ١٢/٢٠١،٢٠٢ .

ومن القرطبى :

١- ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ﴾ تتم الحجة على المشركين ، أى قل لهم يا محمد : ﴿ إِنَّمَا أَعِظُكُم ﴾ أى أذكركم وأحذركم سوء عاقبة ما أنتم فيه .

٢- ﴿ بِوَاحِدَةٍ ﴾ أى بكلمة واحدة مشتملة على جميع الكلام ، تقتضى نفى الشرك وإثبات الإله وهى : لا إله إلا الله . أو بطاعة الله أو بالقرآن لأنه يجمع كل المواعظ .

٣- وقيل : تقديره بخصلة واحدة ، ثم بينها بقوله : ﴿ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ﴾ .

٤- وهذا القيام معناه القيام إلى طلب الحق لا القيام الذى هو ضد القعود.

٥- ﴿ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ﴾ : أى وحدانا ومجتمعين . وقيل : منفردا برأيه ومشاورا لغيره .

٦- وقيل : مناظرا مع غيره ومفكرا فى نفسه .

٧- وقيل : (إنما قال : ﴿ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ﴾ لأن الذهن حجة الله على العباد وهو العقل . فأوفرهم عقلا أوفرهم حظا من الله ، فإذا كانوا فرادى كانت فكرة واحدة ، وإذا كانوا مثنى تقابل الذهنان فتراءى من العلم لهما ما أضعف على الإنفراد) .

٨- ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ المعنى : (ثم تتفكروا هل جربتم على صاحبكم كذبا ، أو رأيتم فيه جنة ، أو فى أحواله من فساد، أو اختلف إلى أحد ممن يدّعى العلم بالسحر، أو تعلم الأقاصيص وقرأ الكتب، أو عرفتموه بالطمع في أموالكم، أو تقدرون على معارضته

فى سورة واحدة، فإذا عرفتم بهذا الفكر صدقه فما بال هذه المعاندة؟) [١].

ويتلخص أيضاً من تفسير النسفى ما يأتى :

١- أراد بقيامهم فى الآية القيام من مجلس رسول الله ﷺ وتفرقهم عن مجتمعهم عنده ، أو قيام القصد إلى الشىء دون النهوض والانتصاب ، والمعنى : إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهى : أن تقوموا (لله) أى لوجه الله خالصا لا لحمية ولا عصبية بل لطلب الحق.

٢- ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾ فى أمر محمد ﷺ وما جاء به ، أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر الصدق والإنصاف حتى يؤديهما النظر الصحيح إلى الحق

٣- وكذلك الفرد يتفكر فى نفسه بعدل ونصفة ويعرض فكره على عقله .

٤- ومعنى تفرقهم مثنى وفرادى أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمى البصائر ويمنع من الرؤية ويقل الإنصاف فيه ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع إلا نصرة المذهب .

٥- ﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ : جنون ، والمعنى : ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة .

٦- ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ قدَّم عذاب شديد وهو عذاب الآخرة وهو كقوله عليه الصلاة والسلام « بعثت بين يدى الساعة » [٢].

---

(١) القرطبى ١٤/٣١١، ٣١٢ بتصرف .

(٢) النسفى ٣/٣٢٩، ٣٣٠ والحديث فى مسند الإمام أحمد الفتح الربانى ٢٢/٤٠ .

ومن الذين فسروا الآية بالرواية والدراية ابن كثير فقال :

١) (يقول تبارك وتعالى قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون : ﴿ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ﴾ أى إنما آمركم بواحدة وهى :

٢) ﴿ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ أى تقوموا قياما خالصاً لله عز وجل من غير هوى ولا عصبية .

٣) ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾ : (أى ينظر الرجل لنفسه فى أمر محمد ﷺ ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه ويتفكر فى ذلك) [١] .

وقد أجاد الشوكانى تلخيص ما تقدم فى تفسير الآية الكريمة فقال :

(... ثم أمر سبحانه رسوله أن يقيم عليهم حجة ينقطعون عندها فقال :

١ـ ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ﴾ أى أحذركم وأنذركم سوء عاقبة ما أنتم فيه ، وأوصيكم بخصلة واحدة ، وهى :

٢ـ ﴿ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ﴾: هذا تفسير للخصلة الواحدة ، أو بدل منها : أى هى قيامكم وتشميركم فى طلب الحق بالفكرة الصادقة متفرقين اثنين اثنين ، وواحدا واحدا ، لأن الاجتماع يشوش الفكر ، وليس المراد القيام على الرجلين ، بل المراد القيام بطلب الحق وإصداق الفكر فيه ...

٣ـ ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾ في أمر النبى ﷺ وما جاء به من الكتاب ، فإنكم عند ذلك تعلمون أن : ﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ وذلك لأنهم كانوا يقولون : إن محمدا مجنون ، فقال الله سبحانه :

٤ـ قل لهم اعتبروا أمرى بواحدة ، وهى أن تقوموا لله ، وفى ذاته

---

(١) المصدر المذكور ٣/٥٤٣ .

مجتمعين ، فيقول الرجل لصاحبه هلم فلنتصادق ، هل رأينا بهذا الرجل من جنة : أى جنون أو جربنا عليه كذبا ، ثم ينفرد كل واحد عن صاحبه فيتفكر وينظر ، فإن فى ذلك ما يدل على أن محمدا ﷺ صادق وأنه رسول من عند الله ، وأنه ليس بكاذب ولا ساحر ولا مجنون .

٥ـ وهو معنى قوله : ﴿ إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد ﴾ أى ما هو إلا نذير لكم بين يدى الساعة .

٦ـ وقيل إن جملة : ﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ : مستأنفه من جهة الله سبحانه مسوقة للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بأن هذا الأمر العظيم والدعوى الكبيرة لا يعرض نفسه له إلا مجنون لا يبالى بما يقال فيه وما ينسب إليه من الكذب وقد علموا أنه أرجح الناس عقلا .

(فوجب أن يصدقوه فى دعواه ، لا سيما مع انضمام المعجزة الواضحة وإجماعهم على أنه لم يكن ممن يفترى الكذب ولا قد جربوا عليه كذبا مدة عمره وعمرهم) (١) .

١) ويضيف الآلوسى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ﴾ أى ما أرشدكم وأنصح لكم إلا بخصلة واحدة وهى ... ﴿ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ ﴾ بمعنى المصدر وهى قيامكم ... والقيام مجاز عن الجد والاجتهاد ، وقيل : هو على الحقيقة والمراد القيام من مجلس رسول الله ﷺ ... وعن ابن جريج : أى أن تجدوا وتجتهدوا فى الأمر بإخلاص لوجه الله تعالى .

٢) ﴿ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ﴾ : أى متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فإن فى الازدحام على الأغلب تهويش الخاطر والمنع من الفكر وتخليط فى الكلام وقلة الإنصاف كما هو مشاهد فى الدروس التى تجتمع فيها

---

(١) فتح القدير ٤/٣٣٣ ، ٣٣٤ .

الجماعة فإنه لا يكاد يوقف فيها على تحقيق .

٣) وفي تقديم ﴿ مَثْنَىٰ ﴾ إذان بأنه أوثق وأقرب إلى الاطمئنان.

٤) ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾ : في أمره ﷺ وماجاء به لتعلموا حقيقته.

٥) ﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾: (استئناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بأن مثل هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة لا يتصدى لادعائه إلا مجنون لا يبالي بافتضاحه عند المطالبة بالبرهان وظهور عجزه ، أو مؤيد من عند الله تعالى مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه ، وإذا علمتم أنه عليه الصلاة والسلام أرجح الناس عقلاً وأصدقهم قولاً وأذكاهم نفسا وأفضلهم علماً وأحسنهم عملا وأجمعهم للكمالات البشرية ، وجب أن تصدقوه في دعواه ، فكيف وقد انضم إلى ذلك معجزات تخر لها الجبال ، والتعبير عنه عليه الصلاة والسلام بصاحبكم للإيماء إلى أن حاله ﷺ مشهور بينهم لأنه نشأ بين أظهرهم معروف بما ذكرنا) (١).

وجمع الشنقيطي في أضواء البيان ما بيَّن الله به هذه الآية الكريمة من الآيات عند قوله تعالى في سورة المؤمنون :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾(٢).

فقال بعد أن بين أوجه الإعراب في هذا الاستفهام الإنكاري الذي صدرت به الآية : (تتضمن الآية الإنكار على الكفار في دعواهم : أن نبينا ﷺ به جنة : أي جنون ، يعنون : أن هذا الحق الذي جاءهم به هذيان مجنون ، قبحهم الله ما أجحدهم للحق ، وما أكفرهم ، ودعواهم عليه هذه أنه مجنون كذبها الله هنا بقوله : ﴿ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ ﴾

---

(١) روح المعاني ٢٢/١٥٤ ، ١٥٥.   (٢) المؤمنون آية (٧٠).

فالإضراب ببل إبطالى ، والمعنى : ليس بمجنون بل هو رسول كريم جاءكم بالحق الواضح ، المؤيد بالمعجزات الذى يعرف كل عاقل أنه حق ولكن عاندتم وكفرتم لشدة كراهيتكم للحق، وما نفته هذه الآية الكريمة من دعواهم عليه الجنون صرح الله بنفيه فى مواضع أخر كقوله تعالى :

﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ (٢٢) ﴾(١).

وقوله تعالى :

﴿ .. فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ (٢٩) ﴾(٢).

وهذا الجنون الذى افترى على آخر الأنبياء ، افترى أيضاً على أولهم، كما قال تعالى فى هذه السورة الكريمة عن قوم نوح أنهم قالوا فيه :

﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ (٢٥) ﴾(٣).

قد بين فى موضع آخر أن الله لم يرسل رسولا إلا قال قومه : إنه ساحر ، أو مجنون ، كأنهم اجتمعوا فتواصوا على ذلك لتواطىء أقوالهم لرسلهم عليه ، وذلك فى قوله تعالى :

﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣) ﴾(٤).

فبين أن سبب تواطئهم على ذلك ليس التواصى به ، لاختلاف أزمنتهم ، وأمكنتهم . ولكن الذى جمعهم على ذلك هو مشابهة بعضهم لبعض فى الطغيان ، وقد أوضح هذا المعنى فى سورة البقرة فى قوله :

(١) التكوير آية (٢٢) .

(٢) الطور آية (٢٩) .

(٣) المؤمنون آية (٢٥).

(٤) الذاريات آية (٥٢ ، ٥٣) .

﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ .... ﴾[1] .

فهذه الآيات تدل على أن سبب تشابه مقالاتهم لرسلهم ، هو تشابه قلوبهم فى الكفر والطغيان وكراهية الحق ..[2] .

والله أعلـــم ،،

قال الله تعالى :

﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٦٦) ﴾[3] .

قال ابن كثير : المراد بالموعظة هنا الزاجر أى جعلنا ما أحللنا بهؤلاء من البأس والنكال فى مقابلة ما ارتكبوه من محارم الله وما تحيلوا به من الحيل ، فليحذر المتقون صنيعهم لئلا يصيبهم ما أصابهم .

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل »

قال ابن كثير : وهذا إسناد جيد[4] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : يعنى جعلناها بما أحللنا بها من العقوبة عبرة لما حولها من القرى. أى ما بين يديها من القرى وما خلفها من القرى. ومن بحضرتها من الناس يومئذ أى جعلهم عبرة ونكالاً لمن فى زمانهم، وموعظة لمن يأتى بعدهم بالخبرالمتواترعنهم، وموعظة للمتقين الذين من بعدهم إلى يوم القيامة فيتقون نقمة الله ويحذرونها[5] .

---

(١) البقرة آية (١١٨).

(٢) أضواء البيان ٨٠١/٥ ، ٨٠٢.

(٣) البقرة آية (٦٦).

(٤) ابن كثير ١٠٧/١ .

(٥) نفسه باختصار.

ويرى الشوكانى : (أن الأظهر أن الضمير فى قوله تعالى) :
﴿ فَجَعَلْنَاهَا ﴾ وقوله ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ عائد إلى العقوبة لا إلى القرية أو الأمة أو القردة أوالحيتان كما قال بذلك بعض المفسرين.

وأن النكال : الزجر والعقاب ، والنكل : القيد لأنه يمنع صاحبه ، ويقال للجام الدابة نكل لأنه : يمنعها ، والموعظة مأخوذة من الأتعاظ والانزجار ، والوعظ : التخويف، وقال الخليل: الوعظ التذكير بالخير[1] .

عن ابن عباس : الهاء والألف فى قوله تعالى ﴿ فَجَعَلْنَاهَا ﴾ عائدة على تلك العقوبة - وهى المسخه - « نكلا » .

فهى كناية عن المسخة ، وهى « فعلة » من مسخهم الله مَسخةً .
قال الطبرى : (فمعنى الكلام على هذا التأويل : فقلنا لهم: كونوا قردة خاسئين فصاروا قردة ممسوخين « فجعلناها » ، فجعلنا عقوبتنا ومسخنا إياهم ، « نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين » وقيل عائدة على الحيتان التى كانوا يضعون لها الشبك يوم السبت ويأخذونها يوم الأحد تحايلاً على الصيد يوم السبت المحرم عليهم .
﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾ الآية [2] .

وقيل عائدة على القرية التى كانوا فيها ، أو بمعنى فجعلنا الأمة التى اعتدت فى السبت ﴿ نَكَالاً ﴾ أى عقوبة ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ أى ليحذر من بعدهم عقوبتى من الذين كانوا بقوا معهم ، وعقوبة لما خلا لهم من الذنوب وعبرة لمن بقى من الناس أن يعمل بها عامل ، فيمسخوا مثل ما مسخوا ، وأن يحل بهم مثل الذى حل بهم ، تحذيراً من

---

(١) فتح القدير ١/٩٦ .
(٢) البقرة آية (٦٥) .

الله تعالى ذكره عباده أن يأتوا من معاصيه الذى أتى الممسوخون، فيعاقبوا عقوبتهم » [1].

قال الطبرى : (فتأويل الآية : فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وتذكرة للمتقين، ليتعظوا بها ويعتبروا، ويتذكروا بها ، وأما « المتقون »فهم الذين اتقوا الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ، فالمؤمنون الذين يتقون الشرك ويعملون بالطاعة هم المتعظون حقاً بما جاء عن الله تعالى من عقوبة وإهلاك لمن كذب رسله ، « ما حل بالذين اعتدوا فى السبت من عقوبته، موعظة للمتقين خاصة وعبرة للمؤمنين دون الكافرين به إلى يوم القيامة » [2].

ويقول ابن عطية : (والنَّكالُ : الزَّجْرُ والعقاب ، والنَّكْلُ والأنكال قيود الحديد ، فالنَّكال عقاب يُنْكل بسببه غير المعاقب عن أن يفعل مثل ذلك الفعل) .

وقد استجود قول السدى : (أن المراد ما بين يدى المسخة ما قبلها من ذنوب القوم ، وما خلفها لمن يذنب بعدها مثل تلك الذنوب) .

قال:﴿ وَمَوْعِظَةً ﴾ مَفْعِلَة من الاتعاظ والازدجار، و﴿ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ معناه : (للذين نهوا ونجوا ، وقالت فرقة : معناه لأمة محمد ﷺ ، واللفظ يعم كل متق من كل أمة) [3] .

قال القرطبى : وسميت القيود أنكالاً لأنها يُنْكل بها ، أى يمنع .. والتنكيل : إصابة الأعداء بعقوبة تنكِّل من وراءهم ، أى تجنبهم .

قوله تعالى: ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

---

(١) تفسير الطبرى بتصرف ٢/١٧٥ ـ ١٨١ .

(٢) نفسه .

(٣) المحرر الوجيز ١/ ٣٨٨/٢٢٩ وراجع القرطبى ١/٤٤٣ ، ٤٤٤ .

عطف على نكال ، ووزنها مَفْعله من الاتعاظ والانزجار. والوعظ : التخويف . والعظة الاسم . قال الخليل : الوعظ التذكير بالخير فيما يرق له القلب .

قال الماوردى : وخص المتقين وإن كانت موعظة للعالمين لتفردهم بها عن الكافرين المعاندين ..

وقال الزجاج : ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ لأمة محمد ﷺ أن ينتهكوا من حرم الله جل وعز ما نهاهم عنه ، فيصيبهم ما أصاب أصحاب السبت إذا انتهكوا حرم الله فى سبتهم [1] .

ويقول النسفى : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا ﴾ : يعني المسخة . ﴿ نَكَالًا ﴾: عبرة تنكل من اعتبرها أى تمنعه . ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ لما قبلها . ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ وما بعدها من الأمم والقرون لأن مسختهم ذكرت فى كتب الأولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين . ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ : الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحى قومهم أو لكل متق سمعه [2] .

ويوضح الآلوسى قوله تعالى: ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾بقوله: الموعظة ما يذكر مما يلين القلب ـ ثواباً كان أو عقاباً ـ والمراد (بالمتقين) ما يعم كل متق من كل أمة ... ويحتمل أنهم اتعظوا بذلك وخافوا عن ارتكاب خلاف ما أمروا به ، ويحتمل أنهم وعظ بعضهم بعضاً بهذه الواقعة .

وحظ العارف من هذه القصة أن يعرف أن الله سبحانه وتعالى خلق الناس لعبادته وجعلهم بحيث لو أهملوا وتركوا وخلوا بينهم وبين طباعهم لتوغلوا وانهمكوا فى اللذات الجسمانية والغواشى الظلمانية لضروراتهم لها واعتيادهم من الطفولية عليها، (والنفس

---

(١) القرطبى ٤٤٤/١ .

(٢) تفسير النسفى ٥٣/١ .

كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم) فوضع الله تعالى العبادات ، وفرض عليهم تكرارها فى الأوقات المعينة ليزول عنهم بها درن الطباع المتراكم فى أوقات الغفلات وظلمة الشواغل العارضة فى أزمنة ارتكاب الشهوات ... فليجهد المرء على حفظ إنسانيته ، وتدبير صحته بشراب الأدوية الشرعية والمعاجين الحكمية ، وليحث نفسه بالمواعظ الوعدية والوعيدية .

هى النفس إن تهمل تلازم خساسة

وإن تنبعث نحو الفضائل تلهج [(١)]

٤- قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٣٤) ﴾ [(٢)] .

بعد نهى الله تعالى لرجال كانوا فى الجاهلية يكرهون فتياتهم المملوكات لهم على البغاء والزنا طلبا لعرض زائل من المال (عدد تعالى - كما يقول ابن عطية - على المؤمنين نعمته فيما أنزل إليهم من الآيات المنيرات ، وفيما ضرب لهم من أمثال الماضين من الأمم ليقع التحفظ مما وقع أولئك فيه ، وفيما ذكر لهم من المواعظ . وقرىء قوله تعالى:

﴿ مُّبَيَّنَات ﴾ بفتح الياء ، (أى بينها الله تعالى وأوضحها) .

وقرىء ﴿ مُّبَيِّنَات ﴾ بكسر الياء، أى :(بينت الحق وأوضحته)[(٣)] .

قال ابن كثير : (ولما فصَّل تبارك وتعالى هذه الأحكام وبيَّنها -

---

(١) روح المعانى ٢٨٤/١ ، ٢٨٥ . (٢) سورة النور الآية (٣٤).

(٣) المحرر الوجيز ٥٠٣/١٠ وقارن بما فى القرطبى ٢٥٥/١٢ .

يعنى ما قبل هذه الآية - قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ ﴾: يعنى القرآن فيه آيات واضحات مفسرات .

﴿ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ ﴾ : أى خبرا عن الأمم الماضية وما حل بهم فى مخالفتهم أوامر الله تعالى كما قال تعالى :

﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ (٥٦) ﴾ (١) .

أى زاجرا عن ارتكاب المآثم والمحارم ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ أى لمن اتقى الله وخافه . قال على بن ابى طالب رضي الله عنه فى وصفه القرآن: (فيه حكم ما بينكم وخبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله) (٢) .

يقول الشوكانى : (ولما فرغ سبحانه من بيان تلك الأحكام ، شرع فى وصف القرآن بصفات ثلاث) :

الأولى :أنه آيات مبينات: أى واضحات فى أنفسهن أو موضحات ، فتدخل الآيات المذكوة فى هذه السورة دخولا أوليا .

والصفة الثانية : كونه مثلا من الذين خلوا من قبل هؤلاء : أى مثلا كائنا من جهة أمثال الذين مضوا من القصص العجيبة ، والأمثال المضروبة لهم فى الكتب السابقة ، فإن العجب من قصة عائشة رضى الله عنها ، هو كالعجب من قصة يوسف ومريم وما اتهما به ، ثم تبين بطلانه وبراءتهما سلام الله عليهما .

---

(١) الزخرف الآية (٥٦) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٨٩/٣ وانظر كتاب فضائل القرآن من الفتح الربانى لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى ٢/١٨ ، ٣ .

والصفة الثالثة : كونه (موعظة) : (ينتفع بها المتقون خاصة ، فيقتدون بما فيه من الأوامر ، وينزجرون عما فيه من النواهى ، وأما غير المتقين ، فإن الله قد ختم على قلوبهم ، وجعل على أبصارهم غشاوة عن سماع المواعظ والاعتبار بقصص الذين خلوا ، وفهم ما تشتمل عليه الآيات البينات) [(١)].

ويتلخص من كلام الآلوسى كلام قريب من هذا حيث يقول :

١ـ ﴿ ولَقَدْ أَنـزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ ﴾ : (كلام مستأنف جيء به فى تضاعيف ما ورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان جلالة شؤونها المستوجبة للإقبال الكلى على العمل بمضمونها ، وصدر بالقسم المعرب عن عنه باللام لإبراز كمال العناية بشأنه ، أى وبالله لقد أنزلنا إليكم فى هذه السورة الكريمة آيات مبينات لكل ما لكم حاجة إلى بيانه من الحدود وسائر الأحكام والآداب وغير ذلك...) .

٢ـ ﴿ ومَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ ﴾ :عطف على (آيات) أى أنزلنا مثلا كائنا من قبيل أمثال الذين مضوا من قبلكم من القصص العجيبة والأمثال المضروبة لهم فى الكتب السابقة والكلمات الجارية على السنة الأنبياء عليهم السلام فينتظم قصة عائشة رضي الله عنها المحاكية لقصة يوسف عليه السلام وقصة مريم رضي الله عنها حيث أسند إليهما مثل ما أسند إلى عائشة من الإفك فبرأهما الله تعالى منه ...

٣ـ ﴿ وَمَوْعِظَةً ﴾ تتعظون بها وتنزجرون عما لا ينبغى من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب... وقد خصت الآيات

---

(١) فتح القدير ٣٠/٤ .

بما يبين الحدود والأحكام ، والموعظة بما يتعظ به كقوله تعالى :

﴿ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ [1] .

٤- (وقيدت الموعظة بقوله سبحانه ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ شمولها للكل حسب شموله الإنزال حثاً للمخاطبين على الاغتنام بالانتظام في سلك المتقين ببيان أنهم المغتنمون لآثارها المقتبسون من أنوارها فحسب .

٥- وقيل : المراد بالآيات المبينات والمثل والموعظة جميع ما فى القرآن المجيد من الآيات والأمثال والمواعظ [2] .

وقد فسر الشنقيطى فى أضواء البيان هذه الآية وجمع نظائرها ونقل عن أئمة التفسير واللغة فى ذلك ووجه ما يحتاج إلى توجيه من كلامهم رحمة الله عليهم جميعاً ومن ذلك قوله : (ذكر الله جل وعلا فى هذه الآية الكريمة : أنه أنزل إلينا على لسان نبيه ﷺ آيات مبينات ، ويدخل فيها دخولا أولياً الآيات التى بينت فى هذه السورة الكريمة ، وأوضحت فى معانى الأحكام والحدود ، ودليل ما ذكر من القرآن قوله تعالى :

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١) ﴾ [3] .

ولا شك أن هذه الآيات المبينات المصرح بنزولها فى هذه السورة الكريمة ، داخلة فى قوله تعالى هنا :

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ ﴾ الآية .

---

(١) سورة النور آية (٢) .

(٢) روح المعانى ١٨/١٥٩ ، ١٦٠ وقارن بما فى النسفى ٣/١٤٤ .

(٣) سورة النور آية (١) .

ويشرح الشيخ الأمين رحمه الله مراده بذلك فيقول :

وبذلك تعلم أن قوله تعالى هنا: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ ﴾ معناه أنزلناها إليكم لعلكم تذكرون : أى تتعظون بما فيها من الأوامر والنواهى ، والمواعظ، ويدل لذلك قوله تعالى :

﴿ وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

فقد صرح فى هذه الآية الكريمة بأن من حكم إنزالها أن يتذكر الناس ، ويتعظوا بما فيها . ويدل لذلك عموم قوله تعالى :

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٢٩) ﴾ (٢) .

وقوله تعالى :

﴿ الـمـص (١) كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) ﴾ (٣) .

إلى غير ذلك من الآيات . وقوله تعالى فى هذه الآية الكريمة :

﴿ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ ﴾ معطوف على آيات : أى أنزلنا إليكم آيات وأنزلنا إليكم ﴿ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (٤) . وبعد ان بيّن رحمه الله المثل المضروب لنا من القصص العجيبة من خلال تتبع الآيات الكريمات فى ذلك ووضح بصريح القرآن براءة يوسف ومريم وعائشة أم المؤمنين عليهم وعلى نبينا السلام (٥) .

قال : وقوله تعالى فى هذه الآية الكريمة : ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾:

---

(١) سورة النور آية (١) .
(٢) سورة ص آية (٢٩) .
(٣) سورة الأعراف الآيتان (١ ، ٢)
(٤) أضواء البيان ٦/ ٢٢٠ ، ٢٢١ .
(٥) أضواء البيان ٢٢١ ، ٢٢٣ .

قال الزمخشري : (وموعظة ما وعظ به من الآيات والمثل من نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾[1] . ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾[2] . ﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ [3] . ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا ﴾[4] أ . هـ كلام الزمخشري

والظاهر أن وجه خصوص الموعظة بالمتقين دون غيرهم أنهم هم المنتفعون بها .

ونظيره فى القرآن قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ﴾[5] .

وقوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا (٤٥) ﴾[6] .

فخص الانذار بمن ذكر فى الآيات ، لأنهم هم المنتفعون به مع أنه فى الحقيقة منذر لجميع الناس كما قال تعالى :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾[7] .

ونظيره أيضا قوله تعالى :

﴿ ... فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥) ﴾[8] .

ونحوها من الآيات[9] .

---

(١) النور آية (٢) .
(٢) النور آية (١٢) .
(٣) سورة النور آية (١٦) .
(٤) سورة النور آية (١٧) .
(٥) سورة فاطر آية (١٨) .
(٦) سورة النازعات آية (٤٥) .
(٧) سورة الفرقان آية (١)
(٨) سورة ق آية (٤٥) .
(٩) أضواء البيان ٢٢٣/٦ ، ٢٢٤ .

٥- قال الله تعالى :

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) ﴾[١] .

اختلف العلماء فى المشار إليه (بهذا) فى الآية الكريمة على قولين :

أولهما : (أن المشار إليه بهذا : القرآن الكريم لما فيه من العلم والهدى والبيان والموعظة الحسنة التى يتعظ بها المتقون روى هذا المعنى الطبرى فى تفسيره فقال : (عن قتادة : قوله تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾ وهو هذا القرآن ، جعله الله بياناً للناس عامة ، وهدى وموعظة للمتقين خصوصاً) .

وثانيهما : أن الإشارة بـ ﴿ هَذَا ﴾ إلى ما سبق الآية الكريمة من إخبار الله تعالى لنبيه ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم بما كان قبلهم من أمم مكذبة أهلكها الله على سنته فى المكذبين المعاندين لرسله ، واستصوب هذا القول ابن جرير الطبرى فقال : (وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب ، قول من قال : قوله ﴿ هَذَا ﴾ ، إشارة إلى ما تقدم هذه الآية من تذكير لله جل ثناؤه المؤمنين ، وتعريفهم حدوده، وحضهم على لزوم طاعته والصبر على جهاد أعدائه وأعدائهم) .

قال: (وأما قوله : ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ ﴾ فإنه يعنى بالهدى، الدلالة على سبيل الحق ومنهج الدين. وبالموعظة، التذكرة للصواب والرشاد)[٢].
فالقرآن الكريم وما قصه الله فيه من بيان وشرح وتفسير للناس إذا قبلوه وعملوا به خرجوا من العمى إلى العلم والنور ، وإلى الهدى من الضلالة ومن الغفلة وقساوة القلوب إلى الموعظة والطاعة والتقوى .

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٣٨) .
(٢) الطبرى ٢٣١/٧ ، ٢٣٣ .

وفسر ابن هشام هذه الآية باختصار فقال :

(أى هذا تفسير للناس إن قبلوا الهدى ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ ﴾: أى نور وأدب (لِّلْمُتَّقِينَ) أى لمن أطاعنى وعرف أمرى) [١].

وقريب منه تفسير القاضى ابن عطية إذ يقول : (كونه بيانا للناس ظاهر ، وهو فى ذاته أيضا هدى منصوب وموعظة ، لكن من عمى بالكفر وضل وقسا قلبه لا يحسن أن يضاف إليه القرآن ، وتحسن إضافته إلى المتقين الذين منهم نفع وإياهم هدى) [٢].

ويجمل النسفى معانى هذه الآية بقوله : ﴿ هذا ﴾ : أى القرآن أو ما تقدم ذكره ﴿ بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى ﴾ : أى إرشاد ﴿ وَمَوْعِظَةٌ ﴾ : ترغيب وترهيب ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ : عن الشرك) [٣].

ويبسط الشوكانى أكثر فى تفسير هذه الآية فيقول : (والإشارة بقوله : ﴿ هذا ﴾ إلى قوله : ﴿ قَدْ خَلَتْ ﴾ وقال الحسن : إلى القرآن ﴿ بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾: أى تبيين لهم، وتعريف الناس للعهد وهم المكذبون، أو للجنس : أى للمكذبين وغيرهم ، وفيه حث على النظر فى سوء عاقبة المكذبين وما انتهى إليه أمرهم قوله : ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ ﴾ : أى هذا النظر مع كونه بيانا فيه هدى وموعظة للمتقين من المؤمنين ، فعطف الهدى والموعظة على البيان يدل على التغاير ولو باعتبار المتعلق .

وبيانه أن اللام فى الناس إن كانت للعهد فالبيان للمكذبين والهدى والموعظة للمؤمنين ، وإن كان للجنس فالبيان لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم والهدى والموعظة للمتقين وحدهم) [٤].

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/١١٠. (٢) المحرر الوجيز ٣/٣٣٤ .

(٣) تفسير النسفى ١/١٨٤ .

(٤) فتح القدير ١/٣٨٤ وقارن بما فى روح المعانى للآلوسى ٤/٦٥، ٦٦ .

(ويدل كلام ابن كثير على أنه يرجح أن الإشارة فى الآية الكريمة إلى القرآن الكريم حيث يقول : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاس ﴾ : يعنى القرآن فيه بيان الأمور على جليتها ، وكيف كان الأمم الأقدمون مع أعدائهم ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَة ﴾ : يعنى القرآن فيه خبر ما قبلكم وهدى لقلوبكم وموعظة : أى زاجر عن المحارم والمآثم)[1] .

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٤٠٨ .

٦ـ قال الله تعالى :

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) ﴾ (١) .

يوضح تعالى فى هذه الآية الكريمة أنه أرسل عيسى ابن مريم إثر من تقدمه من أنبياء الله تعالى مصدقاً لهم فيما جاؤا به عن الله تعالى ، وقد أنزل الله عليه إنجيلاً زيادة على التوراة التى يعمل بها ويدعو إليها اتباعاً وتصديقاً لها ولموسى عليه السلام وهذا الإنجيل فيه هدى ونور وهدى وموعظة للمتقين .

يقول ابن جرير رحمه الله تعالى فى بيان ذلك : (يقول أوحينا إليه ذلك وأنزلناه إليه بتصديق ما كان قبله من كتب الله التى كان أنزلها على كل أمة أنزل إلى نبيها كتاب للعمل بما أنزل إلى نبيهم فى ذلك الكتاب ، من تحليل ما حلل ، وتحريم ما حرم ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ وبيان لحكم الله الذى ارتضاه لعباده المتقين فى زمان عيسى، ما يحبه من الأعمال وتنبيها لهم عليه) (٢) .

قال القرطبى :

(أى جعلنا عيسى يقفوا آثارهم ، أى آثار النبيين الذين أسلموا ومتبعاً للتوارة فيما لم ينزل عليه فيه نسخ فآتاه الله الإنجيل مستقراً فيه هدى ونور وهادياً واعظاً للمتقين وخصهم لأنهم المنتفعون بهما) (٣) .

ويقرب منه كلام ابن عطية فى معنى الهدى والموعظة إذ يقول : (والهدى : الإرشاد والدعاء إلى توحيد الله وإحياء أحكامه . والنور : ما

---

(١) سورة المائدة الآية (٤٦) . (٢) تفسير الطبرى ١٠/٣٧٣ .

(٣) القرطبى ٦/٢٠٨ ، ٢٠٩ .

فيه مما يستضاء به .. وخص المتقون بالذكر لأنهم المقصود به فى علم الله ، وإن كان الجميع يدعى ويوعظ ولكن ذلك على غير المتقين عمى وحيرة) .

أما ابن كثير فإنه يتتبع الآية جملة جملة فيقول فى تفسيره لهـا : (يقول تعالى : ﴿ وَقَفَّيْنَا ﴾ : أى أتبعنا على آثارهم يعنى أنبياء بنى اسرائيل : ﴿ بعيسى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾ : أى مؤمناً بها حاكماً بما فيها ﴿ وآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ أى هدى إلى الحق ونور يستضاء به فى إزالة الشبهات وحل المشكلات ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾ : أى متبعاً لها غير مخالف لما فيها إلا فى القليل مما بيّن لبنى إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه كما قال تعالى إخباراً عن المسيح أنه قال لبنى إسرائيل : ﴿ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [(١)] .

ولهذا كان المشهور من قول العلماء أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة وقوله تعالى ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ : أى وجعلنا الإنجيل هدى يهتدى به وموعظة أى زاجراً عن ارتكاب المحارم والآثام للمتقين أى لمن اتقى الله وخاف وعيده وعقابه [(٢)] .

ويتلخص من كلام الشوكانى :

١) ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ : هذا شروع فى بيان حكم الإنجيل بعد بيان حكم التوراة : أى جعلنا عيسى ابن مريم يقفوا آثارهم : أى آثار النبيين الذين أسلموا من بنى إسرائيل .

٢) ﴿ وآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ : أى أن الإنجيل أوتيه

---

(١) سورة آل عمران آية (٥٠) .

(٢) تفسير ابن كثير ٦٤/٢ .

عيسى حال كونه مشتملاً على الهدى والنور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة .

٣) ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ : (أى داخل تحت حكمه منضما إليه : أى مصدقاً وهادياً وواعظاً للمتقين) [١].

وبنحو ما تقدم فسر النسفى [٢]. والآلوسى هذه الآية وزاد الآولسى عند : ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ قوله :- وجعل كله هدى - بعد ما جعل مشملاً عليه - مبالغة فى التنويه بشأنه لما أن فيه البشارة بنبينا ﷺ أظهر ، وتخصيص المتقين بالذكر لأنهم المهتدون بهداه المنتفعون بجدواه) [٤].

بين يدى الآية الكريمة :

هذه آية عظيمة يسجل الله تعالى فيها على كليمه موسى عليه السلام ومن بعث إليهم من بنى إسرائيل منته عليهم - وله الفضل والمن - بما كتب لهم فى الألواح من العلم النافع المفصل والموعظة الحسنة البالغة ، وأمره لهم بأخذ ذلك بإيمان قوى وعمل جاد بأحسن ما أمروا به حسب الاستطاعة إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها . ثم إنه تعالى تهدد من لم يأخذ كتابه بقوة بأن يريه دار الفاسقين التى هى النار فى الآخرة بعد الهلاك والخراب فى الدنيا ، ولئن كان موسى عليه السلام أعطى ذلك وأمر به فإن لنا فيه عبرة وعظة مع ما امتن الله تعالى علينا به حيث أنزل لنا هذا عن كليمه فى كتابه الذى قال لنا فى وصفه :

---

(١) فتح القدير ٤٧/٢ .

(٢) المذكور ٢٨٥/١ .

(٣) روح المعانى ١٥٠/٦.

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ (١) .

وقال جل وعلا ممتنا علينا مخاطبا نبينا ﷺ :

﴿ ... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩) ﴾ (٢) .

وإنك أخى إذا علمت أنك تخاطب بأخذ الكتاب بقوة والعمل بما فيه من الأحكام المفصلة والاعتبار بما فيه من العظات الحسنة لمطالب بدعوة الناس إلى ذلك الخير الذى هيئه الله لك لتكون من الشاكرين إذ زكاة العلم بذله والدعوة إليه والصبر على الأذى فى ذلك ، وفقنى الله وإياك وجميع الدعاة الناصحين .

---

(١) سورة الأنعام آية (٣٨) .

(٢) سورة النحل آية (٨٩) .

٧ـ قال الله تعالى :

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (١٤٥) ﴾ (١).

تفسير الآية :

كتب الله لموسى فى ألواحه من التذكير والتنبيه على عظمته عز وجل موعظة لقومه ومن أمر بالعمل بما كتب فى الألواح وتبيانا لكل شىء من أمر الله ونهيه من الحلال والحرام وأمره تعالى له أن يأخذ هو وقومه بما فيها بجد واجتهاد طاعة لله تعالى وتوحيداً له جل وعلا وعملاً بأحسن ما فى الألواح.

قال أبو جعفر الطبرى رحمه الله : (يقول تعالى ذكره لموسى ، إذ كتب فى الألواح من كل شىء: خذها بجد فى العمل بما فيها واجتهاد وأمر قومك يأخذوا بأحسن ما فيها ، وانههم عن تضييعها وتضييع العمل بما فيها والشرك بى فإن من أشرك بى منهم ومن غيرهم ، فإنى سأريه فى الآخرة عند مصيره إلى دار الفاسقين وهى نار الله التى أعدها لأعدائه (٢).

وفى معرض المن من الله تعالى على كليمه موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام يخبر تعالى أنه كتب له فى الألواح مواعظ وأحكاما مفصلة مبينة للحلال والحرام . وهل هذه الألواح كانت قبل التوراة أم مشتملة عليها على معنى قول الله تعالى :

---

(١) سورة الأعراف آية (١٤٥) .

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن لابن جرير الطبرى ١٠٦/١٣٠ - ١١٢ .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ ﴾ (١) .

- خلاف بين أهل التفسير فالله أعلم ، وعلى كل تقدير على ما يقول الحافظ ابن كثير فإنها : (كانت كالتعويض له عما سأل من الرؤيا ومنع منها) (٢) . على أن الآية ناصة على أمر الله تعالى له ولقومه بالأخذ بما فى الألواح بعزم على الطاعة وأن من لم يأخذ بما جاءه عن الله سيرى ويورد دار الفاسقين التى هى جهنم والعياذ بالله منها .

ومن تفسير القرطبى ملخصاً :

١- أضاف - الله تعالى - الكتابة إلى نفسه على جهة التشريف ، إذ هى مكتوبة بأمره كتبها جبريل - عليه السلام - بالقلم الذى كتب به الذكر .

٢- وقيل : هى كتابة أظهرها الله وخلقها فى الألواح .

٣- وأصل اللوح لوح بفتح اللام قال الله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢) ﴾ (٣) . فكأن اللوح تلوح فيه المعانى .

٤- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الألواح تكسرت حين ألقاها موسى عليه السلام فرفعت إلا سدسها ، وقيل بقى سبعها .

٥- فكان فى الذى رفع تفصيل كل شىء وفى الذى بقى الهدى والرحمة .

٦- عن عمرو بن دينار قال:بلغنى أن موسى بن عمران نبى الله ﷺ

---

(١) سورة القصص آية (٤٣) .

(٢) تفسير القرآن العظيم لأبى الفداء الحافظ ابن كثير ٢٤٦/٢ .

(٣) سورة البروج آية (٢١ ، ٢٢) .

صام أربعين ليلة، فلما ألقى الألواح تكسرت فصام مثلها فردت عليه.

٧ـ معنى قوله تعالى : ﴿ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ : مما يحتاج إليه فى دينه من الأحكام وتبيين الحلال والحرام.

٨ـ وقيل هو لفظ يذكر تفخيما ولا يراد به التعميم على معنى قوله تعالى ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [١]. ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [٢].

٩ـ معنى قوله تعالى : ﴿ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ : أى لكل شىء أمروا به من الأحكام ، فإنه لم يكن عندهم اجتهاد ، وإنما خص بذلك أمة محمد ﷺ.

١٠ـ معنى قوله تعالى : ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾: فى الكلام حذف هو: أى فقلنا له : خذها بقوة أى بجد ونشاط على معنى قوله تعالى ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ ﴾ [٣].

١١ـ معنى قوله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ : أى يعملوا بالأوامر ويتركوا النواهى ، ويتدبروا الأمثال والمواعظ على معنى قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ [٤] وقوله : ﴿ فيتبعون أحسنه ﴾ [٥]. والعفو أحسن من القصاص . والصبر أحسن من الانتصار .

١٢ـ معنى قوله تعالى : ﴿ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ قيل الشام وقيل مصر وقيل جهنم وقيل منازل الكافرين الذين أهلكهم الله على الكفر والعياذ بالله .

---

(١) سورة الأحقاف آية (٢٥) .
(٢) سورة النمل آية (٢٣) .
(٣) سورة الأعراف آية (١٧١).
(٤) سورة الزمر آية (٥٥) .
(٥) القرطبى ٧/٢٨١ ـ ٢٨٢ ملخصا.

قال ابن عطية : قوله : ﴿ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ لفظه عموم ، والمراد به كل شيء ينفع فى معنى الشرع ويحتاج إليه فى المصلحة .. ما أمروا به ونهوا عنه من الحلال والحرام .

قوله : ﴿ بِقُوَّة ﴾ معناه : بجد وصبر عليها واحتمال لمؤنتها ، .. وقال ابن عباس ﷺ: أمر موسى عليه السلام أن يأخذ بأشد مما أخذ به قومه [1].

قال الشوكانى قوله : ﴿ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ : أي من كل ما يحتاج إليه بنو إسرائيل فى دينهم ودنياهم . قوله : ﴿ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً ﴾ : أى موعظة لمن يتعظ بها من بنى إسرائيل وغيرهم وتفصيلا للأحكام المحتاجة إلى التفصيل [2].

ويلاحظ أن الشوكانى أخذ على بعض من علماء السلف أخذهم بالإسرائليات فى نوع الألواح وعددها لأنه لا وحى عندهم فى ذلك عن النبى ﷺ وما صرح به القرآن الكريم يغنى عن الرواية عن أهل الكتاب فيها .

وأما النسفى فإنه يقول : (الألواح التوراة جمع لوح وكانت عشرة ألواح وقيل سبعة .. قوله تعالى : ﴿ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ قال : والمعنى : كتبنا له كل شيء كان بنو إسرائيل محتاجين إليه فى دينهم من المواعظ وتفصيل الأحكام . وقيل أنزلت التوراة وهى سبعون وقر بعير لم يقرأها كلها إلا أربعة نفر : موسى ويوشع وعزير وعيسى - عليهم السلام - قوله : ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ : بجد وعزيمة فعل أولى العزم من الرسل [3].

---

(١) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لأبى محمد عبد الحق بن عطيه الأندلسى ٦/٧٤ - ٧٥ .

(٢) فتح القدير للشوكانى ٢/٢٤٤ .

(٣) تفسير النسفى ، ٢/٧٦ .

بين يدى الآية الكريمة :

أخى الكريم اعلم أن الكفار عاندوا الحق كثيرا وأثاروا شبها كثيرة واقترحوا على أنبياء الله تعالى مقترحات عديدة حتى حكى الله عنهم هذا المقترح وأجاب عنه جل وعلا فقال جل من قائل عليما :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً (٣٢) وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣) ﴾ (٣٢، ٣٣) الفرقان .

فكما أن من حكم تنزل القرآن منجما مفرقا حسب الوقائع والأحداث والتدرج - أن يكون تثبيتاً لفؤاد النبى ﷺ والإتيان بحل النوازل حين وقتها والإجابة عن الإشكاليات والمقترحات والتدرج فى معالجة العقائد المترسبة والعادات المستحكمة فإنه قص أحسن القصص عظة وعبرة لتثبيت فؤاد النبى ﷺ وذكرى للمؤمنين الذين يكابدون شئون الدعوة إلى الله تعالى ويخوضون غمار معالجة الإصلاح والوقوف فى وجه الفساد العقادى والخلقى . وبهذه الآية الكريمة وما جلبناه لك من تفاسير العلماء لها تستطيع بإذن الله تعالى أن تفهم أن الله تعالى قص علينا فى كتابه أخبار الأنبياء عظة وعبرة وتسلية وترغيبا وترهيبا وتصبيرا وتثبيتا على الحق وطلبه وتحصيله والصبر على الأذى فيه . فإذا فهمت ذلك فحرى بك أن تفهمه غيرك حيث إنه موضوع ذا أهمية بالغة وبين يديك إضاءة تعينك بعد توفيق الله على الاستزادة من العلم النافع والعمل الصالح . وفقنى الله وإياك وجميع المسلمين .

٨ ـ قال الله تعالى :

﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) ﴾[1] .

يبين الله تعالى لنبيه ﷺ الحكمة فى إنزال أنباء الرسل السابقين وقص أخبارهم مع أممهم وما نالهم من المكذبين بطبقاتهم المختلفة ، وما واجه الأنبياء به أذى أقوامهم من صبر وتحمل فقال له : ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ يا محمد مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ الذين كانوا قبلك مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ فلا تجزع من تكذيب من كذبك من قومك ، ورد عليك ما جئتهم به ، ولا يضيق صدرك ، فتترك بعض ما أنزل عليك من أجل أن قالوا : ﴿ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾[2] إذا علمت ما لقى من قبلك من رسلى من أممها .. فإنما قصصنا عليك لتعلم ما لقيت الرسل قبلك من أممهم) وإن أكثر تتابع لقصص الأنبياء والمرسلين وما حل بأقوامهم المكذبين وما امتن الله تعالى به على رسله من النجاة الدالة على قدرته وتصرفه المطلق فى خلقه حيث يهلك أمما بالماء الذى به حياتهم ولا يستغنون عنه ، وآخرين بالخسف وقلب الأرض بهم مع ما أعطاهم من القوة التى بها ينحتون من الجبال بيوتاً فارهين ، وأهلك آخرين أثاروا الأرض وعمروها واعتقدوا الخلود فيها ، أقول أكثر أخبار الأنبياء الذين أهلك الله أممهم لتكذيبهم جاء فى هذه السورة لأن الله تعالى ذكر لنا فيها هلاك قوم نوح ونجاته ومن آمن معه وهلاك قوم هود وقوم صالح وقوم لوط وشعيب وموسى وغيرهم لذا قال تعالى لنبيه ﷺ :﴿ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ﴾أى فى هذه السورة مع أن الحق جاءه فى كل الوحى الذى أوحاه

---

(١) سورة هود آية (١٢٠) .

(٢) سورة هود آية (١٢) .

الله إليه [1] .

قال ابن جرير : ﴿ مَّوْعِظَةً ﴾: يقول : وجاءك موعظة تعظ الجاهلين بالله ، وتبين لهم عبره ممن كفر به وكذب رسله . ﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾؛ يقول : تذكر المؤمنين بالله ورسله ، كى لا يغفلوا عن الواجب لله عليهم)[2] .

قال ابن كثير : (يقول تعالى وكل أخبار نقصها عليك من أنباء الرسل المتقدمين من قبلك مع أممهم وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل أعداءه الكافرين ، كل هذا مما نثبت به فؤادك يا محمد أى قلبك ليكون لك بمن مضى من إخوانك المرسلين أسوة)[3] .

ويلخص القرطبى معانى هذه الآية فيقول شارحاً مفرداتها بما يأتى :

﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ ﴾ : معناه وكل الذى تحتاج إليه من أنباء الرسل نقص عليك. ﴿ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ ﴾ : أى من أخبارهم وصبرهم على أذى قومهم.

﴿ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ : أى على أداء الرسالة ، والصبر على ما ينالك فيها من الأذى.

﴿ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ﴾ : وخص هذه السورة لأن فيها أخبار الأنبياء والجنة والنار .

﴿ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ : الموعظة ما يتعظ به من إهلاك الأمم الماضية ، والقرون الخالية المكذبة ، وهذا تشريف لهذه السورة ،

(1) تفسير الطبرى ١٥/٥٣٩ وما بعدها. (2) نفسه .
(3) تفسير ابن كثير ٢/٤٦٥،

لأن غيرها من السور قد جاء فيها الحق والموعظة والذكرى ولم يقل فيها كما قال فى هذه على التخصيص .

﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ : (أى يتذكرون ما نزل بمن هلك فيتوبون وخص المؤمنين لأنهم المتعظون إذا سمعوا قصص الأنبياء) [1].

ويقول الشوكانى : ﴿ وَكُلاًّ ﴾ : والمعنى : وكل نبأ من أنباء الرسل مما يحتاج إليه نقص عليك ، أى نخبرك به .

﴿ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ : أى ما نجعل به فؤادك مثبتا بزيادة يقينه بما قصصناه عليك ووفور طمأنينته ، لأن تكاثر الأدلة أثبت للقلب وأرسخ فى النفس وأقوى للعلم .

﴿ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ ﴾ : أى جاءك فى هذه السورة ، أو فى هذه الأنباء والبراهين القاطعة الدالة على صحة المبدأ والمعاد .

﴿ وَمَوْعِظَةٌ ﴾ : يتعظ بها الواقف عليها من المؤمنين .

﴿ وَذِكْرَىٰ ﴾ : يتذكر بها من تفكر فيها منهم ، وخص المؤمنين لكونهم المتأهلين للاتعاظ والتذكر [2].

---

(١) تفسير القرطبى ٩/١١٦.　　(٢) فتح القدير ٢/٥٣٥ .

٩- قال الله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) ﴾ [١].

هذه الآية الكريمة اعتنى العلماء رحمهم الله بتتبع جملها وشرح ألفاظها وبيان أحكامها وذلك لتعلقها بأحكام المعاملات والتجارة والبيع والشراء وما يترتب على ذلك من صحة وفساد ووعد ووعيد ولأن نقل كل كلام المفسرين فيها يطول فإننا لابد أن نورد هنا أهمه وألصقه بمقصود هذا الكتاب المبارك بإذن الله تعالى .

فنقول بعد الاتكال على الله فى حسن الاختيار .

أن ابن جرير شرح معنى الربا لغة وأنه الزيادة والنماء والارتفاع على الأقران والإنافة (وإنما قيل للمربى : (مرب) لتضعيفه المال ، الذى كان له على غريمه حالا ، أو لزيادته عليه فيه لسبب الأجل الذى يؤخره إليه فيزيده إلى أجله الذى كان له قبل حل دينه عليه) ثم أورد بسنده عن مجاهد قال : فى الربا الذى نهى الله عنه : كانوا فى الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدين فيقول : لك كذا وكذا وتؤخر عنى . فيؤخر عنه .

وعن قتادة: أن ربا الجاهلية : يبيع الرجل البيع إلى أجل مسمى، فإذا حل الأجل ولم يكن عند صاحبه قضاء ، زاده وأخر عنه [٢].

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٧٥). (٢) تفسير الطبرى ٦/٧ ، ٨ .

تخبط الشيطان لآكل الربا
هل فى الدنيا أم فى الآخرة ؟

فابن جرير من الذين يذهبون إلى أن مس الشيطان لآكلى الربا الذين ماتوا على ذلك يكون يوم القيامة حيث يكون ذلك علامة عليهم عند قيامهم من قبورهم وإليك نص كلامه ونبذ من رواياته فى ذلك :

(قال أبو جعفر : فقال جل ثناؤه : الذين يربون الربا الذى وصفنا صفته فى الدنيا « لا يقومون » فى الآخرة من قبورهم . « إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » .. يعنى بذلك : يتخبطه الشيطان فى الدنيا ، وهو الذى يخنقه فيصرعه « من المس »، يعنى من الجنون) وعن ابن عباس ﷺ: قال : (ذلك حين يبعث من قبره) وعن مجاهد أن ذلك : (يوم القيامة ، فى أكل الربا فى الدنيا) وعن سعيد بن جبير قال : (يبعث آكل الربا يوم القيامة مجنونا يخنق) .

وعن قتادة قال : (وتلك علامة أهل الربا يوم القيامة ، بعثوا وبهم خبل من الشيطان) وعنه (هو التخبل الذى يتخبله الشيطان من الجنون) .

وعن الضحاك : (قال : من مات وهو يأكل الربا ، بعث يوم القيامة متخبطا ، كالذى يتخبطه الشيطان من المس) [1].

هل يستحق الوعيد من تعامل بالربا ولو لم يأكله ؟

يرى ابن جرير: (أن التحريم من الله فى ذلك كان لكل معانى الربا ، وأن سواءً العمل به وأكله وأخذه وإعطاؤه ، وليس المقصود من

---

(١) تفسير ابن جرير ٦/٩، ١٠.

الربا فى هذه الآية الأكل إلا أن الذى نزلت فيهم هذه الآيات يوم نزلت كانت طعمتهم ومأكلهم من الربا ، فذكرهم بصفتهم معظما بذلك عليهم أمر الربا ، ومقبحا إليهم الحال التى هم عليها فى مطاعمهم و واستدل رحمه الله على صحة ما ذهب إليه بقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (١) .

وبحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عند أحمد وغيره : (لعن الله آكل الربا ومؤكله ، وكاتبه وشاهديه ، إذا علموا به) (٢) .

الاستحلال للربا هو سبب ما ينتظره المرابون :

كان الذين يأكلون الربا فى الجاهليةإذا حل مال أحدهم على غريمه يقول الغريم لغريم الحق : (زدنى فى الأجل وأزيدك فى مالك) فيقال لهما : (هذا رباً لا يحل) فيقولا : (سواء علينا زدنا فى أول البيع ، أو عند محل المال) فهذا هو معنى ماحكاه الله عنهم (إنما البيع مثل الربا) فأنزل الله بهم هذه العقوبة التى صارت شعارا لهم من بين الناس يوم القيامة .

قال ابن جرير : (فقال تعالى ذكره : هذا الذى ذكرنا أنه يصيبهم يوم القيامة من قبح حالهم ، ووحشة قيامهم من قبورهم ، وسوء ما حل بهم من أجل أنهم كانوا فى الدنيا يكذبون ويفترون ويقولون : (إنما البيع) الذي أحله الله لعباده (مثل الربا) ... فكذبهم الله فى قيلهم فقال: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا .... ﴾.

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٧٨ ، ٢٧٩) .

(٢) هذا لفظ الحديث عن ابن جرير وانظره فى الفتح الربانى ١٩/ ٢١٠ .

أى أحل الله الأرباح فى التجارة والشراء والبيع وهى وإن كانت زيادة على رأس المال الذى ابتاع به البائع سلعته فالله أحلها وهو العليم الحكيم وحرم الربا الذى هو الزيادة التى يزاد رب المال بسبب زيادته غريمه فى الأجل ، وتأخيره دينه عليه .

يقول ابن جرير: (فقال الله عز وجل : ليست الزيادة من وجه البيع نظير الزيادة من وجه الربا ، لأنى أحللت البيع وحرمت الربا ، والأمر أمرى والخلق خلقى ، أقضى فيهم ما أشاء ، وأستعبدهم بما أريد ، ليس لأحد منهم أن يعترض فى حكمى ، ولا أن يخالف أمرى ، وإنما عليهم طاعتى والتسليم لحكمى) [1] .

ثم أخذ رحمه الله في بيان المعانى والأحكام التى يتضمنها بقية الآية الكريمة : (المَوْعِظَةُ) : التذكير ، والتخويف الذى ذكرهم وخوفهم به فى آى القرآن ، وأوعدهم على أكلهم الربا من العقاب ﴿ فَانتَهَىٰ ﴾ : عن أكل الربا وارتدع عن العمل به وانزجر عنه .

﴿ فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾ : يعنى ما أكل وأخذ فمضى ، قبل مجىء الموعظة والتحريم من ربه .

﴿ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾: يعنى : وأمر آكله بعد مجيئه الموعظة من ربه والتحريم ، وبعد انتهاء آكله عن أكله ، إلى الله فى عصمته وتوفيقه ، إن شاء عصمه عن أكله وثبته فى انتهائه عنه ، وإن شاء خذله عن ذلك .

﴿ وَمَنْ عَادَ ﴾ : يقول : ومن عاد لأكل الربا بعد التحريم ، وقال ما كان يقوله قبل مجىء الموعظة من الله والتحريم ، من قوله : ﴿ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ .

﴿ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ : يعنى : ففاعلوا ذلك

(1) تفسير الطبرى ٦/١٣ .

وقائلوه هم أهل النار ، (يعنى نار جهنم ، فيها خالدون) [١].

وعن السدى : أما (الـمَوْعِظَةِ) : فالقرآن ، وأما ﴿ مَا سَلَفَ ﴾ ، فله ما أكل من الربا [٢].

ويقول ابن عطية بعد بيانه لمعانى الربا فى اللغة وغالب ما كان عند العرب فى الجاهلية ـ قال :(من الربا البين التفاضل فى النوع الواحد لأنها زيادة ، وكذلك أكثر البيوع الممنوعة إنما نجد منعها لمعنى زيادة ، إما فى عين مال ، وإما فى منفعة لأحدهما من تأخير ونحوه) إلى أن قال: (ومعنى هذه الآية : الذين يكسبون الربا ويفعلونه ، وقصد إلى لفظة الأكل ، لأنه أقوى مقاصد الإنسان فى المال ، ولأنها دالة على الجشع ، فأقيم هذا البعض من توابع الكسب مقام الكسب كله ، فاللباس والسكن والإدخار والإنفاق على العيال وغير ذلك داخل كله فى قوله : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُون ﴾ [٣].

ويتلخص من تفسيره لبقية الآية الكريمة ما يأتى :

١ـ فبعد أن ذكر ما تقدم عن الطبرى من القول بأن أكلة الربا فى الدنيا يبعثون يوم القيامة على هيئة الذى يصرعه الشيطان ويخنقه فيتخبط لذلك ـ بعد أن ذكر هذا وما يقويه قال : (وأما ألفاظ الآية فكانت تحتمل تشبيه حال القائم بحرص وجشع إلى تجارة الربا بقيام المجنون، لأن الطمع والرغبة تستفزه حتى تضطرب أعضاؤه وهذا كما نقول لمسرع فى مشيه مخلط فى حركاته إما من فزع أو غيره : قد جن هذا) .

٢ـ إن جميع المتأولين من المفسرين على أن قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

---

(١) تفسير الطبرى ١٤/٦. (٢) نفسه .

(٣) ابن عطيه المحرر الوجيز ٤٧٨/٢ ـ ٤٨٠ .

قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ فى الكفار وأنه قول بتكذيب الشريعة ورد عليها .

٣- وإن الآية كلها فى الكفار المربين نزلت ، ولهم قيل : ﴿ فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾ ولا يقال ذلك لمؤمن عاص ولكن يأخذ العصاة فى الربا بطرف من وعيد هذه الآية .

٤- والضمير فى قوله تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّه ﴾ إما أن يكون عائدا إلى الربا فى التحليل والتحريم أو ما سلف منه . أو إلى المرابى نفسه أو المرابى المنتهى عن الربا [١] .

وابتدأ ابن العربى تفسير هذه الآية الكريمة بقوله :

(هذه الآية من أركان الدين) ثم أخذ يوضح إشكالات عديدة حول الآية ونختار منها :

١- إن الربا وإن كان زيادة فلا بد من شيء مزيد عليه .

٢- وإن الربا فى اللغة هو الزيادة ، (والمراد به فى الآية كل زيادة لم يقابلها عوض ، فإن الزيادة ليست بحرام لعينها) .

٣- إن أهل الجاهلية كانوا يعلمون التجارة والبيع والربا حيث إن معاملاتهم جارية به لذا فالآية عامة فى تحريم كل ربا ومن زعم أنها مجملة فلم يفهم مقاطع الشريعة .

٤- قال : (ذهب بعض الغلاة من أرباب الورع إلى أن المال الحلال إذا خالطه حرام حتى لم يتميز ، ثم أخرج منه مقدار الحرام المختلط به لم يحل ، ولم يطب ، لأنه يمكن أن يكون الذى أخرج هو الحلال ، والذى بقى هو الحرام ، وهذا غلو فى الدين ، فإن كل

---

(١) نفسه ٤٨١ - ٤٨٣ .

ما لم يتميز فالمقصود منه ما ليته لا عينه، ولو تلف لقام المثل مقامه، والاختلاط إتلاف لتميزه، كما أن الإهلاك إتلاف لعينه ، والمثل قائم مقام الذاهب، وهذا بين حساً بين معنى والله أعلم) [1] .

ومن العلماء الذين أطالوا النفس فى تفسير هذه الآية الكريمة وجلب ما يتعلق بها من أحكام بنصوصها القرطبى ومنه نختار ما يأتى :

١) أورد بعد هذه الآية الكريمة آيتين ثم قال : (الآيات الثلاث تضمنت أحكام الربا وجواز عقود المبايعات ، والوعيد لمن استحل الربا وأصر على فعله) .

٢) ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ﴾ : يأكلون يأخذون ، فعبر عن الأخذ بالأكل ، لأن الأخذ إنما يراد للأكل .

٣) والربا فى اللغة الزيادة مطلقا ... ثم إن الشرع قد تصرف فى هذا الإطلاق فقصره على بعض موارده، فمرة أطلقه على كسب الحرام كما قال الله تعالى فى اليهود : ﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ ﴾ [2] . ولم يرد به الربا الشرعي الذى حكم بتحريمه علينا وإنما أراد المال الحرام ، كما قال تعالى : ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ [3] . يعنى به المال الحرام من الرشا ، وما استحلوه من أموال الأميين حيث قالوا : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ [4] . وعلى هذا فيدخل فيه النهى عن كل مال حرام بأى وجه اكتسب [5] .

٤) وعلى أن الآية نزلت لمعالجة داء عضال فى المعاملات الجاهلية فلا يقال لمسلم عاص : ﴿ فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾ بل ينقض بيعه ويرد

---

(١) أحكام القرآن ١/ ٢٤٠ ـ ٢٤٥ .

(٢) سورة النساء آية (١٦١) .

(٣) سورة المائدة آية (٤٢) .

(٤) سورة آل عمران آية (٧٥) .

(٥) القرطبى ٣/ ٣٤٨ ـ ٣٥٨.

فعله وإن كان جاهلاً ، لذا فعقد الربا مفسوخ لا يجوز بحال وكل ما كان من حرام بين ففسخ فعلى المبتاع رد السلعة بعينها .

٥) قوله تعالى : ﴿ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّه ﴾ : قال جعفر بن محمد الصادق رحمهما الله : (حرم الله الربا ليتقارض الناس) .

٦) وقال : (قال بعض الناس) : (حرمه الله لأنه متلفة للأموال مهلكة للناس) .

ويقول ابن كثير رابطا بين الآية وما تقدمها : (لما ذكر تعالى الأبرار المؤدين النفقات المخرجين الزكوات المتفضلين بالبر والصدقات لذوى الحاجات والقربات ، فى جميع الأحوال والأوقات شرع فى ذكر أكلة الربا وأموال الناس بالباطل وأنواع الشبهات فأخبر عنهم يوم خروجهم من قبورهم وقيامهم منها إلى بعثهم ونشورهم فقال: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾وأورد الآثار التى تصف بشاعة تخبط الشيطان لآكل الربا حسب ما تقدم. ونلخص من تفسيره لهذه الآية الكريمة ما يأتى :

١- قال: وقد روى البخارى عن سمرة بن جندب ﷺ فى حديث المنام الطويل: (فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم وإذا فى النهر رجل سابح يسبح وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك السابح يسبح ثم يأتى ذلك الذى قد جمع الحجارة عنده فيفغر له فاه فيلقمه حجرا ، وذكر فى تفسيره أنه آكل الربا) .

٢- ﴿ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّه فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّه ﴾ : أى من بلغه نهى الله عن الربا فانتهى حال وصول الشرع إليه فله ما سلف من المعاملة لقوله ﴿ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾[1] .

---

(١) سورة المائدة آية (٩٥) .

٣ـ (وباب الربا من أشكل الأبواب على كثير من أهل العلم وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ : ثلاث وددت أن رسول الله ﷺ عهد إلينا فيهن عهدا ننتهى إليه : الجد والكلالة وأبواب من أبواب الربا ـ يعنى بذلك بعض المسائل التى فيها شائبة الربا والشريعة شاهدة بأن كل حرام فالوسيلة إليه مثله لأن ما أفضى إلى الحرام حرام كما أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) .

٤ـ وبعد أن أورد رحمه الله الأحاديث الصحاح والآثار الآمرة باجتناب ما فيه ريبة أو وسيلة إلى الحرام أخذ من قول النبى ﷺ فى لعنه لمن اجتمعوا على صفقه ربا (وشاهديه) ما يأتى :

قال : (قالوا وما يشهد عليه ويكتب إلا إذا أظهر فى صورة عقد شرعى ويكون داخله فاسدا فالاعتبار بمعناه لا بصورته لأن الأعمال بالنيات وفى الصحيح : (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) [1] .

٥ـ والربا أبواب كثيرة ووسائله عديدة حذر منها العلماء وأمروا المتاجر أن يتقن أحكام البيع والشراء لئلا يقع فى أسواق المسلمين بيوع فاسدة أو محرمة قال ابن كثير بسنده : (عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « يأتى على الناس زمان يأكلون فيه الربا » ، قال : قيل له : الناس كلهم ؟ قال : « من لم يأكله ناله من غباره » [2] .

ومن فتح القدير نختار ما يأتى : قال الشوكانى :

١) (وليس المراد بقوله هنا : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ﴾ : اختصاص هذا الوعيد بمن يأكله، بل هو عام لكل من يعامل بالربا فيأخذه ويعطيه،

---

(١) المصدر المذكور ١/٣٢٨ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/٣٢٦ ـ ٣٢٨ والحديث المذكور فى السنن .

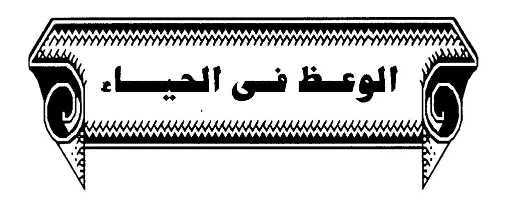
وإنما خص الآكل لزيادة التشنيع على فاعله . ولكونه هو الغرض الأهم فإن آخذ الربا إنما أخذه للأكل) .

٢) قوله : ﴿ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ : أى من بلغته موعظة من الله من المواعظ التى تشتمل عليها الأوامر والنواهى ، ومنها ما وقع هنا من النهى عن الربا ﴿ فَانتَهَىٰ ﴾ : أى فامتثل النهى الذى جاءه وانزجر عن المنهى عنه : ﴿ فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾ أى ما تقدم منه من الربا لا يؤاخذ به لأنه فعله قبل أن يبلغه تحريم الربا أو قبل أن تنزل آية تحريم الربا [١] .

هذا ونكتفى بهذا القدر من تفسير هذه الآية الكريمة التى عالجت قضية من أهم مسائل الأحكام وما يتعلق بالحلال والحرام فى البيع والشراء والتجارة بأنواعها . والله وحده الهادى إلى سواء السبيل وهو أحكم الحاكمين .



(١) فتح القدير ١/٢٩٥ ، ٢٩٦ وقارن بما فى روح المعانى ٣/٤٨ ـ ٥٠ وأضواء البيان ١/٢٢٨ وما بعدها .


الوعظ فى الحياء

(   )

١) (عن ابن عمر ، أن النبى ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه فى الحياء ، فقال رسول الله ﷺ : « دعه فإن الحياء من الإيمان » [١] .

٢) (عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ مر على رجل يعظ أخاه فى الحياء فقال : «دعه فإن الحياء من الإيمان »)[٢] .

٣) (عن سالم عن أبيه أن رجلا من الأنصار كان يعظ أخاه فى الحياء فقال النبى ﷺ : «دعه فإن الحياء من الإيمان »[٣] .

٤) (عن سالم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ مر برجل من الأنصار وهو يعظ أخاه من الحياء . فقال له رسول الله ﷺ : « دعه فإن الحياء من الإيمان [٤] .

٥) عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الانصار - وهو يعظ أخاه فى الحياء فقال رسول الله ﷺ : « دعه ، فإن الحياء من الإيمان » [٥] .

٦) عن سالم بن عبد الله عن أبيه سمع النبى ﷺ رجلاً يعظ أخاه فى الحياء فقال : « الحياء من الإيمان » [٦] .

٧) عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ : مر برجل وهو يعظ أخاه فى الحياء ، فقال رسول الله ﷺ : (الحياء من الإيمان) قال أحمد بن

---

(١) سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب فى الحياء (٤٧٩٥) ١٤٧/٥ .

(٢) سنن النسائى ، كتاب الإيمان وشرائعه ١٢١/٨ .

(٣) مسند الإمام أحمد ٥٦/٢ . (٤) مسند الإمام أحمد ١٤٧/٢ .

(٥) صحيح البخارى ، كتاب الإيمان ، باب الحياء من الإيمان (٢٤) ٧٤/١ .

(٦) وبهذا الإسناد : (قال مر برجل من الأنصار يعظ أخاه) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان ٦/٢ .

منيع فى حديثه : (إن النبى ﷺ سمع رجلاً يعظ أخاه فى الحياء)[1] .

٨) (عن الزهرى ، عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ : مر برجل وهو يعظ أخاه فى الحياء، فقال له رسول الله ﷺ : (الحياء من الإيمان) قال أحمد بن منيع فى حديثه : (إن النبى ﷺ سمع رجلاً يعظ أخاه فى الحياء) [2] .

٩) (وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ مر على رجل وهو يعظ أخاه فى الحياء . فقال رسول الله ﷺ : «دعه فإن الحياء من الإيمان » [3] .

---

(١) هذا حديث حسن صحيح وفى الباب عن أبى هريرة. سنن الترمذى أبواب الإيمان (٢٧٤٨) ٧/٣٠٢-٣٠٣.

(٢) هذا حديث حسن صحيح وفى الباب عن أبى هريرة ، الترمذى أبواب الإيمان ، باب ماجاء (الحياء من الإيمان) ٧/٣٠٢-٣٠٣ (٢٧٤٨) .

(٣) الموطأ ، باب حسن الخلق . ماجاء فى الحياء (١٦٧٩) .

تعريف الحياء لغة واصطلاحاً

التعريف :

قال ابن الأثير :

١- حيا = (الحياء من الإيمان : جعل الحياء وهو غريزة من الإيمان وهو اكتساب لأن المستحى ينقطع بحيائه عن المعاصى ، وإن لم تكن له تقية فصار كالإيمان الذى يقطع بينها وبينه ، وإنما جعله بعضه لأن الإيمان ينقسم إلى ائتمار بما أمر الله به، وانتهاء عما نهى الله عنه ، فإذا حصل الانتهاء بالحياء كان بعض الإيمان) .

٢- إذا لم تستحى فاصنع ما شئت : يقال : استحيا يستحى ، واستحى يستحى **والأول** أعلى وأكثر، وله تأويلان : أحدهما ظاهر وهو المشهور : أى إذا لم تستحى من العيب ولم تخش العار مما تفعله فافعل ما تحدثك به نفسك من أغراضها حسنا كان أو قبيحاً ، ولفظه أمر ، ومعناه توبيخ وتهديد ، وفيه إشعار بأن الذى يردع الإنسان عن مواقعة السوء ، هو الحياء فإذا انخلع منه كان كالمأمور بارتكاب كل ضلالة وتعاطى كل سيئة .

والثانى : أن يحمل الأمر على بابه ، يقول : إذا كنت فى فعلك آمنا أن تستحى منه كجريك فيه على سنن الصواب ، وليس من الأفعال التى يستحيا منها فاصنع منها ما شئت) [١] .

قال الزمخشرى :

(والحياء تغير وانكسار يعترى الإنسان من تخوف ما يعاب به

(١) النهاية فى غريب الحديث والأثر ١/٤٧٠ - ٤٧١ .

ويذم واشتقاقه من الحياة . يقال : حيي الرجل ، كما يقال : نسي وحشي وشظي الفرس إذا اعتلت هذه الأعضاء جعل الحى لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحياة كما قالوا : هلك فلان حياء من كذا ، ومات حياء ، ورأيت الهلاك فى وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد فى مكانه خجلا) [1] .

وعند الآية ٥٣ من سورة الأحزاب قال :

﴿ فَيَسْتَحْيِي منكُمْ ﴾ من تقدير المضاف ، أى من إخراجكم بدليل قوله ﴿ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾ يعنى أن إخراجكم حتى ما ينبغى أن يستحيا منه ، ولما كان الحياء مما يمنع الحيى من بعض الأفعال قيل : ﴿ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾ بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيى منكم ، وهذا أدب أدّب الله به الثقلاء .

وعن عائشة ابن عائشة ﷺ: حسبك من الثقلاء أن الله تعالى لم يتحملهم وقال : ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا ﴾ وقرىء : لا يستحى ، بياء واحدة [2] .

وقال المازرى : (إنما كان الحياء وهو فى الأكثر غريزة من الإيمان الذى هو اكتساب ، لأن الحياء يمنع من المعصية كما يمنع الإيمان منها ، والحياء ها هنا ممدود من الاستحياء)[3] .

وقال القاضى عياض : (وأما الحياء والإغضاء فالحياء رقة تعترى وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهيته أو ما يكون تركه خيراً من فعله . والإغضاء التغافل عما يكرهه الإنسان بطبيعته وكان النبى

---

(١) الكشاف ١/١١٢ عند الآية ٢٦ من سورة البقرة . (٢) الكشاف ٣/٥٥٥.

(٣) المعلم بفوائد مسلم للإمام أبى عبد الله محمد بن على بن عمر المازرى ت ٥٣٦هـ الشاذلى النيفر ١/١٩٦.

ﷺ أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء قال الله وتعالى :

﴿ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾[1] .

(وكان ﷺ ـ لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحدا بما يكرهه حياء وكرم نفس)[2] . ويقول ما بال أقوام ، أبو داود[3] .

إذا قلّ ماء الوجه قل حياؤه ولا خير فى وجه إذا قل ماؤه

حياءك فاحفظه عليك وإنما يدل على فعل الكريم حياؤه

وينسب للإمام الشافعى :

إذا لم تخش عاقبة الليالى ولم تستحى فاصنع ماتشاء

فلا والله ما فى العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

وروى أنه ﷺ كان من حيائه لا يثبت بصره فى وجه أحد وأنه كان يكنى عما اضطره الكلام إليه مما يكره [4] .

---

(١) الشفاء للقاضى عياض ٢/٧٥ .

(٢، ٣، ٤) الشفاء ٢/٧٥ .

أنـــواع الحيـــاء

الحياء فى الإنسان يكون من ثلاثة أوجه :

١ـ حياؤه من الله تعالى ويكون بامتثال أوامره ، واجتناب زواجره ـ استحيوا من الله ويكون هذا الحياء من قوة الدين وصحة اليقين ـ وقيـل : (قلة الحياء كـفر) . (والحياء نظام الإيمان فإذا انحل نظام الشرع ، تبدد ما فيه وتفرق) .

٢ـ حياؤه من الناس : ويكون بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح ... وهذا النوع من الحياء قد يكون من كمال المروءة وحب الثناء ـ (من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له) ـ لقلة مروءته وظهور شهوته .

٣ـ حياؤه من نفسه : ويكون بالعفة وصيانة الخلوات . قال بعض الحكماء : ليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك ... وهذا النوع من الحياء قد يكون من فضيلة النفس ، وحسن السريرة .

فمتى كمل حياء الإنسان من وجوهه الثلاثة ، فقد كملت فيه أسباب الخير ، وانتفت عنه أسباب الشر ، وصار بالفضل مشهوراً ، وبالجميل مذكورا ... وإن أخل بأحد وجوه الحياء لحقه من النقص بإخلاله بقدر ما كان يلحقه من الفضل بكماله [١] .

قال بشار بن برد :

ولقد أصرف الفؤاد عن الشـــى ... ء حيـاء وحبه فى الســواد
أمسك النفس بالعفـاف وأمسى ... ذاكرا فى غد حديث الأعــاد

(١) مختصر من أدب الدنيا والدين للماوردى ص ٢٤٢ .

غيره :

إذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقـا
وتستحى مخلوقا، فما شئت فاصنـع

حيـاء وإسـلام وتقـوى وإننى
كريم ، ومثلى من يضـر وينفـع

وقال آخر :

وإنى لأستحـى رفيقـى أن يـرى
مكان يدى من جـانب الزاد أقرعا

أبيت هضيم الكشح مضطرم الحشى
من الجوع أخشى الـذم أن أتضلعا

وإنـك إن أعطيت بطنـك سؤلـه
وفرجـك نالا منتهى الـذم أجمعا (١)

وقيل إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يتمثل بهذا الشعر:

وحاجة دون أخرى قد سنحت لها
جعلتهـا للتى أخفيت عنوانـا

وإنى لأرى مـن لا حيـاء لـه
ولا أمانة وسط القـوم عريانـا

قال سلم بن عمرو :

لا تسأل المرء عن خلائقه   فى وجهه شاهد مـن الخبر

---

(١) التمهيد ١٧٩/٢٣ .

قال بعض الحكماء : **من كساه الحياء ثوبه ، لم ير الناس عيبه .**

قال الماوردى :

(اعلم أن الخير والشر معان كامنة تعرف بسمات دالة ، فسمة الخير : الدعة والحياء ، وسمة الشر القحة البذاء ، وكفى بالحياء خيراً أن يكون على الخير دليلا ، وكفى بالقحة والبذاء شرا أن يكونا إلى الشر سبيلا) .

قال : (وليس لمن سلب الحياء صاد عن قبيح ، ولا زاجر عن محظور فهو يقدم على ما يشاء، ويأتى ما يهوى، وبذلك جاء الخبر [1] .

ومن شرح النووى لحديث : (الإيمان بضع وسبعون شعبة والحياء شعبة من الإيمان) :

١ـ الحياء ممدود ـ وهو الاستحياء .

٢ـ قال الإمام الواحدى رحمه الله تعالى : قال أهل اللغة الاستحياء من الحياة .

٣ـ واستحيا الرجل من قوة الحياة فيه لشدة علمه بمواقع العيب.

٤ـ قال : فالحياء من قوة الحس ولطفه وقوة الحياة .

٥ـ وقال الجنيد : الحياء رؤية الآلاء أى النعم ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء .

٦ـ وقال القاضى عياض : إنما جعل الحياء من الإيمان وإن كان غريزة لأنه قد يكون : تخلقاً واكتسابا كسائر أعمال البر وقد يكون غريزة ولكن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى اكتساب ونية وعلم ـ فهو من الإيمان بهذا ولكونه باعثاً على أفعال البر ومانعا من المعاصى.

---

(١) الماوردى ـ أدب الدنيا والدين ٢٤٠ .

٧- وأما كون الحياء خيراً كله ولا يأتى إلا بخير فقد يشكل على بعض الناس من حيث :

أ) إن صاحب الحياء قد يستحى أن يواجه بالحق من يجله فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر .

ب) وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق وغير ذلك مما هو معروف فى العادة .

والجـــواب :

٨- أن هذا المانع الذى ذكرناه ليس بحياء حقيقة بل هو عجز وخور ومهانة.

٩- وإنما تسميته حياء من إطلاق بعض أهل العرف ، أطلقوه مجازا لمشابهته الحياء الحقيقى وإنما حقيقة الحياء : خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق ونحو هذا .

١٠- قوله فى الحديث : (يعظ أخاه فى الحياء) : أى ينهاه عنه ويقبح له فعله ويزجره عن كثرته فنهاه النبى ﷺ عن ذلك فقال : (دعه فإن الحياء من الإيمان) أى دعه على فعل الحياء وكف عن نهيه ، ووقعت لفظة : دعه فى البخارى ولم تقع فى مسلم [١] .

وعند الحافظ ابن حجر : (الحياء : هو بالمد ، وهو فى اللغة تغيير وانكسار يعترى الإنسان من خوف ما يعاب به . وقد يطلق على مجرد ترك الشيء بسبب ، والترك إنما هو من لوازمه).

وفى الشرع : خلق يبعث على اجتناب القبيح ، ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق ولهذا جاء فى الحديث الآخر (الحياء خير كله).

---

(١) النووى- مسلم ، كتاب الإيمان ٢/٥-٧ .

فإن قيل : الحياء من الغرائز فكيف جعل شعبة من الإيمان ؟

أجيب بأنه قد يكون غريزة وقد يكون تخلقاً ولكن استعماله على وفق الشرع يحتاج إلى اكتساب وعلم ونية فهو من الإيمان لهذا ولكونه باعثاً على فعل الطاعة وحاجزاً عن فعل المعصية . ولا يقال : رب حياء يمنع عن قول الحق أو فعل الخير . لأن ذلك ليس شرعياً[1] .

وهذا ملخص من شرح ابن حجر لحديث : (دعه فإن الحياء من الإيمان) .

١- لا يعرف اسم الرجلين الواعظ والموعوظ .

٢- يعظ : أي ينصح أو يخوف أو يذكر .

٣- والأولى أن يشرح بالرواية : (عن ابن شهاب ولفظه: (يعاتب أخاه في الحياء) يقول :

(إنك لتستحي حتى كأنه يقول : قد أَضَرَّ بكَ) الأدب المفرد للبخاري وتقدم.

٤- ويحتمل أن يكون جمع له العتاب والوعظ .

٥- و (في) : سببية فكأن الرجل كان كثير الحياء فكان ذلك يمنعه من استيفاء حقوقه فعاتبه أخوه على ذلك .

٦- (دعه) : أي اتركه على هذا الخلق السني .

٧- ثم زاده في ذلك ترغيباً لحكمه بأنه من الإيمان .

٨- وإذا كان الحياء يمنع صاحبه من استيفاء حق نفسه جر له ذلك تحصيل أجر ذلك الحق لاسيما إذا كان المتروك له مستحقاً .

---

(١) بتصرف من فتح الباري ١/٥٢.

٩- الحياء يكون شرعيا - يقابله : الفسق . ويكون عقليا يقابله الجنون - ويكون عرفيا فيقال لصاحبه : أبله .

١٠- قال الحليمى : حقيقة الحياء خوف الذم بنسبة الشر إليه . إن كان فى محرم فهو واجب وإن كان فى مكروه فهو مندوب ، وإن كان فى مباح فهو العرفى وهو المراد بقوله : (الحياء لا يأتى إلا بخير) .

١١- وقد يتولد الحياء من الله تعالى من التقلب فى نعمه فيستحى العاقل أن يستعين بها على معصيته.

١٢- وقد قال بعض السلف : خاف الله على قدر قدرته عليك . واستحى منه على قدر قربه منك (١) .

قال الرغب :(والحياء : انقباض النفس عن القبائح وتركها ، لذلك يقال : حيى فهو حى ، واستحيا فهو مستحى ، وقيل : استحى فهو مستح قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ (٢) .

وقال عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾ (٣) .

وروى: (إن الله تعالى يستحى من ذى الشيبة المسلم أن يعذبه) .

فليس يراد به انقباض النفس ، إذ هو تعالى منزهٌ عن الوصف بذلك وإنما المراد به ترك تعذيبه ، وعلى هذا ما روى : (إن الله حيى) أى : تارك للقبائح فاعل للمحاسن (٤) .

---

(١) من فتح البارى ١/ ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) سورة البقرة آية (٢٦) .

(٣) سورة الاحزاب آية (٥٣)

(٤) مفردات القرآن الكريم للراغب الأصفهانى ص ٢٧٠ وانظر تخريج المحقق .

نسبة الحياء إلى الله تعالى

١- ومن حديث سلمان ﵁ : (قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله حيى كريم يستحى إذا رفع إليه العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا » [1] .

وعن سلمان ﵁ :

٢- (إن ربكم حيى كريم يستحى من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا) [2] .

قال الترمذى : حسن غريب .

٣- وعن أنس أن النبى ﷺ قال : « إن الله رحيم حيى كريم يستحى من عبده أن يرفع يديه ثم لا يضع فيهما خيرا » [3] .

٤- عن يعلى بن أمية قال : قال رسول الله ﷺ :« إن الله يحب الحياء والستر » .

٥- عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ذات يوم : « استحيوا من الله عز وجل حق الحياء قال : قلنا يارسول الله إنا نستحى والحمد لله ، قال : ليس ذلك ولكن من استحى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما حوى ، والبطن وما وعى وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله عز وجل حق الحياء » .

٦- عن أبى الخير سمع سعيد بن زيد أن رجلاً قال للنبى ﷺ :

(١، ٢، ٣) البيهقى فى الشعب ، سنده جيد ١٦١/٦ قال رواه : أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم.

أوصني قال : « أوصيك بتقوى الله أن تستحي من الله كما تستحي رجلا صالحاً من قومك) [(١)].

٧- وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: (كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها) البخاري في الصحيح (٣٥٦٢) ٦/٥٦٦ وانظر ١٠/٥١٣ و٥٢١ - وفي مسلم وزاد (وإذا كره شيئاً عرفناه في وجهه) متفق عليه ، مسلم باب كثرة حيائه ﷺ [(٢)].

٨- (عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ من سنن المرسلين الحلم والحياء والحجامة والسواك والتعطر وكثرة الأزواج) وفيه عن فليح ابن عبد الله الخطمي عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر» [(٣)].

٩- عن جابر بن عبد الله يحدّث أن رسول الله ﷺ كان ينقل معهم - يعني مع قريش - الحجارة للكعبة وعليه إزار فقال له العباس عمه : يا ابن أخي لو حللت لك إزارك فجعلته على منكبيك دون الحجارة . قال : فحله فجعله على منكبيه فسقط مغشياً عليه فما رئي بعد ذلك اليوم عريانا) [(٤)].

١٠- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم لا تدركني أو لا أدرك زمان قوم لا يتبعون العليم ولا يستحيون من الحليم قوم قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب » [(٥)].

وقد روى عن عمر ﷺ أنه قال: (من استحيا اختفى ومن اختفى

---

(١) شعب الإيمان ٦/١٤٥ - ١٤٦ . (٢) ١٥/٧٨.

(٣) البخاري في التاريخ والبيهقي في الشعب ٦/١٣٧ .

(٤) متفق عليه شعب الإيمان ٦/١٥١ . (٥) شعب الإيمان ٦/١٤٦ .

اتقى ومن اتقى وقى)

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو يخطب الناس : يا معشر المسلمين استحيوا من الله فو الذى نفسى بيده إنى لأظل حين أذهب إلى الغائط فى الفضاء متقنعاً بثوبى استحياء من الله عز وجل) البيهقى فى الشعب .

نسبة الحياء إلى أهل الفضل :

١) ومن حديث الأشج المنقرى قال : قال لى رسول الله ﷺ : « إن فيك لخصلتين يحبهما الله ، قلت : ما هما ؟ قال : الحلم والحياء ، قلت : أقديما كان أو حديثا ؟ قال : بل قديما ، قلت الحمد لله الذى جعلنى على خليقتين يحبهما الله) [١] .

٢) عن مالك عن عبد الكريم بن أبى المخارق البصرى أنه قال : (من كلام النبوة إذا لم تستحى فافعل ما شئت) ووضع اليدين إحداهما على الأخرى فى الصلاة [يضع اليمنى على اليسرى] وتعجيل الفطر والاستيناء بالسحور) [٢] .

٣) قول النبى ﷺ لعائشة رضي الله عنها : (إن عثمان رجل حيى ، وإنى خشيت إن أذنت له ـ وأنا على تلك الحال ـ (مضطجع على فراش عائشة لابساً مرط عائشة) ـ أن لا يبلغ إلىَّ فى حاجته) [٣] .

٤) ومن زوائد عبد الله بن أحمد عن حصين المزنى قال : قال على ابن أبى طالب رضي الله عنه على المنبر : أيها الناس إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يقطع الصلاة إلا الحدث ، لا أستحييكم مما لا يستحى

---

(١) رواه الإمام أحمد والنسائى .

(٢) الموطأ باب وضع اليدين إحداهما على الأخرى فى الصلاة .

(٣) الأدب المفرد للبخارى ص٢٠٧ (فى رواية أنه قال : (ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة) .

منه رسول الله ﷺ قال : والحدث أن يفسوَ أو يضرط) (١) .

فضل الحياء وبيان سوء عاقبة تركه فى الدنيا والآخرة

١- عن أبى مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحى فافعل ما شئت » (٢) .

٢- عن عبد الله بن عمر قال سمع رسول الله ﷺ - رجلاً يعاتب أخاه فى الحياء يقول : إنك لتستحى حتى إنه قد أضربك فقال رسول الله ﷺ (دعه ، فإن الحياء من الإيمان) (٣) .

٣- عن حميد بن هلال عن بشير بن كعب عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ : (الحياء خير كله) فقال بشير : فقلت : إن منه ضعفا وإن منه عجزا .

فقال : أحدثك عن رسول الله ﷺ وتجىء بالمعاريض لا أحدثك بحديث ما عرفتك . فقالوا يا أبا نجيد إنه طيب الهوى وإنه وإنه فلم يزالوا به حتى سكن وحدث (٤) .

٤- عن قتادة قال سمعت أبا السوار العدوى يحدّث أنه سمع عمران بن حصين الخزاعى يحدّث عن رسول الله ﷺ فقال : (الحياء لا يأتى إلا بخير) فقال بشير بن كعب : مكتوب فى الحكمة أن منه وقاراً ومنه سكينة فقال عمران : أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثنى عن صحفك) (٥) .

---

(١) مسند الإمام أحمد ٤/٧٧ . (٢) البخارى وأبو داود وابن ماجه .

(٣) البيهقى فى الشعب الموطأ ١/١٧٣ والأدب المفرد ٤٣٢ وتقدم .

(٤) مسلم وانظرالفتح الربانى ١٩/ ٩٠-٩١ -٩٢.

(٥) مسند الإمام أحمد ، وانظرالفتح الربانى ١٩/ ٩١ - ٩٢.

٥- وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (الحياء شعبة من الإيمان) وعنه أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : (الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار)[1] .

٦- وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه عن النبىﷺقال :

(الحياء والعى شعبتان من الإيمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق) [2] .

وعن أبى أمامه الباهلى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : (الحياء والعى شعبتان من الإيمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق)[3] .

٧- وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار) [4] .

٨- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ما كان الفحش فى شىء قط إلا شانه ولا كان الحياء فى شىء قط إلا زانه) [5] .

وعن أنس بن مالك ، عن النبى ﷺ قال : « ما كان الحياء فى شىء إلا زانه ، ولا كان الفحش فى شىء إلا شانه »[6] .

٩- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال النبى ﷺ : « الرفق يمن والخرق شؤم وإذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق ، فإن الرفق لم يكن فى شىء قط إلا زانه ، وإن الخرق لم يكن فى شىء قط إلا شانه، الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة ولو كان الحياء رجلا لكان رجلا صالحاً ،

---

(١) مسند أحمد الفتح الربانى ٩١/١٩ ـ وهو فى الأدب المفرد ٤٣١ .

(٢) الترمذى وأحمد الفتح الربانى ٩١/١٩ والبيهقى فى الشعب ١٣٣/٦ .

(٣) نفسه وقال الساعاتى : حسنه الترمذى والحافظ العراقى فى أماليه وقال الذهبى : صحيح .

(٤) الترمذى وأحمد والبيهقى فى الشعب ١٣٤/٦ . (٥) مسند أحمد .

(٦) الأدب المفرد ص ٢٠٧ والترمذى كتاب البر ، وابن ماجه كتاب الزهد .

وإن الفحش من الفجور وإن الفجور فى النار ولو كان الفحش رجلا لكان سوءاً وإن الله لم يخلقنى فحاشا »[1].

١٠ـ عن إياس بن معاويه بن قرة قال: (كنا عند عمر بن عبد العزيز فذكر عنده الحياء فقال : الحياء من الإيمان . فقال عمر : بل هو الدين كله. فقال إياس حدثنى أبى عن جدى قال : كنا عند النبى ﷺ فذكر عنده الحياء.

فقالوا : يارسول الله الحياء من الدين ؟ فقال النبى ﷺ « بل هو الدين كله » ثم قال رسول الله ﷺ : « إن الحياء والعفاف والعى عن اللسان لا عن القلب والعمل من الإيمان وإنهن يزدن فى الآخرة وينقصن من الدنيا وما يزدن فى الآخرة أكثر مما ينقصن من الدنيا وإن الشح والفحش والبذاء من النفاق وإنهن يزدن فى الدنيا وينقصن من الآخرة وما ينقصن من الدنيا أكثر مما يزدن فى الدنيا » ، قال إياس: أمرنى عمر بن عبد العزيز فأمليتها عليه فكتبها بخطه ثم صلى بنا الظهر والعصر وهى فى كمه ما يضعها [2].

١١ـ وعن الزهرى عن عروة سمعت عائشة رضي الله عنها تقول كان نبى الله ﷺ يقول فى مكارم الأخلاق : (عشرة تكون فى الرجل ولا تكون فى ابنه وتكون فى الابن ولا تكون فى أبيه وتكون فى العبد ولا تكون فى سيده يقسمها الله لمن أراد به السعادة ـ صدق الحديث ، وصدق الناس: وهو أن لا يشبع وجاره وصاحبه جائعان وإعطاء السائل والمكافأة بالصنائع وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتذمم للجار والتذمم للصاحب وإقراء الضيف ورأسهن الحياء [3].

---

(١) البيهقى بضعف : ١٣٩/٦ . (٢) البيهقى فى شعب الإيمان ١٣٥/٦ .

(٣) البيهقى فى الشعب . ويضعف ١٣٨/٦ .

١٢- وروى ابن أبى لهيعة عن أبى قبيل عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال : (إذا أبغض الله عبدا نزع منه الحياء ، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا بغيضا مبغضا، فإذا نزع منه الأمانة نزع منه الرحمة، وإذا نزع منه الرحمة نزع منه ربقة الإسلام، فإذا نزع منه ربقة الإسلام لم تلقه إلا شيطانا مريدا) (١).

---

(١) أخرجه حميد بن زنجويه وخرجه ابن ماجه بمعناه بإسناد ضعيف عن ابن عمر مرفوعاً أيضاً . انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى . ص ١٨٩ .

بيان العلماء لفضائل الحياء
وكيف صار من شعب الإيمان

١- وقد روى فى مراسيل الحسن عن النبى ﷺ قال : (الحياء حياءان : طرف من الإيمان والآخر عجز) [١] .

٢- وعن ابن عباس قال : الحياء والإيمان فى قرن . فإذا نزع الحياء تبعه الآخر ، خرّجه كله حميد بن زنجويه فى كتاب الأدب [٢] .

٣- وعن سلمان الفارسى قال : (إن الله إذا أراد بعبد هلاكا نزع منه الحياء ، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتا ممقتا فإذا كان مقيتا نزع منه الأمانة فلم تلقه إلا خائنا مخونا، فإذا كان خائنا مخونا نزع منه الرحمة فلم تلقه إلا فظا غليظا فإذا كان فظا غليظا نزع ربقة الإيمان من عنقه فإذا نزع ربقة الإيمان من عنقه لم تلقه إلا شيطانا لعينا ملعنا) .

٤- قال الخطابى : معنى قوله : (الحياء شعبة من الإيمان) أى الحياء يحجز صاحبه عن المعاصى ، فصار من الإيمان ، إذ الإيمان ينقسم إلى ائتمار لما أمر الله به ، وانتهاء عما نهى عنه .

٥- وقال الشيخ الحسين بن مسعود البغوى رحمه الله : وكما يترك الإنسان المعاصى للإيمان يتركها للحياء ، ومنه الحديث : (إذا لم تستحى فاصنع ماشئت) يريد من لم يصحبه الحياء صنع ماشاء من ارتكاب الفواحش ، ومقارنة القبائح، فلما كان الحياء سبباً يمنعه عن المعاصى كالإيمان عد الحياء من شعب الإيمان وإن لم يكن أمراً مكتسبا) [٣] .

---

(١) ولعله من كلام الحسن . جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ١٩٠ .

(٢) جامع العلوم والحكم ص ١٩٠ . وانظر الأدب المفرد ٤٣١ .

(٣) شرح السنة ١/٣٥ ـ ٣٦ .

٦- وقال الجراح بن عبد الله الحكمي وكان فارس أهل الشام : تركت الذنوب حياء أربعين سنة ثم أدركني الورع [١].

٧- قال الحليمي : ويشبه أن تكون حقيقة الحياء خوف الذم والتوقى من الاستنكار من الناس فهى على وجهين: أحدهما أن يخاف ذم الجيران إياه فلا يفارق المسجد ليحمدوه ويثنوا عليه خيراً فهذا رياء وليس بمحمود.

والآخر أن يكون حياؤه من الله عز وجل بالحقيقة فيخشى أنه إن فارق الجماعة كان عاجل عقوبة الله إياه أن يبسط المسلمون فيه ألسنتهم بالذم وإن كان معها كان من عاجل ما يثيبه الله تعالى به أن يطلق المسلمون ألسنتهم فيه بالمدح فيكون خوفه ذم الناس وحبه مدحهم متعلقا بالله عز وجل لا بغيره فهذا محمود . ويستحى الولد من الوالد والمرأة من زوجها والجاهل من العالم والصغير من الكبير والواحد من الجماعة فيريد الأدون أن يعمل على غير الأكمل عملاً من حقوق الناس يحق مثله للأكمل فيخاف أن يقع منه على وجه يذمه فيدعه فذاك استحياؤه وهذا أيضاً محمود لأن فيه مراعاة الناقص حق الكامل وإذعانه لهم لأجل الفضل الذى يعلمه له على نفسه [٢].

٨- قال الحليمي : وفى معنى هذا قولان - يعنى الحديث : (إذا لم تستح فاصنع ما شئت) - أحدهما : أن المراد به الدلالة على أن عدم الحياء يدعو إلى الاسترسال الذى لا يؤمن أن يسوء عاقبته وإن أعظم الموانع من القبائح عند العقلاء الذم وهو فوق عقوبة البدن فمن طاب نفسا بالذم ولم يخشه فلم يردعه عن قبيح ما هو رادع

(٢) جامع العلوم والحكم ص ١٩٠.　　(٣) شعب الإيمان ٦/١٤٥.

فلا يلبث شيئا حتى يرى نفسه مهتوك الستر مثلوب العرض ذاهب ماء الوجه لا وزن له ولا قدر قد ألحقه الناس بالبهائم وأدخلوه فى عدادها بل صار عندهم أسوأ حالاً منها فنبه بهذا القول على ما فى ترك الاستحياء من الضرر لينتهى عنه ويستشعر من الحياء ما يردع عن إتيان القبيح فيؤمن مغبته . والآخر أن معناه : إذا لم يفعل ما يستحى عن مثله فلا حرج بعد ذلك عليك فاصنع ما شئت . وكلاهما حسن وحق والله بم أراد ورسول الله ﷺ [1].

٩- قال البيهقى ، قوله : فالله سبحانه أحق أن يستحيا منه أن يتحمل على عينه بالتستر لئلا يرى العبد ناظرا إلى عورة نفسه لئلا يرى عورة عبده فإن الاحتجاب عن الله غير ممكن ولكنه يرى المكشوف مكشوفا قد ترك أدبه من التستر فيه ويرى المستور مستوراً أقام أدبه من التستر فيه فصح الاستحياء منه باللبس والستر فيه وبالله التوفيق [2].

١٠- قال ابن عبد البر : ومعنى هذا الحديث - والله أعلم - أن الحياء يمنع من كثير من الفحش والفواحش ويشتمل على كثير من أعمال البر وبهذا صار جزءا وشعبة من الإيمان لأنه وإن كان غريزة مركبة فى المرء ، فإن المستحى يندفع بالحياء عن كثير من المعاصى كما يندفع بالإيمان عنها - إذا عصمه الله فكأنه شعبة منه لأنه يعمل عمله ، فلما صار الحياء والإيمان يعملان عملا واحدا جعلا كالشىء الواحد وإن كان الإيمان اكتسابا والحياء غريزة والإيمان شعب كثيرة [3].

(والحياء من الإيمان) ، ولما كان من لا يستحى راكباً الفواحش ،

---

(١) شعب الإيمان ١٤٣/٦ . (٢) شعب الإيمان ١٥٠/٦- ١٥١ . (٣) التمهيد ٢٣٤/٩ .

مرتكبا للقبيح لا يحجزه عن ذلك حياء ولا دين كما قال : فى النبوة الأولى : مكتوب إذا لم تستحى فاصنع ما شئت) .

وقال : وقد روينا عن سعيد بن المسيب أنه قال : قلة الحياء كفر ، وبعضهم يرفعه عنه ، وهذا صحيح المعنى على الضد لأن من لا يستحى لا يبالى من العار والمعاصى ما يأتى ، كأن المستحى من أجل حيائه مرتدعا عن الفواحش والعار والكبائر فصار الحياء من الإيمان لأن الإيمان عندنا مع التصديق الطاعات وأعمال البر ولذلك صار الخلق الحسن من كمال الإيمان وتمامه على هذا المعنى لأن صاحبه يصبر فلا يشفى غيظه بما يسخط ربه ويحلم فلا يفحش ولا ينتصر بلسان ولا يد ونحو هذا مما لا يخرج عن معنى ما وصفنا [1] .

- قال الحافظ ابن رجب الحنبلى: « اعلم أن الحياء نوعان: أحدهما ما كان خلقا وجبلة غير مكتسب وهو من أجل الأخلاق التى يمنحها الله العبد ويجبله عليها .. فإنه يكف عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق، ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها فهو من خصال الإيمان بهذا الاعتبار [2] .

- (وقد يتولد الحياء من مطالعة نعمه تعالى ورؤية التقصير فى شكرها ، فإذا سلب العبد الحياء المكتسب والغريزى لم يبق له ما يمنعه من ارتكاب القبيح والأخلاق الدنيئة ، فصار كأنه لا إيمان له)[3] .

- قال الحليمى : ويشبه أن تكون حقيقة الحياء خوف الذم والتوقى من الاستنكار وقلة السوء لأن من استحى فإنما يترك لأجل

---

(١) التمهيد ٩/٢٣٦ . (٢) جامع العلوم والحكم ص ١٨٩ .

(٣) نفسه ص ١٩٠ .

استحيائه ما يوجب فعله له ذما إذ ما يرى أنه يجلب إليه سوءاً كان الذم يقبح الفعل فى نفسه ولمخالفته عادة الناس فى مثله أو لأن المتوقع من فاعله كان خلافه فأما خوف العقوبة بإسلام البدن دون ثلب العرض فلا يسمى حياء ، وإنما يسمى خضوعا واستسلاما لأن ذمه فوق كل ذم ومدحه فوق كل مدح والمذموم بالحقيقة من ذمه ربه والمحمود من حمده ربه [1] .

(١) شعب الإيمان ١٤١/٦ .

ستر العورة حياء من الله تعالى وحياء من خلقه

١- وعن جبار بن صخر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنا نهينا أن نرى عوراتنا »[١].

٢- قال الإمام مالك إياك والتجرد خاليا فإنه ينبغى لك أن تستحى من الله إذا خلوت ، فإنه بلغنى عن النبى ﷺ أنه قال : « لا أحب أن يلى لى شيئا من لا يستحى من الله فى الخلاء ... »[٢].

(الزم الحياء فإنه خلق الإسلام، بلغنى عن النبى ﷺ أنه قال : « لكل شىء خلق وخلق الإسلام الحياء)[٣].

٣- وهو فى الموطأ عن مالك عن سلْمة بن صفوان بن سلَمة الزرقى عن زيد بن طلحة بن ركانة يرفعه إلى النبى ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (لكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء) [٤].

٤- وعن أنس بن مالك قال : خرج رسول الله ﷺ يوما إلى غنم له وفيها أجير له يرعاها فإذا الأجير يتجرد فيها فدعاه رسول الله ﷺ فقال : كم لك عندنا من أجرك . فقال : لم يارسول الله ألم أحسن الرعاية والولاية ؟ قال : لا ، إنى أحب أن يكون فينا من يستحى من الله عز وجل إذا خلا [٥].

٥- عن المسور بن مخرمة قال : أقبلت بحجر أحمله ثقيلا وعلىّ إزار خفيف فانحل إزارى ومعى الحجر لم أستطع أن أضعه حتى بلغت به موضعه فقال رسول الله ﷺ : « ارجع إلى ثوبك فخذه ولا تمشوا

---

(١) أخرجه الحاكم كتاب اللباس ص ١٨٠/٤ ، ١٥١/٦ شعب الإيمان للبيهقى .

(٢) إصلاح الوعظ الدينى للمرحوم محمد عبد العزيز الخولى رسالة الإمام مالك لهارون الرشيد ص ٢٦٦ فى البيان والتحصيل ٦٢/١ .

(٣) نفسه ص ٢٦٧ .

(٤) الموطأ ، ما جاء فى الحياء . ص ٦٩٤ .

(٥) البيهقى شعب الإيمان ١٦١/٦ .

عراة »[1].

٦- عن على رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تبرز فخذيك ولا تنظر إلى فخذ حى ولا ميت »[2].

٧- عن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : (لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة ولا يفضى الرجل إلى الرجل فى الثوب ولا تفضى المرأة إلى المرأة فى الثوب)[3].

٨- عن بهز بن حكيم حدثنى أبى عن جدى قال: قلت يارسول الله : عوراتنا ما نأتى منها وما نذر ؟ قال : (احفظ عورتك إلا من زوجتك وما ملكت يمينك) قلت : يارسول الله إذا كان القوم بعضهم فى بعض ؟ قال : (إن استطعت أن لا يرينها أحد فلا يرينها) قلت : يارسول الله إذا كان أحدنا خاليا ؟ قال : (فالله أحق أن يستحى منه من الناس) قال : ووضع رسول الله ﷺ يده على فرجه)[4].

٩- ومن حديث عطاء بن أبى رباح : قال : لما كان رسول الله ﷺ بالأبواء أقبل فإذا هو برجل يغتسل بالبراز على حوض فرجع النبى ﷺ فقام فلما رأوه قائما خرجوا إليه من رحالهم . فقال : (إن الله حى يحب الحياء وستير يحب الستر فإذا اغتسل أحدكم فليتوار)[5].

١٠- عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ليستحى أحدكم من ملكَيه اللذين معه كما يستحى من رجلين صالحين من صالح جيرانه وهما معه بالليل والنهار)[6].

---

(١) رواه مسلم وانظر شعب الإيمان ١٥٢/٦ .
(٢) البيهقى ١٥٢/٦ .
(٣) أخرجه مسلم ، شعب الإيمان ١٥٢/٦ .
(٤) البيهقى ١٥١/٦ .
(٥) البيهقى ١٦١/٦ .
(٦) إسناده ضعيف شعب الإيمان ١٤٦/٦ .

١١- عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله ﷺ : (ألم أنهكم عن التعرى إن معكم من لا يفارقكم فى نوم ولا يقظة إلا حين يأتى أحدكم أهله أو حين يأتى خلاءه ألا فاستحيوهما ألا فأكرموهما) [١] .

١٢- وقال إسماعيل بن أبى خالد : دخل عيينه بن حصن على النبى ﷺ وعنده رجل فاستسقى ، فأتى بماء فشرب ، فستره النبى ﷺ ، فقال : ما هذا ؟ قال : الحياء أوتوها ومنعتموها.

١٣- وعن أنس يرفعه: (من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له) [٢].

١٤- عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (فضلت المرأة على الرجل بتسعة وتسعين جزءا من اللذة ولكن الله عز وجل ألقى عليهن الحياء) [٣].

١٥- قال البيهقى : (ويدخل فى جملة الحياء من الله عز وجل ثم من الناس ستر العورة لأن الشريعة كما جاءت بالأمر بستر العورة فكذلك الناس بحكم طباعهم يعدون كشفها سقاطة وسفاهة وخلاعة)[٤].

---

(١) شعب الإيمان ١٤٦/٦.
(٢) البيهقى فى الشعب والسنن قال ولو صح فهو فى الفاسق المعلن بفسقه وإسناده ليس بالقوى- ضعيف .
(٣) شعب الإيمان ١٤٥/٦ .
(٤) شعب الإيمان ١٥٠/٦ .

من وعظ الله تعالى لعباده
فى أداء الأمانات والحكم بالعدل

١- قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨) ﴾[١] .

تفسير الآية الكريمة ملخصًا :

١- أمر مؤكد من الله تعالى يعم الحكام والمحكومين من المخاطبين فى جميع العصور بأداء الأمانات .

٢- والعدل فى الحكم إذا حكمنا .

٣- ونعم ما يعظنا الله تعالى به ويخوفنا من الجورفيه أو الخيانة فيه .

٤- تخويف من الله لعباده بإعلامهم أنه سميع بصير لا تخفى عليه خافية مسموعة أو مبصرة ليكون ذلك أدعى لمراقبتهم جنابة فى هذه الأمور العظيمة الجليلة التى إن حفظت سلم نظام الكون وعم السلام والخير والوئام وإن ضيعت وحصل الجور والظلم من الحاكمين كان ذلك علامة على عموم الفساد فى البلاد بين العباد وإذا وقع ذلك استحقوا العقوبة من الله جل جلاله .

قال ابن كثير: (يخبر تعالى أنه يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها)[٢] .

أحاديث وآثار فى تفسير الآية الكريمة :

عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال : (أد الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا

---

(١) سورة النساء الآية (٥٨). (٢) ١/٥١٥ .

تخن من خانك)[1].

وثبت فى الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى يقتص للشاة الجماء من القرناء »[2].

قال ابن كثير بعد أن ساق روايات فى أن سبب نزولها أى هذه الآية فى عثمان بن طلحة ومفتاح الكعبة المشرفة قال : (وهذا من المشهورات أن هذه الآية نزلت فى ذلك وسواء كانت نزلت فى ذلك أو لا فحكمها عام) .

أقوال فى أنواع الأمانات :

عن ابن عباس ومحمد ابن الحنفية: ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ : قال : هى عامة للبر والفاجر ، وقال أبو العالية : الأمانة ما أمروا به ونهوا عنه .

وعن أبى بن كعب : من الأمانات أن المرأة ائتمنت على فرجها .

وقال الربيع بن أنس : هى من الأمانات فيما بينك وبين الناس .

وعن ابن عباس : قال : يدخل فيه وعظ السلطان النساء (يعنى يوم العيد) .

وقال تعالى : ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ : أمر منه تعالى بالحكم بالعدل بين الناس .

وقال محمد بن كعب وغيره : (إنما نزلت فى الأمراء يعنى الحكام بين الناس) .

وفى الحديث : (إن الله مع الحاكم ما لم يجر فإذا جار وكله إلى

---

(١) رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن أبو داود فى البيوع والترمذى ٣٧ والدارمى .. الفتح الربانى على المسند ٣/٤١٤ .

(٢) مسلم والترمذى وأحمد ٢٤/١٤٨ .

نفسه) .

وفى الأثر : (عدل يوم كعبادة أربعين سنة)[1] .

وقال ابن جرير اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية [2] .

﴿ إن الله نعمـا يعظكم بـه ﴾ : أى يأمـركم به من أداء الأمـانات ، والحكم بالعدل بين الناس وغير ذلك من أوامره وشرائعه الكاملة العظيمة الشاملة .

﴿ إن الله كـان سـميعـاً بصـيـرا ﴾ أى سـمـيعــاً لأقـوالكـم ، بصـيـرا بأفعالكم [3] .

وبسند ابن جرير الطبرى رحمه الله عن ابن جريج فى سبب نزول هذه الآية ﴿ إن الله يأمـركم أن تؤدوا الأمـانات إلى أهلهـا ﴾ قال : نزلت فى عثمان بن طلحة بن أبى طلحة ، قبض منه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة ، ودخل به البيت يوم الفتح ، فخرج وهو يتلو هذه الآية ، فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح، قال: قال عمر بن الخطاب لما خرج رسول الله ﷺ وهو يتلو هذه الآية : فداه أبى وأمى: ما سمعته يتلوها قبل ذلك [4] .

وبعـد أن بين النسـفى مـا فى الآيتين قـبل هذه الآية من وعـيـد بالعذاب الشديد للكافرين ووعد حسن ونعيم مقيم للمؤمنين العاملين قـال : (ثم خـاطب بأداء الأمـانـات والحكم بالعـدل بقـوله : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمـانات إلى أهلها ﴾ وقيل قد دخل فى هذا الأمر أداء الفرائض التى هى أمانة الله تعالى التى حملها الإنسان وحفظ الحواس التى هى ودائع الله تعالى .. وختم القول ببيان أن الموعوظ به هو أداء الأمانات والحكم بالعدل بين الناس عند القضاء وغيره وقال : (ولما أمر

---

(١) ابن كثير ١/٥١٦ . (٢) ٨/٤٩٠ .

(٣) ابن كثير ١/٥١٦ . (٤) ٨/٤٩٢ .

الولاة بأداء الأمانات والحكم بالعدل أمر الناس بأن يطيعوهم بقوله : ﴿ يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾ أى الولاة أو العلماء لأن أمرهم ينفذ على الأمراء [1] .

قال الله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ قال القرطبى : (هذه الآية من أمهات الأحكام تضمنت جميع الشرع)[2] .

الاختلاف فى المخاطب بها ملخصا من كلام القرطبى :

١- (هذا خطاب لولاة المسلمين خاصة ، فهى للنبى ﷺ وأمرائه، ثم تتناول من بعدهم .

٢- (ذلك خطاب للنبى ﷺ خاصة فى أمر مفتاح الكعبة حين أخذه من عثمان بن أبى طلحة وقت فتح مكة) .

٣- (الآية فى الولاة خاصة فى أن يعظوا النساء فى النشوز ونحوه ويردوهن إلى الأزواج) .

٤ - قال القرطبى : (والأظهر فى الآية أنها عامة فى جميع الناس فهى تتناول الولاة فيما إليهم من الامانات فى قسمة الأموال ورد الظلامات والعدل فى الحكومات .. وتتناول من دونهم من الناس فى حفظ الودائع .

٥- عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً عن النبى ﷺ قال : (القتل فى سبيل الله يكفر الذنوب كلها) أو قال : (كل شىء إلا الأمانة - والأمانة فى الصلاة والأمانة فى الصوم والأمانة فى الحديث وأشد ذلك الودائع)

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفى عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى - أبوالبركات ١/٢٣١- ٢٣٤ .ط / حلبى البابى .

(٢) القرطبى ٥/٢٥٥ .

ذكره أبو نعيم فى الحلية [1].

٦- وروى أبو أمامة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول فى خطبته عام حجة الوداع : (العارية مؤداة والمنحة مردودة والدين مقضى والزعيم غارم) [2]: فقال رجل فعهد الله ؟ قال : (عهد الله أحق ما أدى) [3].

قال الإمام الشوكانى في قوله تعالى : ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ أى وإن الله يأمركم إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل : والعدل : هو فصل الحكومة على ما فى كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ ، لا الحكم بالرأى المجرد ، فإن ذلك ليس من الحق فى شىء إلا إذا لم يوجد دليل تلك الحكومة فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله ، فلا بأس باجتهاد الرأى من الحاكم الذى يعلم بحكم الله سبحانه ، وبما هو أقرب إلى الحق عند عدم وجود النص ، وأما الحاكم الذى لا يدرى بحكم الله ورسوله ولا بما هو أقرب إليهما فهو لا يدرى ما هو العدل ، لأنه لا يعقل الحجة إذا جاءته فضلا عن أن يحكم بها بين عباد الله [4].

وروى ابن جرير الطبرى فى تفسيره عند هذه الآية بسنده عن مصعب بن سعد قال : قال على رضي الله عنه كلمات أصاب فيهن : (حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ، وأن يؤدى الأمانة ، وإذا فعل ذلك ، فحق على الناس أن يسمعوا ، وأن يطيعوا ، وأن يجيبوا إذا دعوا) [5].

قال أبو جعفر بن جرير الطبرى بعد أن ذكر أقوال العلماء فى المخاطب بالآية على ما تقدم : (وأولى هذه الأقوال بالصواب فى ذلك عندى ، قول من قال : هو خطاب من الله ولاة أمور المسلمين بأداء الأمانة إلى من ولوا أمره فى فيئهم وحقوقهم ، وما ائتمنوا عليه من

(١) صحيح رواه الترمذى وغيره .
(٢) صحيح رواه الترمذى وغيره وزاد الدارقطنى .
(٣) صحيح رواه الترمذى وغيره .
(٤) فتح القدير ١/ ٤٨٠
(٥) المصدر المذكور ٨/ ٤٩٠ .

أمورهم ، بالعدل بينهم فى القضية ، والقسم بينهم بالسوية، يدل على ذلك ماوعظ به الرعية فى : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾ فأمرهم بطاعتهم ، وأوصى الراعى بالرعية ، وأوصى الرعية بالطاعة) وقال : (يا معشر ولاة أمور المسلمين ، إن الله نعم الشىء يعظكم به، ونعمت العظة يعظكم بها فى أمره إياكم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وأن تحكموا بين الناس بالعدل) [١] .

وبعد أن أورد الآلوسى عن كثير من العلماء عموم الآية قال: (وعن زيد بن أسلم ـ واختاره الجبائى، وغيره أن هذا خطاب لولاة الأمر أن يقوموا برعاية الرعية وحملهم على موجب الدين والشريعة ، وعدوا من ذلك تولية المناصب مستحقيها ، وجعلوا الخطاب الآتى لهم أيضا ـ يعنى الآية بعد هذه الآية) [٢] .

وقال الآلوسى مبينا من لفظ الآية عظمة الموعوظ به : (وفى تصدير الكلام ـ بإن ـ الدالة على التحقيق وإظهار الاسم الجليل وإيراد الأمر على صورة الإخبار من الفخامة وتأكيد وجوب الامتثال والدلالة على الاعتناء بشأنه ما لا مزيد عليه) [٣] .

قال ومن حديث ثوبان قال قال رسول الله ﷺ (لا إيمان لمن لا أمانة له) [٤] .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : قال عمر بن الخطاب ﷺ : لايغرنك صلاة رجل ولا صيامه من شاء صام ومن شاء صلى ولكن لا دين لمن لا أمانة له) [٥] .

---

(١) نفسه ٤٩٤/٨ .
(٢) روح المعانى للآلوسى البغدادى ، ج٥ ، ص ٦٣ ـ ٦٤ .
(٣) نفسه ج ٥ ص ٦٤ .
(٤) ج ٤ ص ٣٢٠ .
(٥) البيهقى فى الشعب ، ج ٤ ص ٣٢٦ .

وعن عائشة ﵁ قالت : (من شاء صام وصلى ولا دين لمن لا أمانة له) [١].

قال القاضى أبو بكر بن العربى : (المسألة الثالثة ـ لو فرضناها ـ أى الآية ـ نزلت فى سبب فهى عامة بقولها ، شاملة بنظمها لكل أمانة وهى أعداد كثيرة ، أمهاتها فى الأحكام : الوديعة ، واللقطة ، والرهن والإجارة والعارية) ثم شرح ما يتعلق بهذه الأمهات من أحكام وقال : المسألة الرابعة ـ قوله تعالى: ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ قال ابن زيد : قال أبى ﵁ هم السلاطين ، بدأ الله سبحانه بهم ، فأمرهم بأداء الأمانة فيما لديهم من الفىء ، وكل مايدخل إلى بيت المال حتى يوصلوه إلى أربابه ، وأمرهم بالحكم بين الناس بالعدل ، وأمرنا بعد ذلك بطاعتهم ، فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾ .

قال القاضى : هذه الآية فى أداء الأمانة والحكم عامة فى الولاية والخلق، لأن كل مسلم عالم، بل كل مسلم حاكم ووال، ثم أورد الأحاديث الشريفة الدالة على ذلك [٢]. وفى الجلالين عند هذه الآية : (والآية وإن وردت على سبب خاص فعمومها معتبر بقرينة الجمع)[٣] .

---

(١) نفسه .

(٢) أحكام القرآن لابن العربى ، جـ١ ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠ .

(٣) ١٠٦/١.

٢ ـ قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[1].

أورد القرطبى رحمه الله عن علماء الصحابة أقوالاً حسنة وتفسيرات مباركة نلخص منها ما يأتى :

١) عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه أنه قال : لما نزلت هذه الآية قرأتها على على بن أبى طالب رضي الله عنه فتعجب فقال : يا آل غالب ، اتبعوه تفلحوا، فوالله إن الله أرسله ليأمركم بمكارم الأخلاق . وقال على رضي الله عنه : العدل الإنصاف ، والإحسان التفضل .

٢) وقال عكرمة : قرأ النبى ﷺ وسلك على الوليد بن المغيرة :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾إلى آخرها ، فقال يا بن أخى أعد! فأعاد عليه فقال: والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أصله لمورق ، وأعلاه لمثمر ، وما هو بقول بشر .

٣) وقال ابن مسعود رضي الله عنه : هذه أجمع آية فى القرآن لخير يمتثل ، ولشر يجتنب .

٤) وقال ابن عباس رضي الله عنه : العدل لا إله إلا الله ، والإحسان أداء الفرائض .

٥) وحكى النقاش قال : يقال زكاة العدل الإحسان ، وزكاة القدرة العفو ، وزكاة الغنى المعروف ، وزكاة الجاه كتب الرجل إلى إخوانه .

٦) قال ابن عطية : العدل : هو كل مفروض من عقائد وشرائع فى أداء الأمانات ، ترك الظلم والإنصاف ، وإعطاء الحق ، والإحسان : هو فعل كل مندوب إليه ، فمن الأشياء ما هو كله مندوب إليه ، ومنها ما

---

(١) سورة النحل آية (٩٠) .

هو فرض ، إلا أن حد الإجزاء منه داخل في العدل ، والتكميل الزائد على الإجزاء داخل في الإحسان (١) .

٧) قال القرطبي : وأما الإحسان فقد قال علماؤنا : الإحسان مصدر أحسن يحسن إحسانا .

ويقال على معنيين: أحدهما: متعد بنفسه كقولك: أحسنت كذا..

وثانيهما : متعد بحرف جر، كقولك : أحسنت إلى فلان أى أوصلت إليه ما ينتفع به .. وهو فى هذه الآية مراد بالمعنيين معاً ، فإنه تعالى يحب من خلقه إحسان بعضهم إلى بعض .. وهو تعالى غنى عن إحسانهم ، ومنه الإحسان والنعم والفضل والمنن ، هذا هوالمعنى الثانى للإحسان فى الآية وأما المعنى الأول : (فإنه راجع إلى إتقان العبادة ومراعاتها بآدابها المصححة المكملة ، ومراقبة الحق فيها ، واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار)

٨) ﴿ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ أى القرابة .. وإنما خص ذا القربى لأن حقوقهم آكد وصلتهم أوجب ، لتأكيد حق الرحم التى شق الله اسمها من اسمه ، وجعل صلتها من صلته فقال فى الصحيح : (أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك) .

٩) ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾

- الفحشاء : الفحش ، وهو كل قبيح من قول أو فعل .
- والمنكر : ما أنكره الشرع بالنهى عنه ، وهو يعم جميع المعاصى والرذائل والدناءات على اختلاف أنواعها .
- والبغى : هو الكبر والظلم والحقد والتعدى . وفى الحديث (لا ذنب أسرع عقوبة من بغى (٢) . وفى الحديث الآخر :

---

(١) القرطبى ١٠/١٦ وانظر تفسير ابن عطية ٨/٤٩٤ . (١) القرطبى ١٠/١٦٧ ، ١٦٨ .

(الباغى مصروع) [1].

١٠) قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ﴾ [2].

وقال تعالى :

﴿ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهِ ﴾ [3] [4].

ويفسر ابن كثير هذه الآية بما ملخصه :

١ـ يخبر تعالى أنه يأمر عباده بالعدل وهو القسط والموازنة ويندب إلى الإحسان .

٢ـ ويورد آيات من كتاب الله تعالى تفسر العدل والندب إلى الفضل فقال : كقوله تعالى :

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ [5].

وقوله :

﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾[6].

وقال : ﴿ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ﴾[7].

٣ـ وأما البغى فهو العدوان على الناس ، وقد جاء فى الحديث :

(مامن ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته فى الدنيا مع ما يدخر

---

(١) نفسه .
(٢) سورة يونس آية (٢٣) .
(٣) سورة الحج من آية (٦٠) .
(٤) القرطبى ١٠/١٦٥ـ١٦٨ .
(٥) سورة النحل آية (١٢٦) .
(٦) سورة الشورى آية (٤٠) .
(٧) سورة المائدة آية (٤٥) .

لصاحبه فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم)[1] .

٤ـ ﴿ يَعِظُكُمْ ﴾ أى يأمركم بما يأمركم به من الخير وينهاكم عما ينهاكم عنه من الشر .

٥ـ وعن ابن مسعود ﷺ : إن أجمع آية فى القرآن الكريم فى سورة النحل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ الآية .

٦ـ وقال سعيد عن قتادة قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ الآية ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به وليس من خلق سيئ كانوا يتغامرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدم فيه ، وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها .

٧ـ وفى كتاب معرفة الصحابة للحافظ أبى يعلى بسنده قال : (بلغ أكثم بن صيفى مخرج النبى ﷺ فأراد أن يأتيه فأبى قومه أن يدعوه . وقالوا: أنت كبيرنا لم تكن لتخف إليه . قال : فيأته من يبلغه عنى ، ويبلغنى عنه . فانتدب رجلان. فأتيا النبى ﷺ فقالا: نحن رسل أكثم بن صيفى وهو يسألك : من أنت وما أنت ؟ فقال النبى ﷺ: « أما من أنا ؟ فأنا محمد بن عبد الله ، وأما ما أنا ؟ فأنا عبد الله ورسوله » قال : ثم تلا عليهم هذه الآية :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ الآية قالوا : رددعلينا هذا القول فردده عليهم حتى حفظوه، فأتيا أكثم فقالا : أبا أن يرفع نسبه . فسألناه عن نسبه فوجدناه زاكى النسب وسطا فى مضر ـ أى شريفا ـ وقد رمى إلينا بكلمات قد سمعناها فلما سمعهن أكثم قال : (إنى أراه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها فكونوا فى هذا الأمر رؤوسا ولا تكونوا فيه أذنابا) [2] .

---

(٢) تقدم. (٢) تفسير ابن كثير ٢/٥٨٢ ـ ٥٨٣ .

وبعد ما أورد الشوكانى أقوال أهل العلم فى المراد بالعدل فى الآية قال :

١- (والأول تفسير العدل بالمعنى اللغوى : وهو التوسط بين طرفى الإفراط والتفريط ، فمعنى أمره سبحانه بالعدل أن يكون عباده فى الدين على حالة متوسطة ، ليست مائلة إلى جانب الإفراط وهو الغلو المذموم فى الدين ، ولا إلى جانب التفريط وهو الإخلال بشىء مما هو من الدين) .

٢- وأما الإحسان فمعناه اللغوى يرشد إلى أنه التفضل بما لم يجب كصدقة التطوع .

٣- (ومن الإحسان فعل ما يثاب عليه العبد مما يوجبه الله عليه فى العبادات وغيرها) .

٤- (ففى حديث ابن عمر الثابت فى الصحيحين تفسير النبى ﷺ الإحسان بأن يعبد الله العبد حتى كأنه يراه : (والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) [1] وهذا هو معنى الإحسان شرعاً.

٥- (وهذه الآية هى من الآيات الدالة على وجــوب الأمــر بالمعروف والنهى عن المنكر) .

٦- ثم ختم سبحانه لهذه الآية بقوله :

﴿ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

أى يعظكم بما ذكره فى هذه الآية مما أمركم به ونهاكم عنه ، فإنها كافية فى باب الوعظ والتذكير ، لعلكم تذكرون إرادة - أن تتذكروا ما ينبغى تذكره فتتعظوا بما وعظكم الله به [2] .

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان ١/١٥٧ . (٢) فتح القدير ٣/١٨٨ .

أما النسفى فإنه يجمل تفاسير العلماء فى هذه الآية فيقول :

١ـ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ : بالتسوية فى الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وإيصال كل ذى حق إلى حقه .

٢ـ ﴿ وَالإِحْسَانِ ﴾ : إلى من أساء إليكم، أوهما : الفرض والندب لأن الفرض لابد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب.

٣ـ ﴿ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ﴾ : وإعطاء ذى القرابة وهو صلة الرحم.

٤ـ ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ ﴾ : عن الذنوب المفرطة فى القبح .

٥ـ ﴿ وَالْمُنكَرِ ﴾ : ما تنكره العقول .

٦ـ ﴿ وَالْبَغْيِ ﴾ : طلب التطاول بالظلم والكبر.

٧ـ ﴿ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ : تتعظون بمواعظ الله .. وهى أجمع آية فى القرآن للخير والشر ولهذا يقرؤها كل خطيب على المنبر فى آخر كل خطبة لتكون عظة جامعة لكل مأمور ومنهى [1] .

ويفسر الشيخ محمد الأمين الشنقيطى هذه الآية بقوله :

(ذكرجل وعلا فى هذه الآية الكريمة: أنه يأمر خلقه بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى القربى، وأنه ينهاهم عن الفحشاء والمنكر والبغى، لأجل أن يتعظوا بأوامره ونواهيه ، فيمتثلوا أمره ، ويجتنبوا نهيه .. ومن الآيات التى أمر فيها بالعدل قوله تعالى :

﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [2] .

وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم

---

(١) تفسير النسفى ٢/٢٩٧ . (٢) سورة المائدة آية (٨) .

بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ﴾ (١) .

ومن الآيات التى أمر فيها بالإحسان قوله تعالى :

﴿ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥) ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (٣) .

وقوله : ﴿ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ ﴾(٤) .

وقوله : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾(٥) .

وقوله : ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾(٦) .

ومن الآيات التى أمر فيها بإيتاء ذى القربى قوله تعالى :

﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٨) ﴾ (٧) .

وقوله :

﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ (٨) .

وقوله : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ ﴾ (٩) .

وقوله: ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) ﴾ (١٠) .

إلى غير ذلك من الآيات .

ومن الآيات التى نهى فيها عن الفحشاء والمنكر والبغى قوله :

---

(١) سورة النساء آية (٥٨) .
(٢) سورة البقرة آية (١٩٥) .
(٣) سورة البقرة آية (٨٣) .
(٤) سورة القصص آية (٧٧) .
(٥) سورة البقرة آية (٨٣) .
(٦) سورة التوبة آية (٩١) .
(٧) سورة الروم آية (٣٨) .
(٨) سورة الإسراء آية (٢٦) .
(٩) سورة البقرة آية (١٧٧) .
(١٠) سورة البلد آية (١٤، ١٥) .

﴿ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (1).

وقوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ الآية (2).

وقوله : ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠) ﴾ (3). والمنكر وإن لم يصرح باسمه فى هذه الآيات ، فهو داخل فيها (4).

تخول العالم أصحابه بالموعظة مخافة السآمة عليهم

١ـ (عن أبى مسعود قال : كان النبى ﷺ : يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهة السآمة علينا) (5).

٢ـ (عن أبى وائل قال : كان عبد الله يذكِّر الناس فى كل خميس. فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكَّرتنا كل يوم . قال : أما إنه يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أملكم ، وإنى أتخولكم بالموعظة كما كان النبى ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا) (6).

٣ـ (عن شقيق قال : كنا ننتظر عبد الله إذ جاء يزيد بن معاوية، قلت : ألا تجلس ؟ قال : لا ، ولكن أدخل فأخرج إليكم صاحبكم ، وإلا جئت أنا فجلست . فخرج عبد الله وهو آخذ بيده ، فقام علينا فقال : أما إنى أخبر بمكانكم ، ولكنه يمنعنى من الخروج إليكم أن رسول الله ﷺ

---

(١) سورة الأنعام آية (١٥١). (٢) سورة الأعراف آية (٣٣).

(٣) سورة الأنعام آية (١٢٠).

(٤) أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن ٣٤٦/٣ ، ٣٤٧ .

(٥) صحيح البخارى ، كتاب العلم ، باب ما كان النبى ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كى لا ينفروا (٦٨) ١٦٣/١.

(٦) صحيح البخارى ، كتاب العلم ، باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة (٧٠) ١٦٣/١ .

كان يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهية السآمة علينا) [1].

٤ـ (عن شقيق قال : كنا جلوساً عند باب عبد الله ننتظره فمر بنا يزيد بن معاوية النخعى فقلنا أعلمه بمكاننا . فدخل عليه فلم يلبث أن خرج علينا عبد الله فقال : إنى أخبر بمكانكم فلا يمنعنى أن أخرج إليكم إلا كراهية أن أملكم ، إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة فى الأيام مخافة السآمة علينا) .

٥ـ (وعن شقيق أبى وائل قال : كان عبد الله يذكرنا كل يوم خميس فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن إنا نحب حديثك ونشتهيه ولوددنا أنك حدثتنا كل يوم. فقال : ما يمنعنى أن أحدثكم إلا كراهية أن أملكم . إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهية السآمة علينا) [2].

٦ـ (عن أبى وائل عن عبد الله قال : كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة فى الأيام مخافة السآمة علينا) [3].

٧ـ (عن أبى وائل عن عبد الله أنه قال : إنى لأخبر بجماعتكم فيمنعنى الخروج إليكم خشية أن أملكم كان رسول الله ﷺ يتخولنا فى الأيام بالموعظة خشية السآمة علينا) [4].

٨ـ (عن أبى وائل قال : كان عبد الله يذكر كل خميس أو اثنين الأيام قال فقلنا أو فقيل يا أبا عبد الرحمن إنا لنحب حديثك ونشتهيه ووددنا أنك تذكرنا كل يوم فقال عبد الله : إنه لا يمنعنى من ذلك إلا

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب الدعوات ، باب الموعظة ساعة بعد ساعة (٦٤١١) ١١/٢٢٨٧.

(٢) كتاب المنافقين وصفاتهم وأحكامهم صحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب الاقتصاد فى الموعظة ١٧/١٦٣ ـ ١٦٤ .

(٣) هذا حديث حسن صحيح (٣٠١٥) سنن الترمذى ، أبواب الأدب ٨/١٢١ .

(٤) مسند الإمام أحمد ١/٤٢٦ .

أنى أكره أن أملكم وإنى لأتخولكم بالموعظة كما كان رسول الله ﷺ يتخولنا) [1].

٩- (عن عبد الله بن إدريس قال : سمعت الأعمش يروى عن شقيق قال كان عبد الله يخرج إلينا فيقول : إنى لأخبر بمكانكم وما يمنعنى أن أخرج إليكم إلا كراهية أن أملكم . إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهية السآمة علينا) [2].

١٠) (قال سليمان سمعت شقيقاً يقول : كنا ننتظر عبد الله بن مسعود فى المسجد يخرج علينا فجاءنا يزيد بن معاوية يعنى النخعى قال فقال ألا أذهب فأنظر فإن كان فى الدار لعلى أن أخرجه إليكم فجاءنا فقام علينا فقال : إنه ليذكر لى مكانكم فما آتيكم كراهية أن أملكم لقد كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهية السآمة علينا) [3].

١١- (عن أبى وائل عن عبد الله قال : كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة فى الأيام مخافة السآمة علينا) [4].

١٢- (عن أبى وائل عن عبد الله أنه قال : إنى لأخبر بجماعتكم فيمنعنى الخروج إليكم خشية أن أملكم كان رسول الله يتخولنا فى الأيام بالموعظة خشية السآمة علينا) [5].

١٣- (عن شقيق قال كنا جلوسا عند باب عبد الله ننتظره يأذن لنا قال : فجاء يزيد بن معاوية النخعى فدخل عليه فقلنا له أعلمه بمكاننا فدخل فأعلمه فلم يلبث أن خرج فقال : إنى لأ علم مكانكم فأدعكم على عمد مخافة أن أملكم إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة فى الأيام

---

(١) مسند الإمام أحمد ١/٤٦٥ - ٤٦٦ .
(٢) مسند الإمام أحمد ١/٣٧٨ .
(٣) مسند الإمام أحمد ١/٣٧٧ .
(٤) مسند الإمام أحمد ١/٤٤٣ .
(٥) مسند الإمام أحمد ١/٤٤٠ .

مخافة السآمة علينا) [١] .

١٤- (عن أبى وائل قال : كان عبد الله مما يذكر كل يوم الخميس فقيل له لوددنا أنك ذكرتنا كل يوم قال : إنى أكره أن أملكم ، إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة كراهية السآمة علينا) [٢] .

من فوائد هذه الأحاديث

١- النبى ﷺ أدبه ربه فأحسن تأديبه وعلمه من العلم ما لم يكن يعلم ورباه وأرسله لخلقه ليبلغهم عن ربهم العلم والأدب والتربية الحسنة التى لا مطمع لأحد فى تربية وإصلاح فوقها ، وقد بذل ﷺ ذلك كله لأصحابه الذين بلّغونا عنه كل علم نافع وعمل صالح وقول سديد وقدوة حسنة .

٢- ومن حسن تربيته ﷺ لأصحابه تحين فرص النشاط الذهنى والفكرى عندهم ، فيعظهم ويحفظهم العلم ، الذى جاء به والأخلاق الذى بعث ليتمم أحسنها ، وهذا يدلنا على أنه مطلع على أحوالهم ويعانى معاناتهم ويعلم شواغلهم وأوقات فراغهم لذا نجده يغتنم فرصة خبر طريف حدث أو نبأ عظيم طرأ أو وفد وفد وغير ذلك ممايطول تتبعه والسعيد من الدعاة من فطن لذلك وتأسى به مع أصحابه ومحيطه وتلاميذه .

٣- وقد سعد بهذا المنهج التربوى الصاحبة رضوان الله عليهم إن ابن مسعود رضي الله عنه وهو فى العراق يتبع هذا الأسلوب ويحافظ عليه لعلمه أنه هو منتهى التوفيق فى التربية والتعليم .

٤- الإنسان بطبعه يمل ويسأم ولو كان محباً للخير الذى يلقن له

(١) مسند الإمام أحمد ١/٤٢٥ . (٢) مسند الإمام أحمد ١/٤٢٧ .

ولا يريد أن يذهب عليه منه شيء ، والمتحدث ولو كنت تحبه حباً أعظم من نفسك ومالك لا تملك عند الكلل الذهنى، والتعب البدنى والاشتغال الفكرى أن تتابعه ولو مجاملة لذا فإن هذا الدين يقدر ما جبل عليه البشر ويسوسهم بعدم الإكثار عليهم لئلا يسأموا العلم والعمل والأحاديث في حث النبى ﷺ اتباعه بالتيسير وعدم التنفير والبعد عن التكلف بأنواعه كثيرة .

٥- أهل العلم أولى الناس بالمحافظة على منهج التربية النبوية وفى هذه الأحاديث منقبة عظيمة يقتدى بها لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

٦- من أدب العالم مع طلابه الاعتذار إليهم وبيان الأسباب التى تحمله على تصرف معين معهم ، لأن ذلك أبقى للمودة وأوثق للصلة الحسنة التى لابد من تقوية رابطتها بين أهل العلم وطلاب العلم والناس عموماً لأن العلماء ورثة الأنبياء والأنبياء أطباء من الله تعالى لمعالجة أمراض عباده ولابد من محبة الطبيب والاطمئنان إليه .

٧- قد يترك الإنسان أبواباً من الخير فى أوقات معينة وهو يحب أن يعمل بها وذلك لمصلحة راجحة أو لدفع مفسدة مؤكدة .

٨- تجمع الطلاب على باب العالم من علامات الخير وحب العلماء والحرص على اغتنام فرصة وجودهم للأخذ عنهم .

٩- إذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يتنافسون فى تبليغ العلم ونشر الدين فإن الله تعالى منّ عليهم بطلبة علم أحرص على الخير والعلم والأدب من حرص أهل الدنيا على دنياهم ، لذا جاءت ثمرة جهود الجميع كثيرة ومباركة لأنها كانت لله وفى الله .

١٠- فيها أدب الطالب النابه مع شيخه ، إذا امتنع يزيد بن معاوية عن الجلوس مكان عبد الله بن مسعود عندما طلب منه ذلك إلا بعد

الإذن ومعرفة سبب تأخر صاحب المجلس عن مجلسه .

١١ـ يتخولنا : أى « يتعاهدنا بها فى مظان القبول ، لا يكلمنا فى كل وقت لئلا نسأم ، ومثله التخون ، يقال : تخولت الرجل وتخونته ، والخائل : المتعهد للشيء الحافظ له .

قال أبو عمرين العلاء: الصواب ـ يتحولهم : بالحاء ، أى: يطلب أحوالهم التى ينشطون فيها للموعظة ، فيعظهم فيها ، ولا يكثر عليهم فيملوا .

وقال عبد الله بن مسعود : حدّث القوم ما حدجوك بأبصارهم ، وأقبلت عليك قلوبهم ، فإذا انصرفت عنك قلوبهم ، فلا تحدثهم ، قيل وما علامة ذلك؟ قال : إذا التفت بعضهم إلى بعض، ورأيتهم يتثاءبون ، فلا تحدثهم .

قوله : حدجوك بأبصارهم : أى رموك بها يريد: حدثهم ماداموا يشتهون حديثك فإذا أعرضوا عنك ، فاسكت .

وعن عكرمة ، عن ابن عباس، قال : حدّث الناس كل جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين ، فإن أكثرت فثلاث مرات، ولا تمل الناس هذا القرآن ولا ألفينك تأتى القوم ، وهم فى حديث من حديثهم فتقص عليهم ، فتقطع عليهم حديثهم ، فتملهم ، ولكن انصت ، فإذا أمروك ، فحدثهم وهم يشتهونه ، وانظر السجع من الدعاء ، فاجتنبه ، فإنى عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك .

وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها لعبيد بن عمير : ألم أحدث أنك تجلس ويجلس إليك ؟ قال : بلى يا أم المؤمنين ، قالت : فإياك وإملال الناس وتقنيطهم .

وروى أنها قالت له: اقصص يوماً واترك يوما، لا تمل الناس[1] .

---

(١) شرح السنة للإمام الحسين بن مسعود (ت ٥١٦) المكتب الإسلامى ١/٣١٣ ـ ٣١٤ .

باب وعظ العالم فى الاحتياط فى رواية الحديث الشريف

(عن أبى سعيد أن أبا موسى أتى باب عمر فاستأذن فقال عمر واحدة ثم استأذن الثانية فقال عمر ثنتان ثم استأذن الثالثة فقال عمر ثلاث ثم انصرف فأتبعه فرده فقال إن كان هذا شيئا حفظته من رسول الله ﷺ فها وإلا فلأجعلنك عظة . قال أبو سعيد فأتانا فقال : ألم تعلموا أن رسول الله ﷺ قال : الاستئذان ثلاث . قال : فجعلوا يضحكون قال : فقلت : أتاكم أخوكم المسلم قد أفزع تضحكون انطلق فأنا شريكك فى هذه العقوبة فأتاه فقال : هذا أبو سعيد) [1] .

الاستئذان : طلب الإذن بالدخول أو عمل شىء ما .

انصرف : ولى مدبراً وأقبل على جهة أخرى .

فها : فهاتى يارجل ما عندك .

أفزع : الإفزاع الإخافة تقول فزع منه وفزع إليه .

من فوائد الحديث :

١ـ رواية حديث النبى ﷺ وتبليغه للناس من أهم المهمات إذ أن النبى ﷺ قال : بلغوا عنى ولو حديثا .

٢ـ السنة النبوية هى المبينة لما أُجمل فى القرآن من أحكام ومن ذلك هذا الحديث حيث إنه أمر بالاستئذان فى القرآن الكريم وبينت السنة هنا عدد مرات الاستئذان .

٣ـ إتيان العالم باب الخليفة أو الأمير والاستئذان عليه لأمر عام أو لأمر خاص .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الآداب باب الاستئذان ١٤/١٣٣ .

٤ـ كـان إتيـان أبى مـوسى الأشعـرى ﷺ باب عمر أيام خلافته ﷺ .

٥ـ تأخير العالم الإذن للطارق عليه المستأذن من أجل مصلحة معينة يراها أو عمل صالح ليتمه .

٦ـ إحصاء أمير المؤمنين عمر ﷺ لمرات الإستئذان عليه له هدف من ورائه وقد شهد له النبى ﷺ أنه من المحدثين الملهمين فى هذه الأمة المحمدية لذا طالب أبا موسى بدليل إن كان سمع فى رجوعه بعد الثلاثة فى الاستئذان أثر عن النبى ﷺ ليعلم الناس به وينتشر بينهم ويعملوا به إذ الآية ليس فيها إلا : ﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾ .

٧ـ بساطة الصحابة رضوان الله عليهم وتواضعهم ...

٨ـ الصحابة رضوان الله عليهم عدول بتعديل الله ورسوله لهم لذا لم يوجد من بينهم من يكذب أو يضع الحديث أو يتبع أهل الأهواء أو يدعوا إلى فتنة أو معتقد فاسد ومن رأى النبى ﷺ مؤمنا به وحصل منه ما يخالف الصحابة والإيمان فإنك تجد أن النبى ﷺ قد نبه إلى ما يدل على حاله أو مصيره .

٩ـ أمير المؤمنين بدون حاجب أو حرس أو بواب يسمع بنفسه طرقات الباب ويخرج فى طلب من كان يدق الباب ويحاوره ويطالبه بدليل يعتمد عليه فى تصرفه إذ الصحابة أئمة وقدوة يقتدى بهم ومن رآهم عمل مثل عملهم ولو لم يعرف مستندهم فأرادعمر ﷺ أن تتضح الأمور ويعرف ما له دليل ممن لا دليل عليه لذا بادر ﷺ فى طلب التثبت فى الرواية احتياطاً ونشراً للعلم من مصدره حيث يعترف ﷺ أن طلبه للمعاش والاشتغال فى التجارة فوت عليه أموراً مهمة من أمر

رسول الله ﷺ .

١٠ـ تهديد الأمير العالم لأحد العلماء فى مسألة علمية يريد التحقق من صحة مصدرها وثبوتها عن صاحب الرسالة ﷺ إذ الأمور الاجتماعية كالاستئذان وغير ذلك من الآداب الإسلامية التى تؤدى المحافظة عليها إلى مزيد من الأمن والصيانة ووفور المحبة والمودة بين المسلمين فلا تترك لعادات الناس وأعرافهم وتقاليدهم حيث أن الصالح من ذلك أقره الإسلام وما كان فيه نقص كمله وما كان فاسداً أبطله .

١١ـ التهديد ممن يعلم أنه قادر على تنفيذه يُرهب ويقلق ويكفى العالم وصاحب الهيئة من الإهانة والتنكيل أن تقول له أنه خائن للأمانة التى حمّله الله إياها حيث يعمل بما يخالف معلوماته وما يمليه عليه شرعه فيعمل أعمالاً لا دليل له عليها أو يقول بأنه يعلم لها دليلا ولا يأتى به فهذا يجعله عبرة وعظه للمعتبرين والسعيد من وعظ بغيره لذا فزع هذا الصحابى الجليل من تهديد أمير المؤمنين له بأن يجعله عظة إن لم يأت بنص من رسول الله ﷺ وبشاهد معه عليه .

١٢ـ إنما ضحك أولئك النفر من الصحابة رضوان الله عليهم من حال أبى موسى رضي الله عنه تعجباً ، ولا طمئنانهم أنه لا يلحقه أذى ولا يصيبه مكروه لأن ما طلبه يعرفونه .

١٣ـ أبو سعيد الخدرى رضي الله عنه صحابى وأبوه صحابى أيضاً وهو وإن كان من صغار الصحابة فإنه حوى علماً كثيرا وروى كثيرا من علم هذه الأمة المحمدية وبلغه على طول حياته ، ومواقفه فى ذلك معروفة مشهورة ومنها هذا الحديث الذى تضمن الاستعداد للوقوف أمام أمير المؤمنين رغم مهابة كبار الصحابة له ليعلمه أنه سمع هذا العلم من الرسول ﷺ وإن كان فات عليك مع قربك ياأمير المؤمنين من رسول الله

ﷺ وحرصك على حيازة أكبر ما يمكن من علمه وحفظ أخباره ومعرفة أحواله وليس عليك ياأمير المؤمنين فى ذلك غضاضة فالعلم لا يحاط به وعندك منه ما ليس عند غيرك كما أن عند غيرك ماليس عندك .

١٤- رق أبو سعيد رضي الله عنه لأبى موسى رضي الله عنه لصفاء روحه وشفقته على المسلمين أن ينالهم أى أذى لذا قال لمن ضحك بدون تعليل لسبب ضحكهم - (أتاكم أخوكم المسلم قد أفزع تضحكون ؟) .

١٥- إنما قال أبو سعيد لأبى موسى : (انطلق فأنا شريكك فى هذه العقوبة) مبالغة فى تهدئة روعه وتطيبا لخاطره حتى يطمئن أن لا عقوبة عليه إذاً مادمت أنا أصغر القوم وسوف يقبل عمر رضي الله عنه شهادتى بالسماع فلا داعى للفزع .

١٦- جاء فى سياق هذه الروايات أن عمر رضي الله عنه وهو صاحب الفراسة الصائبة قال لمن معه من الصحابة : إن وجد أبو موسى شاهدا ستجدونه العشية عند المنبر وإن لم يجد لا ترونه هناك ، وقد قال ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر ما قال لشىء أظنه كذا إلا جاء كما ظن - وهنا كان الأمر على ما ظن إذ وجد أبا موسى ومعه أبو سعيد عند المنبر .

١٧- وجاء أن عمر رضي الله عنه لما قال له أبو موسى: هذا أبو سعيد وفى رواية لمسلم قال : يا أبا موسى ما تقول؟ أقد وجدت قال : نعم أبى ابن كعب قال عدل .

١٨- وقد تجلى فى قول أبى رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه وهو صغير السن بالنسبة لعمر : يا بن الخطاب لا تكونن عذابا على أصحاب رسول الله ﷺ وقول عمر رضي الله عنه سبحان الله: إنما سمعت شيئا فأحببت أن أتثبت ، كما تجلى فيها تواضع عمر رضي الله عنه وأنه لا يريد من مواقفه مع أهل العلم من

الصحابة إلا الوصول إلى الحق مع المحبة والاحترام المتبادل حيث إنهم أئمة يقتدى بهم فلا يليق بهم إلا عمل صائب على سنة واضحة .

١٩- ويفهم من موقف عمر بن الخطاب ﷺ هذا مع تواضعه وحبه لصحابة رسول الله ﷺ وبعده من اتهامهم بالكذب على رسول الله ﷺ أنه ينبغى للقائمين على أمور المسلمين أن يتبعوا هذه السياسة الحكيمة فيما يتعلق بالأمور الشرعية والأخذ على يد من عرف منه عدم التثبت فى الرواية أو إهمال الأحكام الشرعية ، أو التجنى على الشريعة والكلام فى الدين بغير علم إذ أن لكل ميدان أهله والدين أولى بالرعاية والحماية من الطب مثلا ..

وعظ الجاهل بالعلم وبيان الأحكام الشرعية

١- (عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ استند إلى بيت فوعظ الناس وذكرهم قال : لا يصلى أحد بعد العصر حتى الليل ولا بعد الصبح حتى تطلع الشمس ولا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم مسيرة ثلاث ولا تتقد من امرأة على عمتها ولا على خالتها) (١) .

٢- (عن أبى بردة عن أبى موسى ﷺ : (بلغنا مخرج النبى ﷺ ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لى أنا أصغرهم : أحدهما أبو بردة ، والآخر أبو رهم - إما قال : فى بضع ، وإما قال : فى ثلاثة وخمسين ، أو اثنين وخمسين رجلاً من قومى - فركبنا سفينة ، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبى طالب فأقمنا معه ، حتى قدمنا جميعاً

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢/١٨٢ .

فوافقنا النبى ﷺ حين افتتح خيبر ، وكان أناس من الناس يقولون لنا ـ يعنى لأهل السفينة ـ سبقناكم بالهجرة . ودخلت أسماء بنت عميس ـ وهى ممن قدم معنا ـ على حفصة زوج النبى ﷺ زائرة ، وقد كانت هاجرت إلى النجاشى فيمن هاجر ، فدخل عمر على حفصة ـ وأسماء عندها ـ فقال عمر حين رأي أسماء : من هذه ؟ قال : أسماء بنت عميس . قال عمر : آلحبشية هذه آلبحرية هذه ؟ قالت أسماء : نعم ، قال : سبقناكم بالهجرة ، فنحن أحق برسول الله منكم . فغضبت وقالت : كلا والله كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم ، وكنا فى دار ـ أو فى أرض البعداء البغضاء الحبشة ، وذلك فى الله وفى رسوله ﷺ . وأيم الله لا أطعم طعامًا ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ ونحن كنا نؤذى ونخاف وسأذكر ذلك للنبى ﷺ وأسأله ، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه ، فلما جاء النبى ﷺ قالت: يا نبى الله ، إن عمر قال كذا وكذا. قال: فما قلت له؟ قالت : قلت له كذا وكذا . قال : ليس بأحق بى منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان. قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوننى أرسالاً يسألونى عن هذا الحديث ما من الدنيا شىء هم به أفرح ولا أعظم فى أنفسهم مما قال لهم النبى ﷺ) (1).

٣ـ (عن أبى موسى قال : بلغنا مخرج رسول الله ﷺ ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لى أنا أصغرهما أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم إما قال : بضعا وإما قال : ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلا من قومى قال : فركبنا سفينة فألقتنا

(1) صحيح البخارى كتاب المغازى باب غزوة خيبر ٧/٤٨٤ ـ ٤٨٥ .

سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبى طالب وأصحابه عنده ، فقال جعفر: إن رسول الله ﷺ بعثنا ههنا وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً . قال: فوافقنا رسول الله حين افتتح خيبر فأسهم لنا أو قال : أعطانا منها وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئا إلا لمن شهد معه إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه قسم لهم معهم ، قال : فكان ناس من الناس يقولون لنا يعنى لأهل السفينة : نحن سبقناكم بالهجرة . قال : فدخلت أسماء بنت عميس وهى ممن قدم معنا على حفصة زوج النبى ﷺ زائرة وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه فدخل عمرعلى حفصة وأسماء عندها فقال عمر حين رأى أسماء من هذه ؟ قالت : أسماء بنت عميس، قال عمر : آلحبشية هذه آلبحرية هذه ؟ فقالت أسماء : نعم فقال عمر : سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم . فغضبت وقالت كلمة كذبت يا عمر كلا والله كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا فى دار أو فى أرض البعداء البغضاء فى الحبشة وذلك فى الله وفى رسوله . وأيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ ونحن كنا نؤذى ونخاف وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ وأسأله ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك قال: فلما جاء النبى ﷺ قالت : يا نبى الله إن عمر قال كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ : ليس بأحق بى منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان . قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتونى أرسالاً يسألونى عن هذا الحديث ما من الدنيا شىء هم به أفرح ولا أعظم فى أنفسهم مما قال لهم

رسول الله ﷺ قال أبو بردة : فقالت أسماء فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث منى) [1] .

٤- (عن أنس رضي الله عنه وهذا حديث بهز قال : لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد فاذكرها على قال : فانطلق زيد حتى أتاها وهى تخمر عجينها . قال : فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها . فوليتها ظهرى ونكصت على عقبى فقلت : يا زينب أرسل رسول الله ﷺ يذكرك قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربى فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن قال : فقال ولقد رأيتنا أن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار فخرج الناس وبقى رجال يتحدثون فى البيت بعد الطعام فخرج رسول الله ﷺ واتبعته فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يارسول الله كيف وجدت أهلك ؟ قال : فما أدرى أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرنى . قال : فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستر بينى وبينه ونزل الحجاب .

قال : ووعظ القوم بما وعظوا به ، زاد ابن رافع فى حديثه ﴿ لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه﴾ إلى قوله : ﴿ والله لا يستحى من الحق ﴾ [2] .

٥- (عن صخر بن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه ، عن جده ، قال :

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل جعفر وأسماء بنت عميس وأهل سفينتهم رضى الله عنهم ١٦/٦٤ - ٦٦ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب وإثبات وليمة العرس ٩/٢٢٧ - ٢٢٩ .

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن من البيان سحرا ، وإن من العلم جهلا ، وإن من الشعر حكما ، وإن من القول عيالا » .

فقال صعصعة بن صوحان صدق نبى الله ﷺ : أما قوله : « إن من البيان سحرا » : فالرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق ، وأما قوله : « إن من العلم جهلا »: فيتكلف العالم إلى علمه ما لا يعلم فيجهله ذلك ، وأما قوله : « إن من الشعر حكما » : فهى هذه المواعظ والأمثال التى يتعظ بها الناس ، وأما قوله : « إن من القول عيالا » : فعرضك كلامك وحديثك على من ليس من شأنه ولا يريده » [(١)].

٦- (عن عامر الرام أخى الخضر - قال أبو داود : قال النفيلى : هو الخضر ولكن كذا قال - قال : إنى لببلادنا إذ رفعت لنا رايات وألوية، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : هذا لواء رسول الله ﷺ، فأتيته وهو تحت شجرة قد بسط له كساء وهو جالس عليه ، وقد اجتمع إليه أصحابه فجلست إليهم ، فذكر رسول الله ﷺ الأسقام ، فقال : « إن المؤمن إذا أصابه السقم ثم أعفاه الله منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه ، وموعظة له فيما يستقبل ، وإن المنافق إذا مرض ثم أعفى كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلم يدر لم عقلوه ولم يدر لم أرسلوه) ؟ فقال رجل ممن حوله: يارسول الله ، وما الأسقام ؟ والله ما مرضت قط ، فقال رسول الله ﷺ : « قم عنا فلست منا » فبينا نحن عنده إذ أقبل رجل عليه كساء وفى يده شىء قد التف عليه ، فقال : يارسول الله ، إنى لما رأيتك أقبلت إليك فمررت بغيضة شجر فسمعت فيها أصوات فراخ

(١) سنن أبى داود كتاب الأدب ، باب ماجاء فى الشعر (٥٠١٢) ٥/٢٧٨- ٢٧٩ .

طائر ، فأخذتهن فوضعتهن فى كسائى ، فجاءت أمهن فاستدارت على رأسى ، فكشفت لها عنهن ، فوقعت عليهن معهن ، فلففتهن بكسائى ، فهن أولاء معى . قال : « ضعهن عنك » فوضعتهن ، وأبت أمهن إلا لزومهن ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « أتعجبون لرحم أم الأفراخ فراخها » ؟ قالوا : نعم يارسول الله ﷺ قال : « فو الذى بعثنى بالحق الله أرحم بعباده من أم الأفراخ بفراخها ، ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن وأمهن معهن » فرجع بهن) [(١)] .

٧- (عن الزهرى ، سمعت ابن أكيمة يحدث عن سعيد بن المسيب قال : سمعت أبا هريرة يقول : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة نظن أنها الصبح ، بمعناه إلى قوله : (مالى أنازع القرآن) .

قال مسدد فى حديثه : قال معمر : فانتهى الناس عن القراءة فيما جهر به رسول الله ﷺ ، وقال ابن السرح فى حديثه . قال معمر عن الزهرى : قال أبو هريرة : فانتهى الناس ، وقال عبد الله بن محمد الزهرى من بينهم : قال سفيان : وتكلم الزهرى بكلمة لم أسمعها فقال معمر : إنه قال : فانتهى الناس .

قال أبو داود: ورواه عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهرى وانتهى حديثه إلى قوله: « ما لى أنازع القرآن » .

ورواه الأوزاعى ، عن الزهرى قال فيه : قال الزهرى : فاتعظ المسلمون بذلك فلم يكونوا يقرؤن معه فيما يجهر به ﷺ . قال أبو داود : سمعت محمد بن يحيى بن فارس قال: قوله : « انتهى الناس » من كلام الزهرى [(٢)] .

---

(١) سنن أبى داوود ، كتاب الجنائز ، باب الأمراض المكفرة للذنوب (٣٠٨٩) ٣/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩ .

(٢) سنن أبى داود ، كتاب الصلاة ، باب من كره القراءة بفاتحة الكتاب إذا جهر الإمام (٨٢٦ و٨٢٧) ، ١/٥١٦ /٥١٨.

٨- (وعن أبى مسعود الأنصارى قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال إنى لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا فما رأيت النبى ﷺ غضب فى موعظة قط أشد مما غضب يومئذ فقال : يا أيها الناس إن منكم منفرين فأيكم أم الناس فليوجز فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة) [1].

٩- (عن أبى مسعود رضى الله عنه قال : أتى رجل النبى ﷺ فقال: إنى لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا ، قال : فما رأيت رسول الله ﷺ قط أشد غضباً فى موعظة منه يومئذ.

قال : فقال : يأأيها الناس إن منكم منفرين ، فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز، فإن فيهم المريض والكبير وذا الحاجة) [2].

١٠- (عن قيس بن أبى حازم عن أبى مسعود الأنصارى قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنى لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا فيها : قال : فما رأيت النبى ﷺ قط أشد غضباً فى موعظة منه يومئذ ، ثم قال : يأأيها الناس ، إن منكم منفرين ، فأيكم ما صلى بالناس فليوجز ، فإن فيكم الكبير والضعيف وذا الحاجة) [3].

١١- (عن إسماعيل قال سمعت قيسا قال : أخبرنى أبو مسعود : أن رجلاً قال : والله يارسول الله ، إنى لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا . فما رأيت رسول الله ﷺ ففى موعظة أشد غضبا منه يومئذ. ثم قال : إن منكم منفرين، فأيكم

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة فى تمام ١٨٤/٤ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله تعالى (٦١١٠) ٥١٦/١٠ - ٥١٧ .

(٣) صحيح البخارى، كتاب الأحكام باب هل يقضى القاضى أو يفتى وهو غضبان ؟ (٧١٥٩) ١٣٦/١٣ .

ما صلى بالناس فليتجوز، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة) [1] .

١٢- (عن قيس عن أبى مسعود قال : أتى النبى ﷺ رجل فقال يا رسول الله إنى لأتأخر فى صلاة الغداة من أجل فلان لما يطيل بنا فيها ، قال فما رأيت رسول الله ﷺ قط فى موعظة أشد غضبا منه يومئذ ، فقال : يا أيها الناس إن منكم منفرين فأيكم ما صلى بالناس فليجوز فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة) [2] .

١٣- عن أبى مسعود الأنصارى قال جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يارسول الله : والله إنى لأتأخر عن صلاة الغداة مما يطيل بنا فيها فلان فما رأيت النبى ﷺ أشد غضباً فى موعظة منه يومئذ فقال : يا أيها الناس إن منكم منفرين فمن صلى بالناس فليتجوز فإن فيهم الكبير والضعيف وذو الحاجة) [3] .

١٤- عن أبى مسعود الأنصارى قال : قال رجل يارسول الله ، لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان ، فما رأيت النبى ﷺ فى موعظة أشد غضباً من يومئذ فقال : « أيها الناس إن منكم منفرون ، فمن صلى بالناس فليخفف، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة) [4] .

١٥- (عن أبى أيوب الأنصارى قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : عظنى وأوجز . فقال : إذا قمت فى صلاتك فصل صلاة مودع ولا تكلم بكلام تعتذر منه غدا واجمع الإياس مما فى يدى

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب الأذان ، باب تخفيف الإمام فى القيام ، وإتمام الركوع والسجود (٧٠٢) ١٩٧/٢ - ١٩٨.

(٢) سنن ابن ماجه أبواب الإقامة (٩٩٣) ٣١١/١ .

(٣) سنن الدارمى كتاب الصلاة - باب ما أمر الإمام من التخفيف فى الصلاة ٢٨٨/١ .

(٤) صحيح البخارى كتاب العلم ، باب الغضب فى الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره ١٨٦/١ (٩٠).

الناس) [1] .

١٦- (عن النواس بن سمعان الأنصارى عن رسول الله ﷺ قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتى الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول : أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تتفرجوا ، وداع يدعو من جوف الصراط فإذا أراد يفتح شيئا من تلك الأبواب قال : ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه ، والصراط الإسلام والسوران حدود الله تعالى والأبواب المفتحة محارم الله تعالى وذلك الداعى على رأس الصراط كتاب الله عز وجل ، والداعى فوق الصراط واعظ الله فى قلب كل مسلم) [2] .

١٧- (عن النواس بن سمعان قال قال رسول الله ﷺ إن الله عز وجل ضرب مثلا صراطا مستقيما على كنفى الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور وداع يدعو على رأس الصراط وداع يدعو من فوقه والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم فالأبواب التى على كنفى الصراط حدود الله لا يقع أحد في حدود الله حتى يكشف ستر الله والذى يدعو من فوقه واعظ الله عز وجل) [3] .

١٨- (عن عبد الله بن بريدة الأسلمى عن أبيه بريدة بن حصيب عن رسول الله ﷺ أنه قال : كنت نهيتكم عن ثلاث عن زيارة القبور فزوروها فإن فى زيارتها عظة وعبرة ، ونهيتكم عن لحوم

---

(١) مسند الإمام أحمد ٤١٢/٥ . (٢) مسند الإمام أحمد ١٨٣/٤ .
(٣) نفسه .

الأضاحى فوق ثلاث فكلوا وادخروا ، ونهيتكم عن النبيذ فى هذه الأسقية فاشربوا ولا تشربوا حراماً) [(١)].

١٩- (عن أبى حيان التيمى حدثنى يزيد بن حيان التيمى قال : انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى يزيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيت يازيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت معه لقد رأيت يازيد خيراً كثيراً ، حدثنا يازيد ما سمعت من رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخى والله لقد كبرت سنى وقدم عهدى ونسيت بعض الذى كنت أعى من رسول الله ﷺ ، فماحدثتكم فأقبلوه ومالا فلا تكلفونيه ثم قال : قام رسول الله ﷺ يوماً خطيباً فينا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال : أما بعد ألا يا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتينى رسول ربى عز وجل فأجيب وإنى تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه قال وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى فقال له حصين : ومن أهل بيته يازيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : إن نساءه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده. قال : ومن هم ؟ قال : هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قال : أكل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال : نعم . قال يزيد بن حيان ثنا زيد بن أرقم فى مجلسه ذلك قال : بعث إلى عبيد الله بن زياد فأتيته فقال : ما أحاديث تحدثها وترويها عن رسول الله ﷺ لانجدها فى كتاب الله تحدث

---

(١) مسند الإمام أحمد ٣٥٦/٥ .

أن له حوضا فى الجنة قال : قد حدثناه رسول الله ﷺ ووعدناه ، قال : كذبت ولكنك شيخ قد خرفت . قال : إنى قد سمعته أذناى ووعاه قلبى من رسول الله ﷺ يقول : من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من جهنم وما كذبت على رسول الله ﷺ . وحدثنا زيد فى مجلسه قال : إن الرجل من أهل النار ليعظم للنار حتى يكون الضرس من أضراسه كأحد) [1].

ومن حديث غديرخم عن زيد بن أرقم قال :

٢٠- (قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال : أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده . قال : ومن هم ؟ قال : هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قال : كل هؤلاء حرم الصدقه . قال : نعم) [2].

٢١- (عن أبى الزبير المكى أن عامر بن واثلة حدثه أنه سمع عبد الله ابن مسعود يقول : الشقى من شقى فى بطن أمه والسعيد من وُعظ بغيره فأتى رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له حذيفة بن أسيد الغفارى فحدثه بذلك عن قول ابن مسعود. فقال

(١) مسند الإمام أحمد ٣٦٦/٤/ ٣٦٧ .

(٢) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة . فضائل على رضى الله عنه ١٧٩/١٥ ـ ١٨٠ .

: وكيف يشقى رجل بغير عمل ؟ فقال له الرجل : أتعجب من ذلك ؟ فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال : يارب ذكر أم أنثى ؟ فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول : يارب أجله ؟ فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول : يارب رزقه ؟ فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة فى يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص) (١).

٢٢- (وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إنما هما اثنتان: الكلام والهدى ، فأحسن الكلام كلام الله ، وأحسن الهدى هدى محمد ، ألا وإياكم ومحدثات الأمور فإن شر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ،وكل بدعة ضلالة ، ألا لا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم ، ألا إن ما هو آت قريب ، وإنما البعيد ما ليس بآت ، ألا إنما الشقى من شقى فى بطن أمه ، والسعيد من وعظ بغيره ، ألا إن قتال المؤمن كفر وسبابه فسوق ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، ألا وإياكم والكذب ، فإن الكذب لا يصلح بالجد ولا بالهزل ، ولا يعد الرجل صبيه ثم لا يفى له ، فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة وإنه يقال للصادق : صدق وبر ، ويقال للكاذب : كذب وفجر ، ألا وإن العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابا) (٢).

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمى فى بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وشقاوته وسعادته ، ١٦/١٩٣ - ١٩٤.

(٢) ابن ماجه ١/٢١ - ٢٤ باب اجتناب البدع والجدل .

٢٣- عن عبد الله ﷺ قال : لما نزلت : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ شق ذلك على المسلمين فقالوا : يارسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال ليس ذلك ، إنماهو الشرك ، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه ﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [١] .

ما تكفره الأسقام

عن مالك عن يحيى بن سعيد أن رجلاً جاءه الموت فى زمن رسول الله ﷺ . فقال رجل : هنيئا له مات ولم يبتل بمرض ، فقال رسول الله ﷺ : « ويحك وما يدريك لو أن الله ابتلاه بمرض يكفر به عنه من سيئاته » .

قال أبو عمر :

(لا أعلم هذا الخبر بهذا اللفظ يسند عن النبى ﷺ من وجه محفوظ ، والأحاديث المسندة فى تكفير المرض للذنوب والخطايا والسيئات كثيرة جدا » [٢] .

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ـ إلى قوله ـ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ ﴿وَلا تُصَعِّرْ﴾ الإعراض بالوجه (٣٤٢٩)٦/٤٦٥ .

(٢) التمهيد ٢٤/٥٧ .

باب وعظ الجاهل بالعلم وبيان الأحكام الشرعية
الحديث الأول

بيان معانى الغريب :

ولا تتقدمن امرأة على عمتها ولا على خالتها : لا تنكح عليها ولا تخطب للحديث المتفق عليه : « لا يجمع بين المرأة وعمتها ، ولا بين المرأة وخالتها » .

فوائد الحديث :

١- جواز استناد الواعظ حال الخطبة على جدار وغيره .

٢- لا نعلم من يملك هذا البيت الذى استند عليه ولا نعلم هل أخذ إذنه فى الاستناد على بيته .

٣- النهى عن النافلة بعد صلاة العصر حتى غروب الشمس .

٤- النهى عن صلاة النافلة بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس وترتفع .

٥- نهى المرأة عن السفر مسافة ثلاث إلا مع ذى محرم منها .

٦- تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها فى نكاح .

بيان معانى الحديث الثانى :

مخرج : أى خروجه المخرج الحسن يدعو إلى الله وإلى الإيمان به نبيا رسولا من الله تعالى .

مهاجرين : أى خارجين من بلد الكفر إلى بلد الإسلام فهم تركوا ديارهم وأهليهم فى سبيل الله تعالى .

بضع : فى العدد ما بين الواحد إلى العشر .

فوافقنا : أى صادفنا بلا ميعاد سابق بينهم .

الحبشية: أى المهاجرة إلى بلاد الحبشة وهم جنس من السودان.

البحرية : أى التى ركبت السفن البحرية لهذه الغاية الغالية ألا وهى الفرار بالدين .

البعداء : الأباعد ضد الأقارب وهنا بعد فى المكان والجنس والدين.

البغضاء : أى الممقوتين ، والبغض ضد الحب والكفار بغضاء للمؤمن .

وذلك فى الله : أى فى ذات الله وتمسكا بدينه وكل ما جاء به رسول الله ﷺ .

وأيم الله : هذا قسم بالله العظيم أى أحلف يمينا بالله .

نؤذى : كانت الأذية عليهم عامة من الكفار وشدة الغربة وأتعاب الأسفار.

ونخاف : من أصناف الكفار والفجار من قريش وغيرها .

أرسالا : جماعات متتابعة .

من فوائد الحديث :

١- جواز الهجرة إلى أرض أهلها كفار إذا كان المؤمن يأمن فيها على نفسه ودينه .

٢- جواز ركوب البحر من أجل الهجرة بالدين .

٣- جواز نسبة قول إلى جماعة غير محددين ولا معينين طلباً للسلامة أو ستراً عليهم .

٥- مشروعية الزيارة والتزاور بين النساء وخصوصاً الصالحات.

٦- جواز دخول أبى المرأة عليها فى غياب زوجها .

٧- جواز سؤال الرجل عن امرأة رآها فى بيته .

٨- جواز إظهار الاغتباط بالطاعات والقرب من الصالحين .

٩- اعتزاز الصحابة رضوان الله عليهم بالرسول ﷺ حيث يتنافسون فى الأحقية به .

١٠- جواز إظهار الغضب عند الاهتضام فى الطاعة .

١١- مخاصمة الرجل الصالح للمرأة الصالحة فى أمور الدين وما يقرب إلى الله تعالى .

١٢- بيان مكانة الرسول ﷺ بين أصحابه رضوان الله عليهم .

١٣- جواز ذكر المسلم لما تلقى من الأذى فى سبيل الله على سبيل الاحتجاج والتحدث بأنه أهل لنيل درجة الصابرين فى سبيل الله.

١٤- بيان أن الكفار وإن كان فى بلادهم عدل وإنصاف أنهم بعداء عن الخير بغضاء لأهل الإسلام .

١٥- جواز الحلف بترك المباحات إلى كذا وكذا .

١٦- جواز الحلف على ترك الكذب والتزام الإنصاف للخصم .

١٧- حسن أدب الصحابة رضوان الله عليهم مع النبى ﷺ فى المخاطبة وغيرها .

١٨- تثبت القاضى والعالم عند رفع المخاصمات إليه وبيان الحكم إذا اتضح له وجه الصواب.

١٩- جواز أخذ الرجال للعلم من المرأة الصالحة وقبول روايتها .

٢٠- جواز الفرح بنعمة الإيمان والهجرة وكثرة الطاعات .

الحديث الثالث

معانى التقريب :

أسهم لنا : أى أعطانا سهما ونصيباً كأننا اشتركنا فى القتال مع

المجاهدين .

شهد معه : أى حضر معه من شهود المعركة بالقتال للأعداء .

من فوائد الحديث :

١- نسبة الكذب لمن لم يتعمد كذبا ، وهو فى لغة أهل الحجاز بمعنى الخطأ .

٢- الهجرة إلى الحبشة كانت بأمر الرسول ﷺ .

٣- مكانة جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه بين المهاجرين إلى الحبشة.

٤- أخذ العلم عن الأقران .

٥- واستعادة الحديث من المحدث للحفظ والإعجاب به .

الحديث الرابع

معانى الغريب

تخمر عجينها : أى تجعل فيه ما يجعله يختمر والتخمير التغطية ومنه خمار المرأة .

نكصت: أى رجع على عقبيه ، والنكوص الإحجام عن الشىء .

أوامر ربى : أى أصلى صلاة الاستخارة المسنونة لمن هم بأمر مباح .

امتد النهار : ارتفع بعد طلوع الشمس وقارب الزوال .

من فوائد الحديث :

١- لا يجوز خطبة المعتدة حتى تنتهى عدتها.

٢- جواز الاستنابة فى الخطبة أو التعريض بها .

٣- تواضع النبى ﷺ وحرصه على سلامة صدور أصحابه من ناحيته .

٤- خدمة نساء المؤمنين الحرائر الأشراف فى بيوتهن .

٥- إجلال الصحابة لأمر النبى ﷺ و ﷺ وتعظيمهم لحرماته، لأن ذلك من الإيمان .

٦- جواز المشى القهقرى لحاجة .

٧- جواز مخاطبة الأجنبية لحاجة شرعية لا ريبة فيها .

٨- حرص أهل الإيمان على الاستخارة مهما كانت محبتهم للأمر وحرصهم على حصوله .

٩- إذا نزل الوحى بأمر فلا رأى لأحد بعد ذلك .

١٠- سنية الوليمة فى العرس بدون مباهات ولا تبذير .

١١- سنية الانصراف بعد الإطعام وأن ذلك من الأدب الإسلامى الرفيع .

١٢- البقاء للحديث والسمر فى بيت العروسين مما يستثقل صاحبه ومرتكبه .

١٣- وفور أدب النبى ﷺ وشدة حيائه .

١٤- جواز دخول الرجل على زوجه فى غير يومها والحديث معها.

١٥- سؤال العريس عن أهله وكيف مكانها عنده هل أعجبته أو أحبها ؟

١٦- إذا زال المانع من البقاء مع العروس والاستئناس بها والتمتع بها ينبغى الإسراع إليها .

١٧- إذا نزل حكم الله فى أمر ما فلا مجاملة لأحد فيه .

١٨- تأديب الله تعالى لعباده المؤمنين ووعظهم حتى لا يتكدر صفوهم وما بينهم من مودة ورحمة .

١٩- سرعة استجابة المؤمنين لأمر الله ونهيه وتأديبه .

٢٠- الله جل جلاله حيى ستير ، وهو الحق ولا يستحى من الحق وليس حياؤه كحياء الناس الذين يمنعهم من قول الحق وإنكار المنكر وتعليم الجاهل وإرشاد الضال وتأديب الثقيل ، ولكنه من حيائه تعالى يكنى ويضرب الأمثال ، وهذا ما ينبغى لعباده الاتصاف به .

الحديث الخامس

معانى الغريب :

البيان: الفصاحة واللسان وما يتبين به الشيء من الدلالة وغيرها.

السحر : كل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر والساحر العالم .

عيالا : وعيال الرجل من يعول يعنى أنه محسوب عليه كلامه بلا فائدة حاضرة .

من فوائد الحديث :

١- هذا الحديث من جوامع الكلم الذى أوتيه النبى ﷺ حيث جمع فى أربع جمل علماً كثيراً يحتاج إلى شرح وبيان .

٢- قيام العلماء بواجب البيان لحديث النبى ﷺ ومراده منه ، لأن ذلك من الإيمان والنصح لله ورسوله .

٣- جواز تشبيه البيان الذى يسبى العقول ويسلب الحق من صاحبه بالسحر .

٤- لا يجوز ارتكاب هذا النوع من البيان المضلل عن الحق .

٥- ينبغى للعالم أو القاضى أن يسكت الخصم عن هذا النوع من البيان .

٦- يجب على العالم أن يقف حيث انتهى به علمه لأن الزيادة

على ذلك محسوبة عليه لأنه إما أن يقول على الله ورسوله ﷺ فيقع فى الإثم ويضل الناس عن الحق بدلا من هدايتهم إليه . وإما يفتضح بتكلفه فيظهر جهله وينعكس عليه مراده .

٧- إذا كان البيان لا يذم على الإطلاق ، فكذلك الشعر لا يذم على الإطلاق فمنه حكمة ووعظ وتسلية وأدب، والأمثلة كثيرة لمن طلبها .

٨- إن من المضيعة للوقت والجهد والحديث الذى سيسأل عنه المرء عرض العاقل لأفكاره ومعارفه أو اهتماماته على من لا يفهم عنه ولا يفقه ما يريد أو على مشغول عنه بأمور أخرى ولا مصلحة له فى الاستماع .

الحديث السادس

معانى الغريب :

رايات: الأعلام يتخذها الجيش من قماش وغيره .

ألوية : جمع لواء بالمد، والألوية فى نظام الجيوش دون المطارد وهى دون الأعلام والبنود .

الأسقام : الأمراض والأوجاع .

كفارة : يعنى ستراً له فكأنها غطتها وسترتها حتى ذهبت من صحائفه .

المنافق : فى الاعتقاد من يظهر الإسلام ويبطن الكفر والجحود.

غيضة : أجمة يجتمع فيها الماء فينبت حولها الشجر فهى مغيض للماء أى تحبسه حتى يذهب أو ينقص.

فراخ : جمع كثرة وهى أولاد الطائر بعد فقس البيض .

استدارت : قامت بدورة على رأسه بحثاً عن فراخها لتقع عليهم

حناناً ولهفة عليهم .

من فوائد الحديث :

١ـ جواز اتخاذ الجيوش للأعلام والرايات وعقد الألوية التى تعرف بها وتميزها عن غيرها .

٢ـ سؤال الرجل عن الأمور التى تلفت النظر .

٣ـ جواز الإخبار عن المسئول عنه ممن عرف حاله ، وما هو أو من هو ؟ .

٤ـ خروجه ﷺ فى الغزو فى سبيل الله تعالى .

٥ـ تواضعه ﷺ حيث يجلس على كساء تحت شجرة بين أصحابه وهو خاتم الأنبياء وخيرة الله من خلقه .

٦ـ محبته على أصحابه وتجمعهم عليه فى الحضر والسفر .

٧ـ نصحه ﷺ لهذه الأمة وإخلاصه فى تبليغ دعوة ربه ، حيث لا يترك فرصة يمكن أن يعلم فيها أو يعظ أو يذكر أو يرغب إلا فعلها .

٨ـ جواز وصف حال العالم وما هو عليه من هيئة واختصار الحديث على الأهم .

٩ـ جواز جلوس الغريب إلى مجلس العالم ونقل ما سمع أو شاهد.

١٠ـ الحديث عن الأمراض والأسقام التى تصيب بنى آدم فيه عظة وعبرة يحس بها كل مخاطب إذ لا يخلو منها أحد . لذا تحدث النبى ﷺ عنها كثيراً .

١١ـ الأسقام والأوجاع والمصائب نعمة على المؤمن الصابر حيث تكفر ما مضى من ذنوبه وتزجره عن اقتراف المعاصى فى سمره لأنها نذرت الموت علاوة على تصفيتها للنفوس وتهذيبها للأرواح الطاهرة والمؤمن لا يريد أن يموت إلا على أحسن حال .

١٢- الأسقام لا تفيد المنافق فى الدنيا ولا فى الأخرى لأنها لا تكفر عنه ذنوبه لعدم إيمانه المقتضي لذلك . ولا تكون له عبرة أو عظة فيما يستقبل من عمره لأن الرادع الأساسى وهو الإيمان مفقود عنده وهو بالتالى متسخص على أقدار الله فهو كهذه الدابة التى لا تفقه حكمة ولا تفهم علة فهو إذاً لا يرعوى عن غيه ونفاقه ولا يكف عن الذنوب والموبقات الأخرى .

١٣- وجود نوادر من الناس لم يبتلها الله بالأسقام لأنه لاحظ لها فى الآخرة .

١٤- التشنيع على من جاء بأمر يخالف الموعظة أو يحاول التهوين من وقعها على النفوس وإن كان يتحدث عن نفسه .

١٥- جواز إخراج العالم من مجلسه لمن لا يراه مستفيداً من الدرس أو مشاغباً يفسد على الآخرين .

١٦- حسن أدب الصحابة مع رسول الله ﷺ إذ لا يخاطبونه أو ينادونه إلا بشرف النبوة والرسالة .

١٧- إخبار التلميذ أو الطالب للعلم والفتيا العالم أنه ما قدم إلا من أجله والاستفادة منه .

١٨- إخبار المرء لمخاطبه بما رآه فى طريقه أو ماله صلة بما سيحدثه عنه .

١٩- الحديث عن الرحمة التى وضعها الله تعالى فى قلوب عباده حديث شائق لأن النفوس تحسه والعيون تشاهده والقلوب تشهد له والعقل يحسنه ويحبذه .

٢٠- انتهاز واغتنام العالم والداعية للفرص التى تعرض له ليعمق الإيمان والعلم فى نفوس مخاطبيه .

٢١- اتباع النبى ﷺ لأساليب التربية واستثارة اهتمام مستمعيه.

٢٢ـ جواز الحلف بالله تعالى فى تدريس العلم ممن لا يحتاج إلى أن يحلف لأنه مصدق على كل حال ولكنه ابلغ فى الإقناع .

٢٣ـ جاء إثبات الرحمة للحيوانات والطيور والوحوش فى السنة المطهرة كثيراً.

٢٤ـ والرحمة صفة من صفات الله تعالى ، ورحمته سبقت غضبه وأنزل منها لعباده رحمة يتراحمون بها فيرحمهم الرحمن فى الدنيا والأخرى .

٢٥ـ وأرحم عباد الله لخلق الله تعالى هو رسول الله ﷺ حيث عمت رحمته الإنس والجن فهو الرحمة المهداة ، ومن رحمته مع حسن أدبه مع هذا الرجل أن قال له : (ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن وأمهن معهن) .

ألا فليعلم العالم أن الله ورسوله أرحم بهم من أنفسهم ، ولتعلم منظمات الرحمة أن الإسلام أسبق منها لهذا الميدان .

الحديث السابع

معانى الغريب :

أنازع القرآن : المنازعة المجاذبة والمخالفة والمخاصمة والمراد هنا المجاذبة لما فيها من التشويش على القارىء والتخليط عليه .

من فوائد الحديث :

١ـ حرص أهل الحديث على تحرى ألفاظ الروايات وتتبعها وعزو كل لفظ لراويه .

٢ـ جواز اختصار الروايات وجمع الأسانيد للوصول إلى حكم شرعى .

٣ـ دقة الإمام أبى داود فى هذا المجال وفقهه فى هذا الميدان .

٤ـ الصلاة التى حصل من الراوى الشك فيها هل هى صلاة الفجر يجزم بأنها صلاة جهرية إذ لا تعرف المنازعة والمجاذبة للقارىء إلا إذا كان يقرأ القرآن وآخر يجهر بجواره بالقراءة ، لذا لا يضر هنا قول الراوى : (نظن أنها الصبح) .

٥ـ ورود السؤال الإنكارى من الشارع الحكيم يفهم منه النهى عن ذلك العمل .

٦ـ المصلى يناجى ربه ويتفهم كتاب الله ويتدبره فلا ينبغى الجهر بجواره بما يشوش عليه ، سواء بقرآن أو غيره وسواء من مصل مثله أو غير ذلك .

٧ـ سرعة استجابة المؤمنين لأحكام رب العالمين ، وحصول الموعظة لهم بذلك أمرا أو نهياً .

٨ـ حسن أدب النبى ﷺ فى وعظ الجاهل بالأحكام الشرعية حيث لم يزد على أن قال : (مالى أنازع القرآن) .

٩ـ أن فهم المسلمين لدرجة الحكم الشرعى من إيجاب أو ندب وغير ذلك أخذا من أسلوب النبى ﷺ فى الأمر والنهى والشدة والغضب وقرائن الأحوال .

١٠ـ جواز الإدراج فى الرواية لبيان الحكم الشرعى المقصود .

الأحاديث من ٨ ـ ١٤

معانى الغريب :

منفرين : يجعلون الناس بعملهم ينفرون من الدين وشهود الجماعة يتضمن التوبيخ .

الغداة : ما بين صلاة الصبح إلى طلوع الشمس .

يتجوز : أى يخفف فى صلاته فى تمام .

يوجز: يقصر فى طول القراءة والقيام وسائر الأعمال فى اعتدال.

يخفف : يأتى بصلاته تامة خفيفة على المصلين غير ثقيلة عليهم بالتطويل والتمطيط .

من فوائد الأحاديث :

١ـ جواز الشكوى للإمام الأعظم فى الأمور الشرعية .

٢ـ جواز تعيين المشكى منه لتحقق المصلحة .

٣ـ جواز تسمية صلاة الصبح بصلاة الغداة.

٤ـ صلاة الصبح وإن كان يطلب فيها تطويل القراءة لما فى ذلك من فوائد بينها العلماء ، فإن الأمر فى ذلك لا يصل إلى الإضرار بالناس.

٥ـ هل إطالة الإمام للصلاة من الأعذار التى تبيح التخلف عن الجماعة ؟

٦ـ جواز الغضب فى الإنكار والتعليم ، والموعظة لأن ذلك من تعظيم حرمات الله تعالى .

٧ـ تفاوت الغضب شدة وضعفا حسب المنكر المنكور ، أو الأمر المأمور به ، تبعاً لحال المنكور عليه وما يترتب على ذلك من المفاسد والمصالح .

٨ـ حسن أدب النبى ﷺ حيث لم يحمله الغضب على مرتكب هذا العمل على تعينه وإن كان الشاكى عينه .

٩ـ تعميم النبى ﷺ الأمر للأئمة بالرفق بالمأمومين مع إتمام الصلاة بالتجوز والتخفيف والإيجاز .

١٠ـ أصحاب الأعذار غير محصورين فى هؤلاء المذكورين لكن

فى الأمثلة المذكورة كناية يرجع إليها غيرها فى علة التخفيف .

١١- يؤخذ منه تجنب كل عمل ينفر الناس من الدين ، ويكره إليهم العبادة والطاعة .

١٢- ويؤخذ منه وجوب الأخذ بالمشروع الذى يحبب الدين للنفوس

١٣- مشروعية الشكوى لرفع الضرر، ولو فى العبادات، وأن الصبر على جور الأئمة فى حدود .

١٤- تعين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ورفع الضرر من القادر عليه .

١٥- رفق الإسلام بالعجزة والضعاف ومراعاة أحوال الناس وتقدير ظروفهم وحاجاتهم ولو فى الطاعات .

١٦- الإسلام دين وسط لا غلو ولا تفريط ، والمشقة فيه تجلب التيسير . إذ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها فإذا كنت إماماً فلا تكن من المنفرين ، وإذا كنت مأموما فلا تضق ذرعاً من كل تطويل ، والوسط جاء فى حديث معاذ رضي الله عنه .

الحديث الخامس عشر

من فوائد الحديث :

١- كان الصحابة رضوان الله عليهم يهابون سؤال النبى ﷺ ويخشون من الإكثار عليه والإملال ، كما كان ﷺ يتخولهم بالموعظة مخافة السآمة عليهم ، لذا كانوا يحبون أن يأتى إلى النبى ﷺ الرجل العاقل من البادية ، فيسأله فيعلمه فيسمعون فيتعلمون ومن ذلك هذا الرجل الذى لم يسم فى الرواية .

٢- ليس من شأن طالب العلم أن يقترح منهجاً أو طريقة لتعليمه لذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يتركون الأمر إلى النبى ﷺ يعلمهم

ويؤدبهم بالأدب الربانى .

٣- من استشعر أن الصلاة الذى يريد الشروع فيها هى آخر صلاة له جمع همه فيها ، وراقب الله تعالى فى أدائها بخشوع وتذلل وتضرع فيتقبلها الله منه ويحفظه بها من الفحشاء والمنكر فسلم له دينه وكان فى حفظ الله .

٤- ومن راقب لسانه وخشى عثراته قل كلامه إلا فى الخير، ولم يرتكب من حصائد اللسان ما يخشى عقباه ، فلا يمدح الناس ولا يذمهم ولا يتزلف لهم ، فسلم منهم وسلموا منه .

٥- ومن لازم القناعة والعفاف أحبه الناس وأثنوا عليه خيراً فعاش محبوباً من الله محبوباً من الناس .

الحديث السادس عشر والسابع عشر

معانى الغريب :

الصراط : الطريق الواضح المستقيم .

الستور : جمع ستر وهو ما يستر به ويغطى .

ولا تتفرجوا : أى ولا تتباعدوا حتى تكونوا كالمتفرجين الذين لا يعينهم الأمر فتفتحوا بذلك فى جدار .

تلجه : أى تدخله وذلك لأنه انتهك حدود الله تعالى بولوجه الذى هو كناية عن النار .

حدود الله : أحكام شرعه من الأوامر والنواهى (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) .

محارم الله : مالا يجوز انتهاكه ولا يحل ارتكابه .

كنفى : الشىء جوانبه وما يحيط به .

دار السلام : هى الجنة جعلنا الله تعالى بمنه من أهلها .

ستر الله : المراد به ما يؤدى إلى النجاة من عذاب الله وذلك لمن لم يكشف الحجاب ويدخل فى حدود الله ويخالفها .

جنبتى : ناحيتيه .

من فوائد الحديثين :

١ـ ضرب الأمثال مشهور بين الناس ، وفوائده كثيرة منها : أنه مختصر بليغ وينتشر ويحفظ .

٢ـ لله تعالى أن يضرب المثل بما شاء ليرغب عباده أو يخوفهم أو يقرب لهم العلم والفهم .

٣ـ رسول الله ﷺ مبلغ عن الله وحيه ومبين عن الله ما أوحاه إليه.

٤ـ المثل المضروب هنا :

أ) صراط مستقيم . ب) من جانبيه سوران.

ج) أبواب مفتحة فى السورين وستور متدلية مرخاة على الأبواب

د) داع يدعو الناس للدخول .

هـ) وآخر يحذر من أراد هتك الأستار.

٥ـ الإسلام صراط مستقيم .

٦ـ حدود الله أسوار دون محارمه .

٧ـ محارم الله تعالى من انتهكها كشف ستر الله تعالى ووقع فى الإثم.

٨ـ كتاب الله تعالى ينادى الناس للنجاة والفوز بالجنة .

٩ـ فى قلب كل عبد واعظ يعظة وفطرة سليمة توقظه ليرتدع عن

ارتكاب محارم الله تعالى .

١٠- على المسلم أن يستجيب لهذا الواعظ الداخلى ولا يعمل على قتله فى قلبه بكشف ستر الله تعالى وارتكاب حدوده ومناهيه.

١١- وردت أحاديث صحاح فى معنى هذين الحديثين ، فراجعها وتفهم وقارن تستفيد إن شاء الله .

الحديث الثامن عشر

معانى الغريب :

القبور : أماكن الدفن للأموات وهى من إكرام الله تعالى لبنى آدم إذ دلهم عليها من لا يكونوا ممن يلقى للكلاب والسباع ويتأذى الأحياء بجيفته ومنظره وريحه.

لحوم الأضاحى : جمع أضحية وهى الشاة تذبح يوم الأضحى أى بعد ارتفاع الشمس من اليوم العاشر من شهر ذى الحجة.

النبيذ : واحد الأنبذة وهو ما يتخذ من الشراب من عنب وتمر وشعير وغيره .

من فوائد الحديث :

١- النهى عن زيارة القبور متقدم على الإذن بزيارتها فهو منسوخ.

٢- كان النهى عن زيارة القبور- والله أعلم - صيانة لجناب التوحيد وسداً لباب الشرك الذى كان منتشراً بين الناس .

٣- ولما استقر التوحيد فى النفوس ورفع الله الشرك من القلوب وكان فى زيارة القبور هذه الفوائد العظيمة التى ترسخ الإيمان ، وتلين القلوب أذن الشارع فيها ونهى عن قول فيه هجر أى كلام قبيح أو منكر فى الاعتقاد وغيره.

٤- النهى عن ادخار لحوم الأضاحى فوق ثلاث متقدم على الإذن

بذلك ، لذا فهو منسوخ .

٥- وكان النهى لمعالجة الشح فى النفوس وتربية للمسلمين على البذل والعطاء لإخوانهم الذين لا يملكون ما يضحون به .

٦- ولما وسع الله على المسلمين وظهر منهم حب الإيثار والمودة والهدية والصلة شرع الله لهم أن يأكلوا ويدخروا من لحوم الأضاحى حسب حاجاتهم ومصلحتهم .

٧- جاء النهى عن الانتباذ فى الأسقية التى تخمر الأشياء المشروبة لأن الجاهلية كانوا يتخذون الخمر من العنب والتمر وغير ذلك من الأشياء التى تسكر إذا تخمرت بطول الاحتباس فى هذه الأوعية الجلدية المعروفة عندهم .

٨- وجاء هذا التوسيع المقيد باجتناب شرب المحرم حيث إنه علم عندهم أن الخمر أم الخبائث وأن ما أسكر كثيره فقليله حرام.

٩- النبى ﷺ أعطى جوامع الكلم حيث جمع الإذن بإباحة هذه المنهيات الثلاث مع بيان بعض علل ذلك وفوائده ، فاستفدنا من ذلك أحكاماً كثيرة ومصالح عديدة .

١٠- الإسلام دين يراعى مصالح الفرد والجماعة ويوسع على أتباعه بدون مضرة بالآخرين .

الحديث التاسع عشر والعشرون

معانى الغريب :

كبرت سنى : أى علت سنه وتقدم به العمر وأصبح شيخا مسنا.

قدم عهدى : طالت المدة التى حفظ فيها العلم ولم يتمكن من تعاهده أى مراجعته للمحافظة عليه .

أعى : أى أحفظ ، وعى الحديث يعيه وعيا حفظه .

الحوض : مكان يتجمع فيه الماء ، وحوض النبى ﷺ أبيض من اللبن وأحلى من العسل ـ سقانا الله وإخواننا منه .

يتبوأ : ينزل منزلا قد هيىء له فى النار عياذا بالله تعالى .

يعظم للنار : تضخم جثته وتكبر عظامه ويزاد فى لحمه وشحمه وهو مع ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضه ونابه فى النار كجبل أحد.

من فوائد الحديثين :

١ـ حرص التابعين على مجالسة الصحابة رضوان الله عليهم والأخذ عنهم .

٢ـ إعجابهم الشديد بمن فاز بلقي النبى ﷺ وأخذ عنه العلم ، وصلى خلفه وسمع حديثه وغزى معه ، لأن هذه هى أعظم المزايا التى سبق بها الصحابة غيرهم.

٣ـ ثناء الطالب على شيخه فى وجهه وإظهاره الاغتباط بما حصله شيخه . يوطد المودة والمحبة ويشرح صدر العالم حتى ينبسط فى الحديث بروح طيبة .

٤ـ طلب التحديث بحديث رسول الله ﷺ من علامات حبه وحب ماجاء به وذلك صميم الإيمان .

٥ـ تلطف الشيخ العالم بطالب العلم ومناداته بما يدل على حبه له وشفقته عليه .

٦ـ الحلف تعظيما لله تعالى وتأكيداً للمخاطب ولو لم يشك فى صحة الأمر والخبر .

٧ـ تواضع الصحابة رضوان الله عليهم لطلاب العلم والمسلمين عموماً .

٨ـ تقديم الأعذار بين يدى الأمر المهم تحفظا من وقع الخطأ والغفلة عن بعض الأمر .

٩ـ آفة العلم النسيان ، وعدم تكرار العلم لقدم العهد به مع كبر السن مظنة لوقوع الخطأ .

١٠ـ لا ينبغى لطالب العلم أن يلح على العالم حتى يكلفه أو يرهقه ولكن يترفق به ويغتنم فرص نشاطه .

١١ـ قيام الإمام خطيباً فى الناس بعد أداء شعيرة من فرائض الدين ليعظهم ويعلمهم ويحثهم على الثبات والاستقامة على الكتاب والسنة .

١٢ـ النبى ﷺ بشر يوحى إليه وله أجل محدود ينتظره .

١٣ـ وصية النبى ﷺ بالكتاب والتمسك به وبيان أنه مشتمل على الهدى الذى لا ضلال معه والنور الذى لا شر معه جاء كثيرا فى السنة .

١٤ـ كل ذا قلب رحيم يشفق على أهله وذويه ويحب لهم الخير إذا سافر عنهم سفرا قريبا فكيف إذا كان سفراً لا يعود إليهم منه ، ورسول الله ﷺ هو أرحم الخلق بأهله وخير الناس للناس وأهله خير الناس بعده ومحبتهم من محبته ، ومحبته أكثر من النفس والأهل والأولاد والأموال من صريح الإيمان .

١٥ـ ليس كل الناس يعلم من هم آل النبى ﷺ وآله ﷺ هم الذين ذكروا فى هذا الحديث مع أزواجه اللائى يدخلن فى الصلاة عليه ﷺ .

١٦ـ الزكاة صدقة من أوساخ الناس، تطهرهم من البخل والشح، وتنمى أموالهم وتقربهم من الله تعالى ونفوس الفقراء ، والنبى ﷺ وآله أكرم على الله تعالى من أن يطعمهم أو يطمعهم فى أموال الناس لذا فرض لهم ما يغنيهم عن الناس من أشرف مكاسب الناس ألا وهو الخمس من الغنائم والهدية التى ينبغى أن يتحفوا بها دائماً .

١٧ـ وقد قصر الناس فى هذا الزمان فى التطلع إلى معرفة آل

النبى ﷺ والتقرب إلى الله تعالى بمودتهم والهدية إليهم وإظهار حقهم على كل مسلم وذلك بلا شك من علامات ضعف الإيمان فى النفوس.

١٨- أئمة الجور دائماً يرعبون أهل العلم ويثيرون عليهم الشبه ، ويتدخلون فى دروسهم ويبالغون فى اتهامهم والتقليل من شأنهم والإشاعة ضدهم .

١٩- حوض النبى ﷺ ثابت بالكتاب والسنة ولكن أهل الجهل ينكرون ما لا علم لهم به .

٢٠- على العالم أن يتمسك بمعلوماته ولا يزحزحه عنها جور الظلمة.

٢١- الكذب على النبى ﷺ لا يظن بالصحابة رضوان الله عليهم لمعرفتهم بما توعد به مرتكبه من النار والعياذ بالله .

٢٢- ما يكون يوم القيامة من الأمور الغيبية التى لا تعلم إلا بالخبر، وما صح من ذلك عن النبى ﷺ يجب الإيمان به ، ومن ذلك تعظيم خلقة أهل النار فى النار مبالغة فى تعذيبهم - أعاذنا الله من النار وما يجر إليها من عمل .

الحديث الحادى والعشرون

معانـــى الغريب :

من فوائد الحديث :

١- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من علماء الصحابة الذين حمل عنهم العلم الكثير فى العراق والحجاز .

٢- الشقاوة والسعادة من أمر الغيب الذى لا يعلم إلا بوحى من الله تعالى .

٣- الصحابة لا يتكلمون فى مثل هذه الأمور إلا بعلم لأنهم يخافون من القول على الله ورسوله وليسوا من أهل التكلف .

٤ـ الشقى الذى يعلم الله تعالى أنه يموت على الكفر عياذاً بالله تعالى - يكتب فى بطن أمه أنه شقى لأن علم الله لا يتخلف وقضاؤه لا مرد له وقد جفت الصحف بما هو كائن .

٥ـ ولا يجوز الاحتجاج بالعمل لأن من كان شقيا لا يوفق للإيمان والعمل الصالح حتى يختم له بذلك والعبرة بالخواتيم .

٦ـ السعيد من أخذ العبرة من غيره واتعظ فآمن وعمل صالحاً واجتنب سبل الهلاك فى الدنيا والأخرى .

٧ـ حرص السلف على طلب العلم وتفهمه وسؤال العلماء عما أشكل عليهم وإبداء التعجب والاستغراب حتى تتم الفائدة .

٨ـ المؤمن إذا تعجب من شىء لجهله بعلته وحكمه لا يلام على ذلك ولكن إذا عاند وكابر الحق بعد وضوحه فذلك الذى يوقع فى الإثم.

٩ـ على العالم أن يوضح الحق حسب جهده ويسند معلوماته إلى المصدر الذى أخذها منه لتقع موقعها من المستمعين .

١٠ـ لا يعلم أحد حال النطفة قبل مدة اثنتين وأربعين ليلة ، لا ملك مقرب ولا عالم مجرب .

١١ـ الملائكة عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ولا يعلمون من الغيب إلا ما علمهم الله تعالى .

١٢ـ فى هذا الحديث بيان لما فى القرآن الكريم من الكلام على الأجنة والنطف وما يقع فى الأرحام والذكورية والأنوثة .

١٣ـ الرزق مقدر قبل ولادة الإنسان فما عليه إلا بذل الأسباب الشريفة فيأتيه رزقه بدون أن ينقص منه شىء حتى يستوفيه فإذا استوفاه .

١٤ـ كان الأجل المحتوم ينتظره لأنه لا حياة للإنسان إلا برزق يأتيه فإذا نفد فلا يمكن عيشه بدون طعام وشراب .

١٥ـ هذه الأمـور المقدرة فى الحـديث لا تتـغير بـزيادة ولا نقص لأنها تقدير من عزيز حميد فاعملوا فكل ميسر لما خلق له .

الحديث الثانى والعشرون

معانـــى الغريب :

المحدثات : الأمور المختـرعة بعد استقرار السنة فسميت محدثة لمـا فيها من الجدة المستغربة .

البدعة: الحدث في الدين بعد الكمال الذى أخبر الله به عنه (اليوم أكملت لكم دينكم ..) الآية .

الأمـر :

الكفـر : الجحود والتغطية .

الفسوق : الخروج من الطاعة ومن السنة إلى البدعة .

الهجـر : من التهاجر والتقاطع الذى هو ضد التواصل .

الجـد : الاجتهاد فى الأمر والتشمير والسعى فى إنجاحه .

الهزل : ضد الجد وهو عدم الاعتناء والمبالاة وطلب المضحكات والتخاذل عن معالى الأمور .

الفجور : الميل عن الجادة ويشمل الكذب والفسوق والعصيان.

البـــر : العمل المبرور الذى لا يخالطه مأثم، بل كله طاعة موافقة للحق .

يعـــد : من وعد الخير لأن خلفه له يعلمه الخيانة وخلف الوعد وهذه تربية سيئة .

من فوائـــد الحديث :

١ـ المكلف العاقل لا يهمه فى حياته ومماته إلا كلام ينتفع به علماً أو عملا وهدى يقتدى به ويتأسى به .

٢ـ وقد جمع النبى ﷺ الأمرين فى هذا الحديث الجامع النافع .

٣ـ القرآن الكريم كلام الله تعالى وهو أحسن الكلام لأنه تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

٤ـ والسنة النبوية الشريفة أحسن هدى يتبع ، لأن مصدرها الوحى إن هو إلا وحى يوحى ، وصاحبها لا ينطق عن الهوى ، فكلها خير وبركة وعلم نافع وأدب زاكى .

٥ـ حذر النبى ﷺ أمته من البدع فى الدين ، لأن الابتداع فى الدين عين الضلالة المفضية بصاحبها إلى النار والهلاك .

٦ـ يحذر النبى ﷺ أمته من الاغترار بالدنيا والركون إليها ، ذلك أن طول الأمل يجعل المرء يسوف بالأعمال الصالحة ، ويجرؤه على اتباع الشهوات ، وبذلك يقسوا قلبه فلا يزال فى بعد عن الله تعالى وسنة نبيه ﷺ حتى يأخذه الأجل وهو على غرة فيكون من الهالكين والعياذ بالله تعالى .

٧ـ طول الأمل يجعل الإنسان يستبعد الأشياء الآتية وذلك من إغواء الشيطان للإنسان فكل ما هو آت قريب والموت وما بعده والآخرة وما فيها لا شك آت فهو قريب .

٨ـ الشقاوة والسعادة من علم الله وقضائه وقدره على عباده الذى لاتصرف لهم فيه .

٩ـ حرمة المؤمن على المؤمن كبيرة وعظيمة عند الله تعالى ، والمؤمنون جميعاً مطالبون بمقاتلة أعداء الله من الكفرة المعاندين فإذا انقلب بعضهم على بعض ليقاتله فقد نزل نفسه منزلة أعداء الله الذين يقاتلون أولياء الله ، وخان الدين والأمانة والأخوة الإسلامية .

١٠ـ ومن كان يجب عليك أن تناصره وتدافع عنه فى غيبته وتحمى عرضه من المنافقين والمغتابين والنمامين فإنه فسوق بك أن

تدخل معهم لتسبه .

١١- قد يغضب الأخ على أخيه ويجد عليه فى نفسه موجدة لأمور دنيوية بسبب نزغ الشيطان الرجيم وتربصه ببنى آدم ، ولكن لا يحل لأخ مسلم أن يقاطع أخاه ويعرض عنه بالسلام والكلام لأمور الدنيا فإن حصل شىء من ذلك فعليه أن ينهيه ويتغلب على الهوى والنفس والشيطان فى مدة لاتزيد على ثلاثة أيام وإلا وقع فى الإثم .

١٢- المؤمن لا يكون كذابا ، لذا حذر النبى ﷺ أمته من الكذب على كل حال ورخص فيه لجلب منفعة أو دفع مضرة متحققة كإصلاح بين الناس ، أزواج وغيرهم ، وفى الحرب لتفريق كلمة الكفار ، والرجل لزوجته والزوجة لزوجها لبقاء المودة وعقد النكاح .

١٣- وأقل الكذب أن يعد الرجل صبيه بحاجة ثم لا يفى له بذلك الوعد والنبى ﷺ من هديه التربية بالقدوة الحسنة بالصدق فى الحديث والوفاء بالعهد والوعد ، لذا لا يرضى لأمته أن تربى أبناءها على خلاف ذلك.

١٤- عاقبة الكذب سيئة فى الدنيا والآخرة . فى الدنيا يمشى الكاذب بين الناس ممقوتاً لا يصدق فى حديث ولا يسمع له رأى ولا يؤخذ عنه علم والمؤمن عزيز عند الله تعالى ذا مكانة فى مجتمعه والكذب يفوت عليه هذه المنافع كلها وفى الآخرة هداه الكذب إلى الفجور المفضى به إلى النار عياذاً بالله .

١٥- من عرف بين الناس بصدق الحديث عاش بينهم عزيزاً وجيهاً مؤتمناً لا ينازعه أحد إلا صدق عليه ، ووجد أنصاراً عليه ولا يجد السفهاء إليه سبيلا مهما مكروا ولفقوا. وفى الآخرة قد هداه الصدق إلى البر الموصل إلى الجنة .

جعلنى الله وإياك من الصادقين الذين يتحرون الصدق حتى نحشر

بـه فى زمـرة الصديقـين والشهداء والصالحين وحسـن أولئك رفيقا .. آمين .

الحديث الثالث والعشرون

معانـــى الغريب :

يلبسوا : أى لم يخالط إيمانهم شرك صغير أو كبير أو نفاق مـحبط للعمل .

بظلم : أصل الظلم وضع الشىء فى غـيـر مـوضـعـه وهذا مناف للحكمة وهو درجات أعظمها الشرك .

شق : خافوا على أنفسهم من عاقبة ما فهموه من الآية فاشتد ذلك عليهم حتى وجدوا من ذلك مشقة .

الشرك : الكفر وهو عبادة غير الله تعالى أو مع الله جل جلاله فمن أشرك بالله غـيره حـتى مات كان من الخالدين فى جـهنم والعيـاذ بالله تعالى.

من فوائد الحديث :

١- خوف الصحابة رضوان الله عليهم من الله تعالى ومتابعتهم لما ينزل من الوحى .

٢- الفزع إلى أهل العلم إذا وقعت نازلة أو التبس أمرعلى الناس.

٣- على العالم أن يبين للناس أمور دينهم ويطمئنهم ما وجد لذلك سبيلا .

٤- الإيمان الخالص ينجى صاحبه فى الدنيا والآخرة .

٥- الظلم درجـات مـتفاوته والشرك أعظمـها ، لأنـه لا أظلم ممن يشرك مع الله الذى خلقه ورزقه وبيده حياته وموته أحدا .

٦- وصايا لقمان تدل على إيمانه وحبه للخير وشفقته على ابنه

وحرصه على إيمانه وتأديبه بالآداب الحسنة العالية .

٧- النبى ﷺ هو المبين عن الله تعالى فى حياته وسنته يجب الرجوع إليها فى ذلك بعد وفاته .

الوعظ فى المواسم والأعياد

١- (عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : (خرج رسول الله ﷺ فى أضحى أو فطر إلى المصلى ، ثم انصرف فوعظ الناس وأمرهم بالصدقة فقال : أيها الناس ، تصدقوا . فمر على النساء فقال : يا معشر النساء تصدقن ، فإنى رأيتكن أكثر أهل النار . فقلن : وبم ذلك يا رسول الله ؟ قال : تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير . مارأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن يامعشر النساء. ثم انصرف ، فلما صار إلى منزله جاءت زينب امرأة ابن مسعود تستأذن عليه ، فقيل : يا رسول الله هذه زينب . فقال أى الزيانب ؟ فقيل : امرأة ابن مسعود . فقال : نعم ، ائذنوا لها ، فأذن لها . قالت : يا نبى الله ، إنك أمرت اليوم بالصدقة ، وكان عندى حلى لى فأردت أن أتصدق بها ، فزعم ابن مسعود أنه وولده أحق من تصدقت به عليهم فقال النبى ﷺ : صدق ابن مسعود ، زوجك وولدك أحق من تصدقت به عليهم) [1] .

٢- عن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال حدثنى أبى أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال: أى يوم أحرم، أى يوم أحرم ، أى يوم أحرم ؟ قال فقال الناس : يوم الحج الأكبر يارسول الله . قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، فى بلدكم هذا ، فى شهركم هذا ، ألا لا يجبى جان إلا على نفسه ، ولا يجبى والد على ولده ، ولا ولد على والده ، ألا إن المسلم أخو المسلم ، فليس يحل لمسلم من أخيه شىء إلا ما أحل من نفسه ، ألا وإن كل ربا فى الجاهلية موضوع ، لكم رءوس أموالكم لا

(١) البخارى كتاب الزكاة على الأقارب (١٤٦٢) ٣/٣٢٥.

تَظلمون ولا تُظلَمون غير ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله ألا َ وإن كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وأول دم أضع من دم الجاهلية دم الحارث بن عبد المطلب كان مسترضعا فى بنى ليث فقتلته هذيل ، ألا واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهم شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، ألا وإن لكم على نسائكم حقا، ولنسائكم عليكم حقا ، نفأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن) [١].

٣ـ عن أبى سعيد الخدرى قال : (كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى ، فأول شيء يبدأ به الصلاة ، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس ـ والناس جلوس على صفوفهم ـ فيعظهم ، يوصيهم ، ويأمرهم . فإن كان يريد أن يقطع بعثا قطعه أو يأمر بشيء أمر به ، ثم ينصرف قال أبوسعيد : فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان ـ وهو أمير المدينة ـ فى ضحى أوفطر، فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت ، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلى ، فجبذت بثوبه ، فجبذنى ، فارتفع فخطب قبل الصلاة ، فقلت له : غيرتم والله ، فقال : أبا سعيد قد ذهب ماتعلم ، فقلت : ماأعلم والله خير مما لا أعلم . فقال : إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة ، فجعلتها قبل الصلاة) [٢].

---

(١) هذا حديث حسن صحيح ورواه أبو الأحوص عن شبيب بن غرقدة . الترمذى أبواب التفسير ٣٨١٨ ـ ٣٨٤ (٣٢٨٣) وابن ماجه باب حق المرأة على الزوج ١/٥٦٨ ـ ٥٦٩.

(٢) صحيح البخارى ، كتاب العيدين ، باب الخروج إلى المصلى بغير منبر (٩٥٦) ٢/٤٤٨، ٤٤٩.

باب الوعظ فى الحج والأعياد
الحديث الأول

معانى الغريب :

أضحى : يوم عيد الأضحى للصلاة العيد عندما يضحى النهار أى يرتفع .

أو فطر : يوم فطر لأن الناس يجب عليهم فيه الفطر ويحرم الصيام الذى كان واجباً عليهم .

تكثرن اللعن : من الإكثار وهو يتضمن النهى والتوبيخ على ارتكاب هذا النوع من السباب لأنه دعاء بالطرد والإبعاد من رحمة رب العباد وذلك عين الحرمان من كل خير .

تكفرن العشير : أى تغطين بالجحود والنكران الإ حسان والإنفاق وحسن عشرة الأزواج لأتفه الأسباب .

اللب : العقل أو العقل الراجح ، فإذا غلبن أصحاب الألباب فمن باب أحرى من دونهم من الرجال .

حلى : ما يتحلى به ويتزين ، وتحلى بالحلى تزين به .

زعم : بمعنى قال هنا .

من فوائد الحديث :

١- سنية خروج الإمام إلى الناس فى المصلى فى عيد الأضحى والفطر للصلاة بهم ، ووعظهم وإرشادهم لما فيه صالح دينهم ودنياهم.

٢- تخصيص الإمام النساء يوم العيد بخطبة وعظية توجيهية إرشادية وخصوصاً إذا ظن أن كلامه للناس عامة لم يبلغهن.

٣- الأمر بالصدقة فى الخطب العامة لما فيها من جلب المحبة بين الناس ودفع المضرة عن الفقراء والمساكين حيث إنها تدل على تكافل

اجتماعى وتزاحم ومودة بين المسلمين.

٤- أمر النساء بالصدقة يدل على أن المرأة في الإسلام لها حق الملكية والتصرف وهذا من إكرام الإسلام لها .

٥- النبى ﷺ رأى النار ورأى أكثر أهلها النساء لذا خاف على نساء هذه الأمة فحثهن على ما يطفىء غضب الرب وهو الصدقة وبين لهن ذلك شفقة عليهن ورحمة بهن ولينزجرن عن السوء.

٦- ولما سألنه عن سبب ذلك بين لهن أن المرأة ضعيفة تطلق لسانها فى السب والشتم واللعن لولدها وجيرانها وما لها وربما تدعو على نفسها وزوجها ، وأوضح لهن أن كفر نعمة العشير الذى هو الزوج عرفت به المرأة حيث إن الزوج لو أحسن إليها الدهر ثم رأت منه يوماً ما تكره من ضيق ذات اليد أو عمل يخالف هواها قالت له بدون حياء منه أو اعتراف بجميل ما رأيت منك خيراً قط .

٧- ثم زادهن ﷺ بمعلومات أخرى هى علة خارجة عن أردة المرأة ولكنها مع ذلك لم تهون من تسلط النساء على الرجال وتغلبهن عليهن رغم كمال الرجال ونقص النساء فى العقل والدين .

٨- نقصان عقل يتمثل فى عدم دقتها واهتمامها بمعالى الأمور فى الغالب وسيطرة شهوتها وعاطفتها عليها عند ثورانها لذا جعل الله شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد .

٩- ونقصان دين المرأة فى سيطرة الجهل على كثير من النساء وتقصيرهن فى طلب العلم الباعث على العمل مع الحيضة التى تمكث معها الليالى لا تصلى وقد تستسلم مع ذلك للشيطان فلا تذكر الله ولا تأتى بالعبادات التى لا تمنعها الحيضة منها فيأتى عملها فى الدين ناقصا .

١٠- فيه تحذير للرجال من تسلط النساء ومكرهن وقد جاء ذلك فى

السنن كثيرا .

١١- سنية رجوع الإمام إلى منزله بعد أداء صلاة العيد والخطبة .

١٢- حرص نساء السلف الصالح على تحصيل الأجر والثواب حيث سارعن يتنافسن فى بذل المال الذى أغلاه عند المرأة زينتها وحليها وخصوصاً الذهب والفضة .

١٣- حرصهن على طلب العلم ومعرفة علل الأشياء والأحكام .

١٤- سنية الاستئذان وجواز حوار المرأة لزوجها فى الأحكام وإذنه لها فى الذهاب إلى رجل عالم صالح لتأخذ منه الحكم الذى تريد السؤال عنه .

١٥- إذن العالم للنساء بالدخول عليه فى منزله لأمر شرعى كاستفتاء وطلب علم .

١٦- حسن أدب الصحابة مع النبى ﷺ حيث لا ينادونه باسمه وإنما بصة النبوة يانبى الله يارسول الله .

١٧- تذكير العالم بما أمر به ليسأل عن حالة لها صلة به ، وهذا من حسن الأدب فى السؤال وإعانة العالم على استحضار الجواب .

١٨- جواز اتخاذ النساء للحلى وتصرفهن فيه بيعاً وعطاء وعرية وتصدقا .

١٩- إخبار المرأة بعلم أخذته عن زوجها لتتأكد من صحة فتياه لها .

٢٠- إخبار العالم بفتيا لأحد تلاميذه وتصديق الشيخ له فى ذلك

٢١- جواز تصدق المرأة على زوجها المحتاج وأنه أولى من غيره بذلك وأحق .

الحديث الثانى

معانى الغريب :

أى يوم أحرم : أى لا يوجد فى الزمان يوم أعظم منه حرمة عند الله تعالى .

يوم الحج الأكبر : هو يوم النحر الذى تذبح فيه الأضاحى وترمى فيه جمرة العقبة الكبرى .

لا يجبى جان إلا على نفسه : يعنى أن من اقترف جرما فعلى نفسه لا يؤخذ به غيره .

ربا الجاهلية موضوع : الربا الزيادة فى البيع وتكون فى الأجل والفضل والجنس .

كل دم كان فى الجاهلية موضوع : يعنى أنه لا ثأر فى الإسلام وما كان من قتل قبله فهدر .

كان مسترضعا : كان على عادة أشراف قريش فى الجاهلية عند مرضعة خارج مكة .

عوان عندكم : يعنى كالأسير فى البيت يعاون كالخادم المعوان .

المضاجع : مكان وضع الجنب فى الفراش وهو هنا كناية عن الاستمتاع .

فلا يوطئن فرشكم: لا يأذن ولا يدخل إلى منزل الزوج ما لا يحب من الناس ، وفيه ضمنا حث على حفظ الفروج وتجنب مواطن الريب.

من فوائد الحديث :

١ـ تسمية حجة النبى ﷺ بحجة الوداع لأنه لم يحج بعدها وقال للناس : لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا وما كان فيها من البيان للدين ووصايا المودع .

٢- استهلال الخطبة بالحمد والثناء على الله تعالى واشتمالها على التذكير والوعظ .

٣- ربط مجهول العلم بمعلومه للناس ليعلموا قدره ويفقهوا عظمته.

٤- العرب كانوا يعلمون حرمة شهر الحج وأن أعظمه فى نفوسهم يوم الحج الأكبر الذى هو يوم العيد أو يوم عرفةعلى خلاف بين العلماء، وجواز القول بتفاضل المناسك وغيرها .

٥- ربط النبى ﷺ تحريم ثلاثة أمور كانت مهدرة بين العرب بثلاثة أمور كانوا يعظمونها ويهابون انتهاكها .

٦- ولما كان أهل الجاهلية يأخذون الرجل بجريرة أحد أفراد قبيلته بين لهم النبى ﷺ أن الإسلام حرم ذلك واعتبره من العدوان حتى الوالد بولده أو الولد بوالده وأن الجانى من جنى على نفسه وانتهك حرمة غيره .

٧- ولما كانت العصبية الجاهلية هى الرابطة بين العرب بين لهم النبى ﷺ أن الإسلام فوق كل الروابط وأن الأخوة فيه أعلى من أخوة النسب لذا لا يحل لمسلم من أخيه المسلم إلا ما أحل من نفسه وطابت به نفسه .

٨- الربا معضلة جاهلية ومرض فتاك بالفرد والمجتمع ، وأضراره أكثر من أن تعد لذا عالجه الإسلام بتدرج حتى أعلن الحرب من الله ورسوله على المتمادى على تعاطيه والتعامل به ، وهذا ما شرحه النبى ﷺ فى خطبة الحج هذه حيث وضعه كله وبدأ بربا عمه العباس فوضعه كله .

٩- الآمر بالخير عليه أن يبدأ بنفسه حتى يسمع منه ويمتثل أمره ونهيه ، ويطاع فى غير ذلك لأنه جاد والناس عنده فى الحق سواء.

١٠- ولما كانت عادة الأخذ بالثأر ولو طال الزمن من كبريات

الأمور التى تثير الحروب والفتن وتُسفك بسببها دماء كثيرة من الأبرياء حرمها الإسلام ووضع كل دم كان فى الجاهلية ، ووضع النبى ﷺ كعادته فى البدء بامتثال أوامر ربه بنفسه وأهله فوضع دم الحارث بن عبد المطلب .

١١ـ من عادة أشراف العرب فى الجاهلية ا. ترضاع أبنائهم بالأجرة عند أحياء العرب فى البادية لما يكسب ذلك الولد من قوة التحمل والشهامة والشجاعة حيث يصاع قساوة الحياة منذ نعومة أظافره .

١٢ـ من عادة العرب فى الجاهلية إهانة المرأة واستضعافها ونهب حقوقها ومصادرة حريتها فقام النبى ﷺ وهو الرحمة المهداة على رؤوسهم ليوصيهم على اجتناب تلك العادة السيئة مع المرأة وليوضح لهم ما لها من حق ليعطوه لها كاملا ، ويعلموا ما للأزواج من حقوق على نسائهم .

١٣ـ المرأة ضعيفة بطبعها والإسلام جاء رحمة للجميع وحماية حقوق الجميع لذا أوصى النبى ﷺ بالمرأة خيرا وبين أنها حرة كالأسير المحبوس على مصالح البيت والزوج الذى هى تحته .

١٤ـ الرجل لا يملك رقبة زوجته الحرة لذا لا يجوز له أن يضربها إلا على النشوز والعصيان الذى يخالف مقتضى عصمة النكاح من الطاعة وحسن التبعل والرعاية لنفسها وبيت زوجها وأولاده .

١٥ـ فإن ارتكبت المرأة ما يخالف شريعتها أباح الإسلام للزوج أن يربيها بما ذكر فى القرآن والسنة من الوعظ والهجر فى البيت والضرب غير المؤذى .

١٦ـ إذا رجعت المرأة إلى الطاعة بالوعظ فقط لا تزاد على ذلك وإن احتاجت إلى ما ذكر بعده فرجعت إلى شريعتها فلا سبيل عليها بعد

ذلك إلا لظالم قليل الدين والمروءة .

١٧- المرأة المسلمة العاقلة تراعى دائماً مشاعر زوجها وتتحسس محبوباته ومكروهاته فتحب ما يحب وتكره ما يكره لأن ذلك يقربها لقلبه ويبث روح المودة والتفاهم فى البيت ، وهذا ماحرص النبى ﷺ على توفره فى البيت المسلم لما يترتب عليه من المصالح الدنيوية والفضائل الأخروية .

١٨- الحب والبغض من طبائع النفوس ، لذا تجد الرجل لا يحب أن يرى فلاناً من الناس ويسر ويتهلل وجهه إذا رأى زيدا آخر ، وهذا ما ينبغى للزوجة أن تعرفه فيه وتجلب له الراحة فى بيته ولا تأذن لمن لا يحب فى بيته ليضايقه ويأكل طعامه ويشرب شرابه وهو له كاره تحت سيف الحياء .

١٩- زوج الرجل أولى الناس بالإحسان إليها بعد أداء الواجب لها بدون إسراف ولا تبذير ، لأن المرأة زينة فى البيت فإذا لبست اللباس الحسن وأكلت الطعام الجيد ازداد بهاؤها وجمالها وانشرح صدرها واطمأنت نفسها فعملت على حسن التبعل لزوجها صاحب النعمة عليها بعد ربها وخالقها ورازقها ، لذا أمر النبى ﷺ رجال أمته بالإحسان إلى أزواجهن فى الكسوة والطعام.

الحديث الثالث

معانى الغريب :

يقطع بعثاً : المراد يرسل طائفة من المجاهدين فى سرية للغزو والجهاد فى سبيل الله .

أن يرتقيه : أن يصعد على المنبر بالدرج المعدة للرقى .

فجبذته : جذبته ، كناية عن شد بالثوب غير قوى ، يراد منه المنع والتنبيه على مخالفة الخطبة قبل صلاة العيد لسنة النبى ﷺ .

من فوائد الحديث :

١ـ سنية خروج الإمام ماشيا إلى المصلى يوم العيد .

٢ـ البدأ بالصلاة أول شىء .

٣ـ سنية الخطبة بعد الصلاة .

٤ـ قيام الخطيب أمام الناس وهم جلوس على صفوفهم فى أماكنهم التى صلوا فيها .

٥ـ اشتمال الخطبة على الموعظة والوصية بالتزام التقوى والتمسك بالكتاب والسنة .

٦ـ يوم العيد فرصة يجتمع الناس فيها فرحين بما وفقهم الله إليه من الطاعة ، لذا فهم على استعداد لتقبل الأوامر والخروج فى سبيل الله ، وبذل أنفسهم وأموالهم فى مرضاة الله تعالى ، فيغتنم الإمام هذا الاستعداد الإيمانى الروحانى فيأمرهم بالصدقة والخروج جهاداً فى سبيل الله والدعوة إليه .

٧ـ سنية الانصراف إلى المنزل من غير الطريق الذى جاء منه إلى المصلى .

٨ـ حرص الصحابة رضوان الله عليهم على التمسك بالسنة وغضبهم إذا حاول أحد الإخلال بشىء منها .

٩ـ إمامة المفضول وتوليه الإمارة فى حضور من هم أفضل منه .

١٠ـ خروج العلماء مع الأمراء إلى المشاهد والأعياد ومماشاتهم لهم فى الطريق وأمام الناس .

١١ـ إحداث نصب المنبر فى مصلى المدينة المنورة جاء على يد

كثير بن الصلت فى عهد إمارة مرَوان بن الحكم على المدينة .

١٢- حرص بعض الأمراء على تبليغ أهدافهم السياسية يؤدى بهم إلى التحايل على السنة مع علمهم بها .

١٣- اعتراض العلماء على حيل الأمراء المنافية للسنة ومحاولتهم منعهم من ذلك أمام الناس .

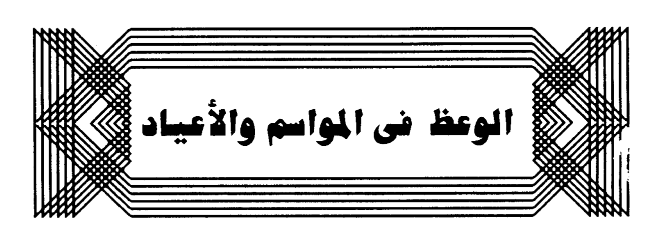
١٤- ارتفاع الخطيب على المنبر من أجل أن يراه الناس ويبلغ صوته مداه .

١٥- إذا عجز العالم عن تغيير المنكر بيده واستطاع إنكاره بلسانه وجب عليه ذلك .

١٦- مصارحة العلماء للأمراء بإنكار ما غيروا به السنة وأن سوء اعتذار لأمراء عن حيلهم لا يوجب الخروج عليهم ولا التشهير بهم.

١٧- هدى النبىﷺ وما أُثر عنه هو العلم النافع وغيره من الأغراض الشخصية والحيل الدنيوية لكسب الناس واستمالتهم .





الوعظ فى المواسم والأعياد

١ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (خرج النبى ﷺ يوم عيد فصلى ركعتين لم يصل قبل ولابعد ، ثم مال على النساء - ومعه بلال - فوعظهن وأمرهن أن يتصدقن ، فجعلت المرأة تلقى القلب والخرص) [١] .

٢ - عن عطاء قال : قال ابن عباس : (أشهد على رسول الله ﷺ لصلى قبل الخطبة فرأى أنه لم يسمع النساء ، فأتاهن ومعه بلال ناشر ثوبه فوعظهن وأمرهن أن يتصدقن ، فجعلت المرأة تلقى) وأشار أيوب شيخ شيخ البخارى - إلى أذنه وإلى حلقه [٢] .

٣ - عن ابن عباس رضي الله عنهما : قال له رجل : (شهدت الخروج مع رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، ولولا مكانى منه ما شهدته ، يعنى من صغره - أتى العلم الذى عند دار كثير بن الصلت ثم خطب ، ثم أتى النساء فوعظهن وأمرهن أن يتصدقن ، فجعلت المرأة تهوى بيدها إلى حلقها تلقى فى ثوب بلال ، ثم أتى هو وبلال البيت)[٣] .

٤ - (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (خرجت مع النبى ﷺ يوم فطر أو أضحى ، فصلى ، ثم خطب ، ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهن ، وأمرهن بالصدقة)[٤] .

٥ - عن جابر قال : (شهدت الصلاة مع النبى ﷺ فى يوم عيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة فلما قضى الصلاة قام متوكئا على بلال فحمد الله وأثنى عليه ووعظ الناس وذكّرهم وحثهم على طاعته ثم مضى إلى النساء ومعه بلال فأمرهن

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب الزكاة باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها ، ٣/٢٩٩(١٤٣١) .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب الزكاة ، باب العرض فى الزكاة ٣/٣١٢ (١٤٤٩) .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الأذان ، باب وضوء الصبيان ، ومتى يجب عليهم الغسل والطهور ؟ وحضورهم الجماعة والعيدين والجنائز وصفوفهم ٢/٣٤٥ (٨٦٣) .

(٤) صحيح البخارى ، كتاب العيدين ، باب خروج الصبيان إلى المصلى (٩٧٥) .

بتقوى الله ووعظهن ؟ وحمد الله وأثنى عليه وحثهن على طاعته ثم قال : تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم فقالت امرأة من سفلة النساء سفعاء الخدين لم يارسول الله ؟ قال : لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير فجعلن ينزعن حليهن وقلائدهن وقرطتهن وخواتيمهن يقذفن به فى ثوب بلال يتصدقن به) [١].

٦ - عن عبد الرحمن بن عابس قال: (سمعت ابن عباس يقول خرجت مع النبى ﷺ يوم فطر أو أضحى فصلى ثم خطب ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة) [٢].

٧ - عن أيوب السختيانى قال: (سمعت عطاء يقول سمعت ابن عباس يقول : أشهد على رسول الله ﷺ أنه بدأ بالصلاة قبل الخطبة يوم العيد ثم خطب فرأى أنه لم يسمع النساء فأتاهن فذكرهن ووعظهن وأمرهن أن يتصدقن وبلال قابض بثوبه فجعلت المرأة تجىء بالخرص والشىء ثم تلقيه فى ثوب بلال) [٣].

٨ - عن عبد الرحمن بن عباس قال : (سمعت ابن عباس وسئل هل شهدت العيد مع رسول الله ﷺ فقال : نعم ولولا قرابتى منه ما شهدته من الصغر فصلى ركعتين ثم خطب ثم أتى العلم الذى عند دار كثير بن الصلت فوعظ النساء وذكرهن وأمرهن بالصدقة فأهوين إلى آذانهن وحلوقهن فتصدقن به قال فدفعنه إلى بلال) [٤].

٩ - عن ابن عباس قال : (شهدت النبى ﷺ صلى يوم العيد ثم خطب فظن أنه لم يسمع النساء فأتاهن فوعظهن وقال : تصدقن فجعلت

---

(١) مسند الإمام أحمد ٣١٨/٣ . (٢) مسند الإمام أحمد ٣٥٧/١ .

(٣) سنن الدارمى كتاب الصلاة أبواب العيدين باب صلاة العيدين بلا أذان ولا إقامة والصلاة قبل الخطبة ٣٧٦/١

(٤) مسند الإمام أحمد ٣٦٨/١ .

المرأة تلقي الخاتم والخرص والشيء ثم أمر بلالاً فجمعه في ثوب حتى أمضاه) [1].

١٠- عن ابن عباس قال : (أشهد على رسول الله ﷺ أنه صلى قبل الخطبة ثم خطب فرأى أنه لم يسمع النساء فأتاهن ومعه بلال ناشراً ثوبه فوعظهن وأمرهن أن يتصدقن فجعلت المرأة تلقى وأشار أيوب إلى أذنه وإلى حلقه كأنه يريد التؤمة والقلادة) [2].

١١- عن ابن عباس : (أشهد على رسول الله ﷺ قبل الخطبة فى العيد ثم خطب فرأى أنه لم يسمع النساء فأتاهن فذكرهن ووعظهن وأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تلقى الخرص والخاتم والشيء) [3].

١٢- عن جابر قال : (شهدت الصلاة مع رسول الله ﷺ فى يوم عيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة ثم قام متوكئا على بلال حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن وأمرهن بتقوى الله قال: تصدقن فذكر شيئا من أمر جهنم فقامت امرأة من سفلة النساء سفعاء الخدين فقالت: لم يارسول الله ؟ قال ألم تكن تغشين الشكاة واللعن وتكفرن العشير فجعلن يأخذن من حليهن وأقراطهن وخواتيمهن يطرحنه فى ثوب بلال يتصدقن به) [4].

١٣- وعن ابن عباس، بمعناه ، قال : (فظن أنه لم يسمع النساء فمشى إليهن وبلال معه فوعظهن وأمرهن بالصدقة فكانت المرأة تلقى القرط والخاتم فى ثوب بلال) [5].

١٤- وعن عبد الرحمن بن عابس قال : (سمعت ابن عباس قال له

(١) مسند الإمام أحمد ١/٣٣١ - ٣٣٢ .

(٢) مسند الإمام أحمد ١/٢٢٦.

(٣) مسند الإمام أحمد ١/٢٢٠ .

(٤) سنن الدارمى أبواب العيدين ، باب الحث على الصدقة يوم العيد ١/٣٧٧ - ٣٧٨.

(٥) سنن أبى داود كتاب الصلاة ، باب الخطبة يوم العيد ١/٦٧٨ - ٦٧٩ .

رجل شهدت الخروج مع رسول الله ﷺ قال : نعم ولولا مكانى منه ما شهدته يعنى من صغره أتى العلم الذى عند دار كثير بن الصلت فصلى ثم خطب ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهن وأمرهن أن يتصدق فجعلت المرأة تهوى بيدها إلى حلقها تلقى فى ثوب بلال) (١) .

١٥ـ عن جابر قال : (شهدت الصلاة مع رسول الله ﷺ فى يوم عيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة فلما قضى الصلاة قام متوكئاً على بلال فحمد الله وأثنى عليه ووعظ الناس وذكرهم وحثهم على طاعته ثم مال ومضى إلى النساء ومعه بلال فأمرهن بتقوى الله ووعظهن وذكرهن وحمد الله وأثنى عليه ثم حثهن على طاعته ثم قال: تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم فقالت امرأة من سفلة النساء سفعاء الخدين بم يا رسول الله؟ قال: تكثرن الشكاة وتكفرن العشير فجعلن ينزعن قلائدهن وأقراطهن وخواتيمهن يقذفنه فى ثوب بلال يتصدقن به) (٢) .

١٦ـ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : (شهدت مع رسول الله ﷺ يوم العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ثم قام متوكئا على بلال فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن فقال : تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم فقامت امرأة من سطة النساء سفعاء الخدين فقالت : لم يا رسول الله ؟ قال لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير قال : فجعلن يتصدقن من حليهن يلقين فى ثوب

(٣) سنن النسائى كتاب صلاة العيدين، موعظة الإمام النساء بعد الفراغ من الخطبة وحثهم على الصدقة ٤/١٩٢ـ ١٩٣ .

(١) سنن النسائى كتاب صلاة العيدين قيام الإمام فى الخطبة متوكئا على إنسان ٢/١٨٦ ـ ١٨٧ .

بلال من قرطهن وخواتمهن) [1].

١٧- عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رســـول الله ﷺ خطب الناس فوعظهم ثم قال : (يا معشر النساء تصدقن فإنكن أكثر أهل النار، فقالت أمرأة منهن : ولم ذاك يارسول الله ؟ قال لكثرة لعنكن ، يعنى وكفركن العشير ، قال : وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوى الألباب وذوى الرأى منكن . قالت امرأة منهن وما نقصان عقلها ودينها ؟ قال شهادة امرأتين منكن بشهادة رجل ، ونقصان دينكن الحيضة ، فتمكث إحداكن الثلاث والأربع لا تصلى ، وفى الباب عن أبى سعيد وابن عمر) [2].

١٨- عن جابر قال : (شهدت الصلاة مع رسول الله ﷺ فى يوم عيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة ثم قام متوكئا على بلال حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن بتقوى الله تعالى قال : تصدقن فذكر شيئا من أمر جهنم فقامت امرأة من سفلة النساء سفعاء الخدين فقالت : لم يارسول الله ؟ قال : ألم تكن تغشين الشكاة واللعن وتكفرن العشير فجعلن يأخذن من حليهن وأقراطهن وخواتيمهن يطرحنه فى ثوب بلال يتصدقن به) [3].

١٩- وعن ابن عباس ﷺ(قيل له : أشهدت العيد مع النبى ﷺ؟ قال : نعم ، ولولا مكانى من الصغر ما شهدته ، حتى أتى العلم الذى عند دار كثير بن الصلت فصلى ثم خطب ، ثم أتى النساء ومعه بلال فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة فرأيتهن يهوين بأيديهن يقذفنه فى ثوب بلال ، ثم انطلق هو وبلال إلى

---

(١) صحيح مسلم كتاب صلاة العيدين ـ لا أذان ولا إقامة للعيدين ٦/١٧٥ ـ ١٧٦ .

(٢) حديث حسن صحيح الترمذى أبواب الإيمان ـ باب فى استكمال الإيمان والزيادة والنقصان ٧/١٢٩٩ـ ٣٠١ (٢٧٤٥).

(٣) الدارمى ـ أبواب العيدين ، باب الحث على الصدقة يوم العيد ١/٣٧٧ـ٣٧٨ .

بيته) [١].

٢٠. عن أيوب قال : سمعت عطاء قال سمعت ابن عباس قال:(أشهد على رسول الله ﷺ - أو قال عطاء : أشهد على ابن عباس أن رسول الله ﷺ - خرج ومعه بلال فظن أنه لم يسمع النساء فوعظهن وأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تلقى القرط والخاتم ، وبلال يأخذ فى طرف ثوبه) [٢].

٢١. وعن ابن عباس قال : (خرجت مع النبى ﷺ يوم فطر أو ضحى فصلى ثم خطب، ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة) [٣].

٢٢. وعن ابن عباس رضي الله عنهما : (يقول أشهد على رسول الله ﷺ لصلى قبل الخطبة قال : ثم خطب فرأى أنه لم يسمع النساء فأتاهن فذكرهن ووعظهن وأمرهن بالصدقة وبلال قائل بثوبه فجعلت المرأة تلقى الخاتم والخرص والشىء) [٤].

معانى الغريب :

القلب : من الحلى ما كان من طاق واحد، وهو سوار مفتول فتلا واحدا.

والخرص : بالضم والكسر الحلقة من الذهب والفضة .

متوكأ : معتمد بيده ليكون ذلك أثبت لقدمه وأرفق به حال الخطبة.

من سفلة النساء : أى من سقطة الناس وأطرافهم فى النسب أو المرودة .

---

(١) صحيح البخارى، كتاب العيدين ، باب العلم الذى بالمصلى (٩٧٧).

(٢) صحيح البخارى، كتاب العلم ، باب عظة الإمام النساء وتعليمهن ١٩٢/١(٩٨).

(٣) البخارى ، باب خروج الصبيان إلى المصلى ٤٦٤/٢ (٩٧٥)

(٤) صحيح مسلم ، كتاب العيدين ١٢٣/٦ - ١٧٤ .

سفعاء الخدين : عبارة تغير لونها من لفح الحر أو شدة الحال ، فلون بشرتها متغير .

تكثرن الشكاة: يعلن عن سوء فعل المخالط ويمارسن ذلك بكثرة .

وتكفرن العشير : يجحدن ويسترن عمدا فضائل المعاشر من زوج وغيره وينكرن معروفه .

قرطتهن : القرط : ما تعلقه المرأة من حلى فى شحمة أذنها.

أمضـــاه : أنفذه وأصدر فيه حكمه النهائى.

التؤمـــة : مثل الدرة تصاغ من الفضة .،

والقلادة : ما يوضع فى العنق .

مال ومضى : مال : حاد عن الطريق إلى جهتين ، ومضى قاصدا النساء لوعظهن . قائل بثوبه : من تفسير الأعمال بالهيئة المعبر عنها بلفظ فعل ، والمقصود أنه ﷺ ناشراً ثوبه لتوضع فيه الصدقة وتجتمع فيه .

من فوائد هذه الأحاديث :

١- خروج الإمام إلى المصلى لصلاة العيد سنة نبوية تنبغى المحافظة عليها لما فيها من الفوائد الدينية والدنيوية .

٢- اهتمام النبى ﷺ بالوعظ واغتنام المناسبات الدينية لتقرير أصول الدين والوعظ والتذكير بأيام الله تعالى ترغيباً وترهيباً .

٣- عناية الإسلام بإصلاح المرأة وخروجها إلى المناسبات الفاضلة لتشهد الموعظة وتأخذ العلم وتشارك فى الحياة بمالها جهادا فى سبيل الله تعالى وتصدقا على الأقارب والمحاويج حيث إن ذلك من التكافل الاجتماعى الذى امتاز به الإسلام .

٥- صلاة العيد ركعتين لا نافلة قبلها ولا بعدها ولا أذان ولا إقامة.

٦ـ خطبة العيدين بعد الصلاة ومن غير ذلك فقد خالف السنة .

٧ـ إذا صلحت المرأة صلح المجتمع لأن النساء حبائل الشيطان ووسائله فى بث كثير من المفاسد الدينية والدنيوية والأخلاقية لذا اعتنى النبى ﷺ بتربية النساء تربية دينية وأخلاقية فخصهن بالمواعظ الحسنة المؤثرة وشرح لهن طبائعهن ليجتهدن فى إصلاحها ويعملن على معالجة المعوج منها ، واغتنم فى سبيل ذلك المواسم والأعياد والدروس الخاصة وما يلقنه لأمهات المؤمنين حتى يبلغنه لأخواتهن وبناتهن المؤمنات .

﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾[1] .

وفى هذه الأحاديث التى جمعت روايات الصحاح والسنن والمسانيد نرى نبى الهدى ﷺ بعد أن يعمم الموعظة والتذكير والأمر بتقوى الله تعالى والنهى عن مخالفة أوامره أو ارتكاب مساخطه - يمضى إلى النساء يشق صفوف الناس حتى قام يقوم قبالتهن لخصهن بخطبة مخافة أن يكون حديثه للناس عامة لم يبلغهن أو لم يتمكن من سماعه سماعا تاما ، فوجه لهن بخطبة تامة فيها حمد وثناء وموعظة وتذكير وحث على تقوى الله وطاعته فيما أمر والانتهاء عما عنه نهي وزجر ، وأمرهن بالصدقة بعد أن بين لهن أنه اطلع على النار فوجد أكثر أهلها النساء ، والصدقة تطفىء غضب الرب وتطهر النفس من البخل والشح :

﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾.

٨ـ المرأة الصالحة إذا وعظت بالله تعالى وخوفت من عذابه تملكتها الخشية وأخذها الوجل من عذاب الله فطلبت ما يرضى مولاها عنها فبكت برقة وطهرت خطاياها بدموعها وتضرعت بقلبها إلى

---

(١) سورة الأحزاب آية (٣٤).

بارئها واستعدت لبذل ماتملك فى سبيل الله تعالـى فانفقت أغلى ما تدخر من زينتها ونفائس حليها .

٩) جـواز خروج المرأة إلى المحافل والمناسبات الدينية بالذهب والحلى إن كانت منعزلة عن الرجال الأجانب ومتسترة .

١٠- جواز مخاطبة العالم للنساء مباشرة إذا كانت الريبة مأمونة ومخافة الله تعالى ظاهرة .

١١- اتكاء الخطيب على رجل وغيره حال الخطبة .

١٢- مـصاحـبـة الرجل الآمين للإمـام لجمع التبـرعـات وأخـذ الصدقات.

١٣- خروج الصغار إلى المصلى لشهود الخير ودعوة المسلمين وتعلم أمور الدين .

١٤- وصف الرجل الصالح لامرأة رأى وجهها لبيان صفة وجهها وهيئتها التى هى عليها من صحة وما يتعلق بذلك من مظاهر تعين على معرفة شخصية المرأة التى يتعلق بها الحكم أو تتصل بها قصة خبر معين.

١٥- كـان النساء فى عـهـد النبـوة والصدر الإسلامى الأول يغلب عليهن الحياء ويمنعهن ذلك من مواجهة أهل العلم والصلاح بالأسئلة أو المخـاطبـة ويطلبن ذلك بواسطة زوجـات ومـحـارم أهل الفضل والعلم ويكون ذلك فى نوازل خاصة .

١٦- ولا ينبغى الحياء فى مجال طلب العلم للرجال ولا النساء لذا جـاء ثناء أم المؤمنين عـائشة رضي الله عنها على نسـاء الأنصـار إذ لم يمنعـهن الحياء من تعلم أمور دينهن ، واستحسن النبى ﷺ من أم سليم رضي الله عنها قـولهـا : (إن الله لا يسـتـحى من الحق فـهل على المرأة غسل إذا هى احتلمت ..) ؟

١٧ـ سؤال هذه المرأة التى وصفها جابر ﷺ وإن فهم بعض الناس من حالها جرأة زائدة وسؤالا عما لم يعلله النبى ﷺ ابتداء فإنه جاء بإجابة شافية من النبى ﷺ بين فيها أهم الأسباب التى جعلت النساء أكثرهن حطب جهنم ـ والعياذ بالله ـ .

١٨ـ وإنه من الواجب على المسلمة أن تتجنب هذه الأمور التى ذكرت فى هذا الحديث الشريف الذى جاء فى تلك الخطبة المشهورة شهرة يوم عيد الفطر والأضحى فإن جاءت إلى الحساب يوم القيامة وفي أعمالها لعن كثير وشكاية كثيرة وكفران عشير فإنه لا عهد لها عند الله إذ بلغها على لسان نبيه ﷺ أن هذه من أسباب دخول النار بعد الكفر بالله تعالى.

١٩ـ إن المسلمة العاقلة إذا تأملت هـذه الأمور بعقل وروية علمت علاوة على النهى عنها أنها تفسد عليها عيشتها وتقلق عليها حياتها وتكدر عليها علاقاتها مع بعلها وأولادها وجيرانها وخدمها وأن هذه المنهيات إذا اقترفتها عاشت بين قوم لا يحبونها ويبغضون رؤيتها

وينفرون من مجالستها لأنها ترتكب ما يسخط الله عليها ومن سخط الله عليه ـ والعياذ بالله تعالى ـ أسخط عليه العباد ولم يضع له القبول فى الأرض فصار مبغوضاً فى السماء والأرض . وأى حياة وقيمة لمن هذا حاله فى الدنيا ، وحاله فى الآخرة بينه النبى ﷺ فى هذا الحديث للنساء وفى أحاديث أخرى للرجال فلنصن ألسنتنا عن اللعن والشكاية ولنشكر لمن أحسن علينا فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله .

٢٠ـ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لذا لا يؤاخذ الله النساء على ماجبلهن عليه وركب فيهن وكتب عليهن من نقصان العقل والدين .

والحيضة التى تقعد المرأة عن الصلاة والصوم والطواف لا كسب لها فيها ، لذا لا يترتب عليها شىء بسببها وإنما يرتب الثواب والإثم على الطاعة والمعصية التى للإنسان فيها كسب واختيار .

٢١- كون المرأة السائلة من سطة النساء أو سفعاء الخدين لا أثر له فى الحكم الشرعى وإنما المراد به كشف صفة المرأة السائلة هذا السؤال.

٢٢- فى هذه الأحاديث الشريفة تتجلى المحبة المتبادلة بين القائد وأتباعه والأمير وشعبه حيث الصلة المباشرة والتعليم المباشر والحوار الهادف وحرص المعلم على تبليغ العلم وحرص المتلقى على التحصيل والاستفادة، وأنه ليظهر بجلاء شفقة العلماء على عامة المسلمين رجالاً ونساء صغاراً وكبارا إذ يقوم العلماء بشرح وتوضيح أسباب النجاة للعامة ويكون الإخلاص والنصح باعثهم على ذلك ، وعندها نجد سرعة الاستجابة والعمل والبذل والحفظ للأوامر وتلبية المطالب.

٢٣- إن الإحاطة بما اشتملت عليه هذه الأحاديث من الفوائد الجليلة والعلوم النافعة والآداب السامية والمواعظ المؤثرة ، لا يمكن لأنها صادرة عمن لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ، والوحى معجز والمعجز لا يحاط به وإنما يكفى المتلقى أن يتعلم منه ويطبق ما يستطيع ويستسلم له كلية بدون اعتراض أو شك .

ومما يعين على تحصيل أكبر قدر ممكن من المعارف التى تحويها هذه الأحاديث الشريفة الرجوع إلى كتب الأحكام وغريب الحديث وشراح كتب السنة .

الوعظ فى يوم الجمعة

١ـ (عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبى ﷺ أنه قال : من اغتسل يوم الجمعة ، ومس من طيب امرأته إن كان لها ، ولبس من صالح ثيابه ، ثم لم يتخط رقاب الناس، ولم يلغ عند الموعظة ، كانت كفارة لما بينهما ومن لغا وتخطى رقاب الناس كانت له ظهرا)[١] .

٢ـ (عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال : من حدثك أنه رأى رسول الله ﷺ يخطب قاعدا قط فلا تصدقه ، قد رأيته أكثر من مائة مرة فرأيته يخطب قائما ثم يجلس فلايتكلم بشىء ثم يقوم فيخطب خطبته الأخرى ، قلت : كيف كانت خطبته ؟ قال : كانت قصداً كلام يعظ به الناس ويقرأ آيات من كتاب الله تعالى) [٢] .

٣ـ (عن جابر بن سمرة السوائى ، قال : كان رسول الله ﷺ لا يطيل الموعظة يوم الجمعة ، إنما هن كلمات يسيرات) [٣] .

معانى الغريب :

ومن لغا : أى تكلم بكلام سقط غير صواب وملغى ، مردود وباطل ، لأنه فى غير محله .

كانت قصدا : القصد فى الشىء هو الاقتصاد فيه وترك الإطناب والتطويل الممل .

من فوائد هذه الأحاديث :

١ـ أوجب الله تعالى على الذكر المسلم الحر البالغ العاقل المقيم صلاة الجمعة فى قريتة أو مدينته أو حيه أو بلدته التى تقرى فيها ولا عدد من الشارع يقطع به من الرجال لوجوب الجمعة .

٢ـ وللجمعة واجبات وسنن وآداب يتم بها الثواب الموعود به من

---

(١) سنن أبى داود ، كتاب الطهارة باب فى الغسل يوم الجمعة (٣٤٧) ١/٢٤٧ .

(٢) مسند الإمام أحمد ٥/٩٩ ـ ١٠٠ .

(٣) سنن أبى داود ، كتاب الصلاة ، باب إقصار الخطب (١١٠٧) ١/٦٦٣.

صلى الجمعة فينبغى للمسلم الحرص على ذلك كله رغبة فيما عند الله تعالى .

٣- والجمعة عيد أسبوعى يطلب فيه التطهر والتطيب والتجمل والسكينة والوقار وتجنب أذية المصلين .

٤- والخطبة ركن فى صلاة الجمعة وقد سن لنا رسول الله ﷺ فيها سنناً وأوجب على المصلين الإنصات حال الخطبة .

٥- يجلس الخطيب بين خطبتى الجمعة جلسة خفيفة لا يتكلم فيها بشىء.

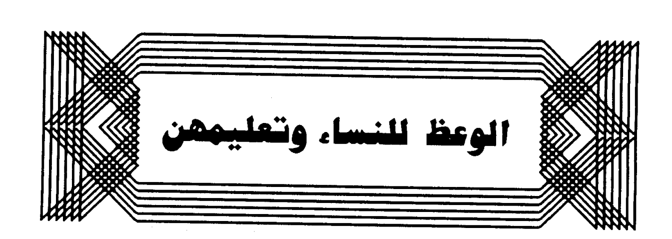
٦- وقد جاء النهى عن إطالة الموعظة والخطبة يوم الجمعة وسن النبى ﷺ للخطباء الاقتصار فى ذلك على كلمات يسيرات مباركات وعظات ربانية نافعة وآيات فى الموضوع تكون عظة وحجة على المقصود ، أما الإطناب فإن مفاسده أكثر من فوائده وأقل ذلك أنه يؤذى كثيرا من الناس وخصوصاً المسنين الذين يبكرون إلى المسجد يوم الجمعة علاوة على أن السنة خلافة . « إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة » [1] .

٧- جاء فى مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى من حديث الحكم ابن حزن الكلفى رضي الله عنه فى وفوده على النبى ﷺ قوله : .. فلبثنا عند رسول الله ﷺ أياما شهدنا فيها الجمعة ، فقام رسول الله ﷺ متوكئا على قوس أو قال على عصا فحمد الله وأثنى عليه ، كلمات خفيفات طيبات مباركات ، ثم قال : يا أيها الناس إنكم لن تفعلوا ولن تطيقوا كل ما أمرتم به ولكن سددوا وأبشروا (الفتح الربان ٩٢/٦ ، ٩٣) .

٨- كما أنه يجب على المصلين الإنصات والاتعاظ فإنه على الخطباء أن يعملوا على إفادة الناس علما وإيمانا ونصحا وإرشادا وتوجيها ولا يضيعوا أوقاتهم بالإطالة وعدم الإفادة .

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والجمعة ٤٧ .



الوعظ للنساء وتعليمهن

١- عن أبى سعيد الخدرى أن النساء قلن غلبنا عليك الرجال يارسول الله فاجعل لنا يوماً يا رسول الله نأتيك فيه فواعدهن ميعادا فأمرهن ووعظهن وقال : ما منكن امرأة يموت لها ثلاثة من الولد إلا كانوا لها حجاباً من النار .

فقالت امرأة أو اثنان فإنه مات لى اثنان . فقال رسول الله ﷺ أو اثنان (١).

٢- (عن أبى سعيد رضي الله عنه : أن النساء قلن للنبى ﷺ : اجعل لنا يوما. فوعظهن وقال : أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا لها حجاباً من النار ، قالت : امرأة : واثنان ؟ قال : واثنان) (٢).

معانى الغريب :

فواعدهن ميعادا : يعنى حدد لهن وقتاً ومكانا ليجتمعن فيه .

حجابا من النار : المراد إذا احتسبته ، جعل الله ثواب ذلك لها سترا من النار ومنعا وحجباً منها .

غلبنا عليك الرجال : أى استولى الرجال على وقتك ، ونحن لا يجوز لنا مزاحمتهم فى المجلس عندك .

من فوائد هذين الحديثين :

١- حرص نساء السلف على العلم والخير وشعورهن بأن هذا الدين للمجتمع .

٢- حب الصحابيات للنبى ﷺ جعلهن يردن رؤيته ويسمعن كلامه من غير واسطة .

---

(١) مسند الإمام أحمد ٣/٣٤ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب الجنائز ، باب فضل من مات له ولد فاحتسبه . وقول الله عز وجل : ﴿ وبشر الصابرين ﴾ (١٢٤٩) ٣/١١٨ .

٣- شعور المرأة بأن الرجل يحوز عنها الخير وأن لها الحظ مثله فى هذا الوحى .

٤- طلب التلاميذ من المعلم أن يحدد لهم ميعادا يجتمعون فيه عنده ليكون ذلك أجمع لهمه هو وأوفر لوقته وليكونوا هم أيضاً أكثر اهتماماً وتركيزاً على الحفظ والتحمل .

٥- النبى ﷺ هو المبلغ عن الله تعالى وحيه والمبين لأوامره ونواهيه وإذا أمر وجبت طاعته وامتثال أمره، وإذا وعظ كان الأثر الحسن لأنه لا أحد أعلم منه بالله تعالى وما وعظ به عباده ، ولا أحد أنصح منه لخلق الله تعالى ولا أحد أفصح منه وأصدق لهجة ، لذا إذا وعظ كان البكاء والخشية والرقة واللين والرحمة وإذا حصلت هذه فى قلب المؤمن كان محلاً لتنزل رحمات الله تعالى والوعى عن الله تعالى ما أرسل به رسوله من العلم والنور والهدى وكانت الاستقامة والطاعة .

٦- ولما كان النبى ﷺ يعلم حرص المرأة على ولدها وحبها له وشفقتها عليه وأنه فلذة من كبدها وكان من أرحم عباد الله بخلق الله أراد أن لا تفوت هذه الفرصة حتى يبشر نساء المؤمنات بما أعده الله لمن مات لها أثنان من الولد وهم صغار وصبرت وابتعدت عن الجزع الذى لا يرد قدراً ولكنه يفوت أجرا عظيما .

٧- ولما كان ﷺ أعطى جوامع الكلم جمع للنساء فى هذا الإيجاز المعجز بين الأمر بالصبر على المصيبة الذى كان مفقوداً فى نساء الجاهلية ، وبين البشارة على ذلك الأجر بالحجاب من النار ، وهن لم يردن إلا الموعظة التى تقربهن من الجنة وتكون حجابا لهن من عذاب الله تعالى .

وعظ الرجل زوجته

١- عن عاصم بن لقيط بن صبرة عن أبيه لقيط بن صبرة ، قال : كنت وافد بني المنتفق ، أو في بني المنتفق ، إلى رسول الله ﷺ ، قال :

فلما قدمنا على رسول الله ﷺ فلم، نصادفه في منزله ، وصادفنا عائشة أم المؤمنين ، قال : فأمرت لنا بخزيرة فصنعت لنا ، قال : وأتينا بقناع ولم يقل قتيبة القناع . والقناع الطبق فيه تمر ، ثم جاء رسول الله ﷺ فقال : (هل أصبتم شيئا ؟ أو أمر لكم بشيء؟ » قال : قلنا : نعم يارسول الله ، قال : فبينا نحن مع رسول الله ﷺ جلوس إذ دفع الراعي غنمه إلى المراح ومعه سخلة تيعر فقال: ما ولدت يافلان؟ قال: بهمة قال: فاذبح لنا مكانها شاه ، ثم قال : لا تحسبن ، ولم يقل لا تحسبن أنا من أجلك ذبحناها ، لنا غنم مائة لا نريد أن تزيد ، فإذا ولد الراعي بهمة ذبحنا مكانها شاة قال : قلت : يارسول الله ، إن لي امرأة وإن في لسانها شيئا - يعني البذاء . قال : فطلقها إذاً ، قال : قلت : يا رسول الله إن لها صحبة ولي منها ولد ، قال : فمرها ، يقول : عظها ، فإن يك فيها خير فستفعل ، ولا تضرب ظعينتك كضرب أميتك فقلت : يارسول الله ، أخبرني عن الوضوء قال : أسبغ الوضوء ، وخلل بين الأصابع ، وبالغ في الاستنشاق ، إلا أن تكون صائماً [١] .

٢- عن أبي حرة الرقاشي عن عمه قال : كنت آخذا بزمام ناقة رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق أذود عنه الناس فقال ; يا أيها الناس أتدرون في أي شهر أنتم وفي أي يوم أنتم وفي أي بلد أنتم ؟ قالوا : في يوم حرام وشهر حرام وبلد حرام. قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه . ثم قال : اسمعوا مني تعيشوا ألا لا تظلموا ألا لا تظلموا ألا لا

(١) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة ، باب في الاستنثار (١٤٢) ١/٩٧ - ١٠٠ .

تظلموا ، إنه لا يحل مال امرىء إلا بطيب نفس منه ، ألا وإن كل دم ومال ومأثرة كانت فى الجاهلية تحت قدمى هذه إلى يوم القيامة وإن أول دم يوضع دم ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب كان مسترضعا فى بنى ليث فقتلته هذيل ألا وإن كل ربا كان فى الجاهلية موضوع وإن الله عز وجل قضى أن أول ربا يوضع ربا العباس بن عبد المطلب لكم رءوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون . ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض . ثم قرأ :

﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ﴾

ألا لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض . ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون ولكنه فى التحريش بينكم . فاتقوا الله عز وجل فى النساء فإنهن عندكم عوان لا يملكون لأنفسهن شيئا وإن لهن عليكم ولكم عليهن حقا أن لا يوطئن فرشكم أحدا غيركم ولا يأذن فى بيوتكم لأحد تكرهونه فإن خفتم نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح . قال : حميد : قلت للحسن : ما المبرح ؟ قال: المؤثر. ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف وإنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله عز وجل ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من أئتمنه عليها وبسط يديه فقال : ألا هل بلغت ألا هل بلغت ألا هل بلغت ثم قال : ليبلغ الشاهد الغائب فإنه رب مبلغ أسعد من سامع قال حميد : قال الحسن حين بلغ هذه الكلمة قد والله بلغوا أقواماً كانوا أسعد به [1] .

---

(١) مسند الإمام احمد ٥/٧٢ـ ٧٣.

٣- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : لما ذكر من شأنى الذى ذكروا ما علمت به ، قام رسول الله ﷺ فىّ خطيبا فتشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد أشيروا على فى أناس أبنوا أهلى ، وأيم الله ما علمت على أهلى من سوء ، وأبنوهم بمن والله ما علمت عليه من سوء قط ولا يدخل بيتى قط إلا وأنا حاضر، ولا غبت فى سفر إلا غاب معى. فقام سعد بن معاذ فقال : ائذن لى يارسول الله أن أضرب أعناقهم . وقام رجل من بنى الخزرج وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل - فقال: كذبت ، أما والله أن لو كانوا من الأوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم ، حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج شر فى المسجد وما علمت . فلما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتى ومعى أم مسطح ، فعثرت وقالت : تعس مسطح فقلت : أى أم ، تسبين ابنك ؟ وسكتت .

ثم عثرت الثانية فقالت : تعس مسطح ، فقلت لها : تسبين ابنك؟ ثم عثرت الثالثة ، فقالت : تعس مسطح فانتهرتها ، فقالت : والله ما أسبه إلا فيك. فقلت : فى أى شأنى؟ قالت : فبقرت لى الحديث . فقلت : وقد كان هذا ؟ قالت : نعم والله، فرجعت إلى بيتى كأن الذى خرجت له لا أجد منه قليلاً ولا كثيرا . ووعكت ، فقلت لرسول الله ﷺ : أرسلنى إلى بيت أبى ، فأرسل معى الغلام . فدخلت الدار فوجدت أم رومان فى السفل وأبا بكر فوق البيت يقرأ . فقالت أمى : ما جاء بك يا بنية ؟ فأخبرتها وذكرت لها الحديث ، وإذ هو لم يبلغ منها مثل ما بلغ منى. فقالت : يا بنية ، خفضى عليك الشأن ، فإنه والله لقلما كانتامرأة قط حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا حسدنها وقيل فيها . وإذا لم يبلغ منها ما بلغ منى . قلت: وقد علم به أبى ؟ قالت : نعم قلت : ورسول الله

ﷺ ؟ قالت : نعم ورسول الله ﷺ واستعبرت وبكيت ، فسمع أبوبكر صوتى وهو فوق البيت يقرأ ، فنزل فقال لأمى : ما شأنها ؟ قالت : بلغها الذى ذكر من شأنها ففاضت عيناه . قال : أقسمت عليك أى بنيه إلا رجعت إلى بيتك فرجعت . ولقد جاء رسول الله ﷺ بيتى فسأل عنى خادمتى ، فقالت : لا والله ما علمت عليها عيباً إلا أنها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل خميرها ، أو عجينها . فانتهرها بعض أصحابه فقال : أصدقى رسول الله ﷺ حتى اسقطوا لها به . فقالت : سبحان الله ، والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر. وبلغ الأمر إلى ذلك الرجل الذى قيل له ، فقال : سبحان الله ، والله ماكشفت كنف أنثى قط . فقتل شهيداً فى سبيل الله قالت : وأصبح أبواى عندى فلم يزالا حتى دخل رسول الله ﷺ وقد صلى العصر ، ثم دخل وقد اكتنفنى أبواى عن يمينى وعن شمالى فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ياعائشة ، إن كنت قارفت سوءا أو ظلمت فتوبى إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة من عباده . قالت : وقد جاءت امرأة من الأنصار فهى جالسة بالباب فقلت : ألا تستحى من هذه المرأة أن تذكر شيئاً . فوعظ رسول الله ﷺ ، فالتفت إلى أبى فقلت: أجبه ، قال : ماذا أقول ؟ فالتفت إلى أمى فقلت : أجيبيه . فقالت : أقول ماذا ؟ فلما لم يجيباه ، تشهدت فحمد الله وأثنيت عليه بما هو أهله ثم قلت : أما بعد ، فوالله لئن قلت لكم إنى لم أفعل ـ والله عز وجل يشهد إنى لصادقة ـ ماذا بنافعى عندكم ، لقد تكلمتم به وأشربته قلوبكم . وإن قلت إنى فعلت ـ والله يعلم أنى لم أفعل ـ لتقولن قد باءت به على نفسها ، وإنى والله ما أجد لى ولكم مثلا ـ والتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه ـ إلا أبا يوسف حين قال : ﴿ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ وأنزل على رسول الله ﷺ من ساعته ، فسكتنا ، فرفع عنه ، وأنى لأتبين السرور فى وجهه وهو يمسح

جبينه ويقول : أبشرى يا عائشة ، فقد أنزل الله براءتك قالت : وكنت أشد ما كنت غضبا . فقال لى أبواى : قومى إليه . فقلت : والله لا أقوم إليه . ولا أحمده ولا أحمدكما ، ولكن أحمد الله الذى أنزل براءتى . لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه ، وكانت عائشة تقول : أما زينب ابنة جحش فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيرا ، وأما أختها حمنة فهلكت فيمن هلك . وكان الذى يتكلم فيه مسطح وحسان ابن ثابت والمنافق عبد الله بن أبى - وهو الذى كان يستوشيه ويجمعه ، وهو الذى تولى كبره منهم - هو وحمنة . قالت : فحلف أبوبكر أن لا ينفع مسطحا بنافعة أبدا . فأنزل الله عز وجل :

﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم ﴾ .

إلى آخر الآية يعنى أبا بكر ، (والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين يعنى مسطحا إلى قوله :

﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾

حتى قال أبو بكر : بلى والله ياربنا ، إنا لنحب أن تغفر لنا ، وعادله بما كان يصنع) [1].

(١) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون . ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم ، ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) (٤٥٧) .

الحديث الأول

معانى الغريب :

خزيرة : لحم يقطع صغارا ، ويصب عليه ماء كثير ، فإذا نضج ذر عليه الدقيق .

قناع : طبق فيه تمر وبلح أو عثكول فيه رطب .

المراح : مكان رواح الماشية وبروكها فى فناء الحى والدار .

سخلة: ولد الغنم من الضأن والمعز ساعة وضعه ذكرا كان أو أنثى.

تيعر : تصوت لولدها .

بهمة : هى ولد الضأن ذكرا كان أو أنثى والسخال أولاد المعز فإذا اجتمعت قيل لها بهام .

البذاء : البذاء بالمد الفحش وفلان بذى اللسان والمرأة بذية .

ظعينتك : المرأة لأنها تحمل فى الهودج ويظعن بها أى يسار بها ويرحل .

أسبغ : إسباغ الوضوء إتمامه ، والسابغ الكامل الوافى .

من فوائد الحديث :

١ـ الوفود إلى العلماء وأهل الفضل للتزود بالإيمان وشرائع الإسلام.

٢ـ عام الوفود هو العام التاسع من الهجرة حيث انتشر الإسلام فى ربوع شبه جزيرة العرب وتسابقت إليه القبائل .

٣ـ نزول الضيف فى دار الأفاضل فى غيبتهم .

٤ـ مكانة أم المؤمنين عائشة ﵂ فى بيتها مع صغر سنها .

٥ـ أدب الصحابة رضوان الله عليهم مع أمهات المؤمنين حيث لا يذكرونهن إلا بهذا اللقب المحبب أم المؤمنين .

٦ـ كرم الضيافة من الخصال الحسنة التى أقرها الإسلام وزادها

وجوبا ، وشرعها على الناس فيما بينهم .

٧- المسارعة إلى تقديم الإحسان والطعام المتيسر إلى الضيف من محاسن الإسلام .

٨- بيت النبوة بيت مضياف يأوى إليه الغرباء من كل فج فيجدون الإيمان والعلم والأدب والطعام والشراب والبشر والسعة والتيسير.

٩- سؤال الكرام لضيوفهم إذا قدموا فى غيبتهم هل قدم لهم طعام أو أمر لهم بشىء ينتظرونه ؟

١٠- تواضع النبى ﷺ ومجالسته لضيوفه ورفعه الحجاب بينه معهم حيث يسألهم مباشرة لما فى ذلك من إظهار الاهتمام بهم وحرصه على إكرامهم ﷺ .

١١- البيت يعتمد على حسن رعاية المرأة فيه لذا ينبغى للكرام والأفاضل وأهل العلم أن لا يضعوا فى بيوتهم إلا من عرف منها الأدب والكرم لتكون بالمكان الذى يمكنها من النيابة عن الزوج إذا غاب ونزل بعده أضاياف أو حل بالحى ما يحتاج إلى حسن تدبير .

١٢- الأخذ من الدنيا ما يحتاج اليه فى المعاش وإكرام الناس والإحسان إلى الأهل والجيران وسد خلات الحياة لا ينقص من درجة الزهد الشرعى .

١٣- تنمية الغنم لأغراض نافعة ، ورعيها وحسن تدبير أحوالها من عمل السلف لما فيها من الخير والإسعاف فى النائبات .

١٤- سؤال الراعى عن الحيوان ونتاجه وأمره بما يصلح فيه ، من الأمور الشرعية المطلوبة .

١٥- المائة من الغنم تكفى لحاجيات البيت ومصالحه ، وما زاد على ذلك فيه ما يشغل البال ويخرج المنمى من درجة الاعتدال فى طلب المصالح .

١٦ـ اعتذار أهل الفضل لضيفهم عن بذلهم له لئلا يجد فى نفسه أنه جلب لهم خسارة باستضافتهم له وذلك من حسن الأدب النبوى .

١٧ـ إخبار العالم لمن يخاطبه عن سبب أمره ونهيه عن الشىء لئلا يستغربه أو ليعرف العلة فيه ويقبل العذر إذا كان مما يعتذر منه .

١٨ـ استشارة العالم فى الأمور الخاصة كما يقع بين الرجل وزوجه طلباً لفتياه أو رأيه ، وأن ذلك ليس من الغيبة ولا النميمة أو إفشاء سر الزوجيه المنهى عنه .

١٩ـ بذاءة اللسان تكثر فى النساء لعدم تحملهن وغلب الهوى والجهل عليهن .

٢٠ـ جواز الإشارة على الرجل بطلاق أهله إذا كان الجرم عظيماً حيث إن المرأة هنا وضعت الأذية والإساءة إلى الزوج مكان ما يجب عليها من حسن التبعل له ودفع ما يكره عنه وحماية ورعاية عرضه ووقته وماله وأولاده وأهله ، لذا فسر العلماء الفاحشة فى الآية الكريمة فى قوله تعالى : ﴿ إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴾ بسوء العشرة والإساءة باللسان، ولشناعة لك قال له النبى ﷺ :(طلقها إذاً) وهو الذى ينهى عن الطلاق لما يترتب عليه من المفاسد وما يفوته من مصالح .

٢١ ـ إخبار العالم بالأعذار المانعة من الإقدام على العمل بمشورته وفتياه لينظر فى وجه آخر يحل المشكلة بأخف الضررين .

٢٢ـ عار كبير وانحراف خطير أن تتنكر المرأة لزوجها مع طول الصحبة والذرية .

٢٣ـ المرأة رقيقة بطبعها عاطفية بحسها إذا وعظت بالله وخوفت من عذابه ورغبت فى ثوابه بكت وتابت إن كان فيها خير وإيمان أما إن كانت غليظة القلب قاسية فإنها لا تنفع فيها الموعظة لأن الله لا يريد بها خيرا ولم يجعل فى قلبها من الإيمان واللطف ما يجرها إلى رحمته

تعالى .

الحديث الثانى

معانى الغريب :

أيام التشريق : ثلاثة أيام بعد يوم النحر، وسميت بذلك لأمور منها : أن لحوم الهدى والأضاحى تشرق فيها أى تعرض للشمس لتكون قديدا ومن قولهم : أشرق ثبير كيما نغير ، أو لأن الهدى ، لا ينحر حتى تشرق الشمس .

أذود : أمنع وأدفع الناس من مزاحمته ﷺ وجاء من طريق آخر أنه ﷺ كان يرمى الجمار ويطوف : ولا طرد ولا منع ولا إليك إليك ، يعنى أنه لا يأمر بذلك ولا يفعل بإذنه .

تلقونه :

مأثرة: مآثر القوم مكارمهم ومفاخرهم التى تؤثر عنهم وتروى .

قد استدار : من الدوران ، والدهر يدور بالإنسان أحوالا ، وهذه الاستدارة حكمة إلهية وضعت الحساب الزمنى موضعه الصحيح بخلاف ما كان أهل الجاهلية يهدفون إليه من النسىء.

التحريش : الإغراء بالعداوة بين الناس والتحريض على الفتن .

أسعد به : فاز باليمن والبركة والمنفعة فى الدنيا والأخرى .

من فوائد الحديث :

١- قيادة المركوب وسياقته بالأفاضل وتخفيف الازدحام عليهم حتى يتمكنوا من إتقان أعمالهم وإفادة الناس .

٢- الركوب فى الحج ورمى الجمار على الدابة .

٣- سنية الخطبة فى ثانى أيام التشريق لتعليم الناس قبل يوم التعجل والانصراف .

٤- ربط العلم بالمجهول فى الحكم بالمعلوم وإظهار حرمة شعائر الله

وتعظيم حرماته .

٥- تنبيه الخطيب لسامعيه على أمر مهم يريد أن يأخذوه مأخذ الجد والحفظ .

٦- تأكيد العالم على النهى عن الظلم تأكيداً لفظياً لعظمة ارتكاب الظلم وانتهاك أهل الجاهلية لحدود الله تعالى فى ذلك .

٧- الأموال والأعراض والدماء كانت كالمهدرة فى شريعة الجاهلية وجاء الإسلام كسابقه من الشرائع ليؤكد على تحريمها ويزيد ذلك فى نفوس أتباعه لأنه دين خاتم .

٨- الزمان واستدارته حتى وافق ما خلقه الله عليه بعد أن بدلت الجاهلية قوانين العمل فيه ، وما حرمه الله وأحله فيه من أمور الغيب التى لا تعلم إلا بالوحى ، لذا بين النبى ﷺ ذلك وتلى عليه قرآنا محفوظا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

٩- تقاتل المسلمين فيما بينهم من صورالجاهلية الكافرة وسمى كفرا لأنه يناقض ما أنعم الله به عليهم من نعمة الإسلام والإيمان والأخوة فى الدين .

١٠- الشيطان عدو لبنى الإنسان يتربص به ويوسوس له فى العقيدة والعبادة والمعاملة حتى يظفر بشىء منه وينزغ بالعداوة ويغرى الصدور وقد حذرنا الله منه كثيرا .

١١- فيه انتقال الخطيب من موضوع عام يهم الجميع إلى موضوع خاص لوعظ فئة من الناس فى الأمانة التى تحملتها .

١٢- الإسلام دين عدل يحث كل فئات المجتمع على إعطاء ما عليها وأخذ مالها.

١٣- الرسول ﷺ أرحم خلق الله بالضعاف ، والمرأة كما صورها فى هذا الحديث سجينة فى بيت زوجها ، والشائع عند أهل الجاهلية

معاملتها معاملة قاسية فيقع عليها الضرب والإهانة ، وتسلب حقوقها ولا وزن لها فى بيتها وتورث كالمتاع إذا مات عنها زوجها ، ويعتدى على عرضها فأراد ﷺ أن يقلب هذه الموازين الجائرة بموازين ربانية عادلة تبين للمخاطبين ومن بعدهم أن المرأة وإن كانت لا تملك لنفسها شيئا فإنه تجب عليها حقوق شرعية وعلى أهل الإيمان تقوى الله تعالى فيها ومراقبته جل وعلا فى أدائها . ثم أرجع ﷺ كل حق لصاحبه .

١٤- لا يحل للزوجة أن تأذن فى بيت زوجها لمن يكره ولا تدخل عليه من يطأ فراشه ويأكل طعامه بدون إذنه .

١٥- فإن اتبعت المرأة الهوى والشيطان وترفعت عن زوجها وعصت ربها فيما لزوجها عليها ، كان لزوجها علاجها بالوعظ ، والهجر فى البيت ، والضرب الذى لا يكسر عظما ولا يفسد عضوا ولا يظهر أثره على البشرة.

١٦- فإن كانت المرأة صالحة مطيعة كانت لها النفقة والكسوة وحسن العشرة بالمعروف الذى لا تكلف فيه ولا تكليف فوق طاقة الزوج وما جرى به العرف الشرعى .

١٧- المرأة أمانة فى عنق زوجها والأمانة مسئول عنها لأنه أخذها واستحل فرجها بكلمة الله عز وجل .

١٨- الفروج محرمة إلا بعقد شرعى ، ومن استحلها بغير ذلك فهو كافر لأنه من المعلوم من الدين بالضرورة أن الزنا من الكبائر الموبقة فمن ارتكبه بدون استحلال وحد فى الدنيا وتاب كان كفارة له وإن تاب منه فى حياته توبة نصوحا بشروطها تاب الله عليه وأمره إلى الله ، ومن لم يتب فإنه لا يزداد من الله إلا بعدا ومذلة فى الدنيا والآخرة حيث إن الأمراض الفتاكة تعتصر حياته وتنتهك صحته ، والمقت من الله وعباد الله محدق به أنى توجه وما ينتظر أهل الكبائر فى قبورهم ومحشرهم مرصد له . فهل يعى أهل الحضارة الزائفة المنحلة ذلك ؟.

١٩- تعميم بعد تفصيل ، فالحث على أداء الأمانة فى نهاية ما تقدم من الأمر بالأمور العامة والخاصة التى اشتملت عليها هذه الخطبة المباركة يدل على أن للخطيب أن يعمم ويخصص ويؤكد وينوع الأسلوب ليكون ذلك أبلغ فى نفوس السامعين .

٢٠- جواز رفع اليدين حال الخطب لغرض الإشهاد على أمر وإشهاره .

٢١- إشهاد النبى ﷺ لربه على أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة يفهم منه تأكيده للأمر عليهم وتعظيمه فى نفوسهم ليقع منهم الموقع الواجب كما يفهم منه وداع ضمنى لأن مهمة الرسول ﷺ البلاغ فإذا كان أداءه وأشهد عليه العباد ورب الأرض والسماء ، فإن هذا هو الذى كلف به وطلب منه فمهمته فى الأرض انتهت فليتوقع اللحوق بالرفيق الأعلى وهذا ماكان عليه نبينا ﷺ .

٢٢- حمل النبى ﷺ أمته فى هذا الحديث الشامل مهمة التبليغ من بعده لأنه لا نبى بعده ، والناس يحتاجون إلى هذا الدين أكثر من حاجتهم للطعام والشراب والهواء إذ لا حياة كريمة إلا به ولا نجاة فى الآخرة إلا باتباعه ، من هنا وجب علينا أن نساهم فى تبليغ هذا الدين لمن بعدنا ومن هم فى عصرنا كما فعل الأوائل بنا ومن عاصرهم حتى بلغ الدين طلوع الشمس وغروبها ، وهل كان ذلك أوجب عليهم منا ؟ أم أبناؤهم أحوج إليه من أبنائنا أم جيلهم أحوج إليه من جيلنا ؟

٢٣- إننا نشهد أن محمدا ﷺ بلغ عن ربه البلاغ المبين ، وأن صحابته رضوان الله عليهم بذلوا أرواحهم وأموالهم فى سبيل هذا الدين حتى وصل فى عهدهم إلى المغرب والصين . فلماذا أكملوا واجبهم ونمنا عن واجبنا يا مسلمين ؟.

٢٤- رخص فى ضرب المرأة إذا عصت الله وأطاعت الشيطان والهوى ونشزت ونهى عن ضربها فى غير ذلك .

٢٥ـ ولما علم النبى ﷺ أن العامة من الأزواج يظلمون النساء ويضربونهن نهاهم عن ذلك ، ولو لم يسأل عنه ولم يتقدم له ذكر لأن المجال مجال نصح وبيان أحكام وتعليم أدب وسلوك حسن .

٢٦ـ لا يؤخذ من تشبيه النبى ﷺ فى منع ضرب الزوجة كضرب الأمة أن ذلك جائز على الإطلاق ، لأحاديث كثيرة فى النهى عنه ولكنه لما شاع ارتكابه بين أجلاف العرب صار كمضرب مثل فى الانتهاك وعدم المبالاة .

٢٧ـ قد أخذ هذا السائل قسطاً من العلم قبل هذا السؤال فعلم النبى ﷺ أنه يريد تفصيل الأحكام بعد أن علم حكم الوضوء عموماً فأمره بإسباغ الوضوء أى تعميم الماء على الأعضاء المغسولة حتى يتيقن المتوضىء أن الماء أصابها جميعاً ولم يترك لمعة أو قساوة فى الجلد إلا جاء عليها ، وأمره بالعناية بالأصابع لأنها محل مظنة بقاء الطعام بينها مع تقاربها فأمره بتخليلها بإدخال أصابع اليمنى من بين أصابع اليسرى من فوق ظهرها وكذا العكس . وحثه على المبالغة فى الاستنشاق بإدخال الماء فى الأنف حيث إنها مظنة ستر الغبار والأذى الذى ينزل إليها من الرأس من نخامة وغير ذلك ثم إن انسدادها بتراكم هذه الأوساخ يسبب أمراضاً وصداعا ، والإسلام دين الطهارة والنظافة ، ولا يلزم من هذا أن الناس لابد أن يعلموا علل الأوامر والنواهى ولكن معرفة بعضها تزيد المؤمن حرصا على أدائها مع أصل إيمانه بوجوب إتقان أحكامها .

٢٨ـ الصائم منهى عن ارتكاب ما يفسد صومه من إدخال طعام أو شراب أو تعرض لرائحة كثيفة قد يتسرب منها شىء إلى جوفه ، فأمره بالاحتياط لصومه وعدم المبالغة فى إدخال الماء فى أنفه حال الصيام صيانة لحرمة الصوم .

٢٩ـ كان الصحابة رضوان الله عليهم يحبون وفود مثل هذا الرجل العاقل على النبى ﷺ ليستفيدوا من أسئلته وتنوعها حيث إنهم يهابون

النبى ﷺ ويخشون إملاله ويخافون الإكثار عليه .

٣٠- ومما يوعظ به من أخبار وفادة ابن المنتفق - من بنى عبد قيس - هذا الحديث : (عن المغيرة بن عبد الله اليشكرى عن أبيه قال انطلقت إلى الكوفة لأجلب بغالا قال : فأتيت السوق ولم تقم قال قلت لصاحب لى لو دخلنا المسجد وموضعه يومئذ فى أصحاب التمر فإذا فيه رجل من قيس يقال له ابن المنتفق وهو يقول : وصف لى رسول الله ﷺ رجل فطلبته بمنى فقيل لى هوبعرفات فانتهيت إليه فزاحمت عليه فقيل لى إليك عن طريق رسول الله ﷺ فقال : دعو الرجل أرب ماله. قال فزاحمت عليه حتى خلصت إليه قال فأخذت بخطام راحلة رسول الله ﷺ أو قال : زمامها هكذا حدث محمد بن جحادة قال : قلت ثنتان أسألك عنهما : ما ينجينى من النار وما يدخلنى الجنة ، قال : فنظر رسول الله ﷺ إلى السماء ثم نكس رأسه ثم أقبل إلى بوجهه قال: لئن كنت أوجزت فى المسألة لقد أعظمت وأطولت فاعقل عنى إذاً ، اعبد الله لا تشرك به شيئا ، وأقم الصلاة المكتوبة ، وأد الزكاة المفروضة ، وصم رمضان وما تحب أن يفعله بك الناس فافعل بهم ، وما تكره أن يأتى إليك الناس فذر الناس منه ، ثم قال : خل سبيل الراحلة) [1] .

الحديث الثالث

معانى الغريب :

أبنوا أهلى : ذكروهم بالإفك ونشروا قولا قبيحا حسدا ونفاقا عن الطاهرة الصديقة .

وأيم الله : قسم وحلف بالله تعالى .

تعس : ألزمه الله الهلاك والبؤس .

فانتهرتها : أى زجرتها بقول فيه غلظة وشدة حتى تكف .

(١) الفتح الربانى للساعاتى - مسند الإمام أحمد ١/٧٢ ، ٧٣ .

فبقرت لى الحديث : فجرت الموضوع بتوسع وتفصيل صريح .

ووعكت : اشتد عليها المرض ومغثتها الحمى .

استعبرت : سالت الدموع من عينيها من الاعتبار الذى هو تحلب الدمع بلا صوت بكاء.

وأشربته قلوبكم : أى خالطها ومازجها بحيث لا يمكن نزع تصديقكم له بكلامى .

يستوشيه : يلفقه ويجمعه وينشره بين المنافقين .

تولى كبره : قام بالدور الأعظم والأكبر من قالة الإفك .

من فوائد الحديث :

١- هذا حديث طويل ، وقصته واقعية عجيبة ، ساقته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وجمعت فيه أطراف القصة وحبكته حبكا يدل على علمها وقوة حفظها وذكائها .

٢- ومن أوسع شروحه ما جاء فى فتح البارى بعد سياق لفظ هذا الحديث الجليل فى كتاب التفسير ٨/٤٥٥ ـ ٤٨٢ حيث شرح الحافظ ابن حجر رحمه الله غريبه وجمع طرقه وزياداته ، وبين أحكامه واستدرك على من أخل بشىء من ذلك ، وختم ذلك بسرد مجموعة كبيرة من الفوائد المستنبطة من هذا الحديث الشريف فنحيل من يريد الزيادة على ما يأتى من أمهات تلك المسائل إلى هذا المرجع النافع .

٣- كون عائشة أم المؤمنين من المؤمنات الغافلات عن القيل والقال والظنون والريب . حيث دار حديث الإفك بين المنافقين فترة من الزمن وهى لم يجرؤ أحد على إخبارها .

٤- محاولة الأسافل من الناس الإساءة إلى الأكابر دائماً ولو فى مواطن لا يستمع لهم أحد فيها ولا يصدقون حتى أنفسهم فى اختلاقها .

٥- كونه ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله ، وأنه بشر يتأثر بما

يقال عنه ويكاد له به مع قوة الثبات وحسن التصرف والاستشارة وتتبع الأخبار التى لها صلة بالموضوع احتياطا .

٦- شهادته النبى ﷺ بطهارة أم المؤمنين حسب علمه فيها قبل نزول الوحى عليه ببراءتها رضي الله عنها.

٧- شهادته ﷺ بالصلاح لصفوان بن المعطل السلمى .

٨- وشهادة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها له بالشهادة فى سبيل الله تعالى بعد ذلك بزمن الأمر الذى يدل عندها على أنه من عباد الله الصالحين الذين أراد بهم الخير فى الدنيا والآخرة .

٩- بقاء الأنفة فى قوم صالحين مما يدل على أن النفوس لا يسطر عليها دائماً إلا بتوفيق من الله تعالى .

١٠- الخصام فى حضرة أهل العلم مذموم وعاقبته وخيمة ..

١١- خروج النساء لقضاء حاجة الإنسان بدون إذن خاص من الأزواج فى ذلك .

١٢- قوة إيمان الصحابيات حيث إن المرأة تسب ابنها وتحاور زوجها دفاعا عن الحق والعرض الطاهر .

١٣- ثبات آل أبى بكر فى المحن رغم قوتها عليهم وشدة وقعها على قلوبهم .

١٤- شهادة الخادم لعائشة رضي الله عنها أم المؤمنين بالطهارة واستعظامها وتسبيحها تعجبا من الإفك عندما فهمت المراد من سؤالها عن علمها فيها .

١٥- تسبيح صفوان رضي الله عنه تعجبا من خبث أهل الإفك وتعميمه القول فى التعفف .

١٦- شفقة الوالدين ورحمتهما بالأبناء وخصوصا فى حال تعرض أهل المكروالخيانة لهم بما يمس الشرف والعرض .

١٧- وعظ الزوج زوجته وطلب العالم من مخاطبة أن يلزم التوبة ويعترف لله تعالى بظلمه لأن الله تعالى يتوب على من تاب .

١٨- لا يجوز لمن لم يقترف ذنباً أن يقر على نفسه بالسوء إرضاء لأحد من الناس أو دفعاً لمعرة قد تحصل بين الناس .

١٩- حرص المرأة المسلمة على صيانة عرضها وخشيتها من إثارة ما يتعلق بالعلاقات العائلية أمام الآخرين .

٢٠- حب أم المؤمنين عائشة على النساء المؤمنات وزيارتها لها فى المهمات .

٢١- النبى ﷺ مبلغ عن الله تعالى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى لذا لا يترك الدعوة والإرشاد والوعظ لحضور شخص غريب على أهل البيت .

٢٢- غلبة الحياء على أم المؤمنين عائشة ﵂ لذا فهى كأنها نسيت فى مغبة واقعة الإفك أنه رسول الله يبلغ عن الله ، وتعلقه بالله ، والناس عنده خارج هذا الإطار عبيد من خلق الله يأمرهم بأمر الله ويحثهم على الرجوع لله ولا ينظر إليهم مع أنه أشد الناس حياء إذا جاء أمر الله ، لذا لم يبال بوجود أبوى عائشة ﵃ جميعاً ولا بوجود أمرأة أجنبية تستمع إلى كلامه فى هذا الموضوع البالغ الحساسية للأطهار .

٢٣- ورع الصديق وزوجه أم عائشة أم رومان ﵃ جميعاً إذ لم يتكلم أحد منهم فى هذا الموضوع الذى يهمهم ويقلقهم خوض أهل الإفك فيه .

٢٤- رجاحة عقل أم المؤمنين عائشة ﵂ ورصانة كلامها الدال على علمها وثباتهاعلى الحق واعتمادها على الله تعالى على كل حال وفى هذه المحنة بالذات .

٢٥- إذا اشتد الكرب وعلم الله من عبده صدق التوجه إليه

والاعتماد عليه أنزل له فرجاً عاجلا .

الأنبياء يبتلون ويصبرون صبراً جميلاً ويجعل الله تعالى لهم العاقبة الحسنة ، لذا فهم أسوتنا وقدوتنا وما ينزل بهم عبرة وعظة لنا .

٢٧ـ لا يخفى على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ما يحصل للنبى ﷺ من شدة نزول الوحى عليه ، وإذا فصم عنه عرفت ذلك فى وجهه الشريف.

٢٨ـ البشارة وإدخال السرور على المسلم من أفضل الأعمال ، والتدرج فى تفريج الكرب على المكروب لئلا يقع له فجأة فرح .

٢٩ـ الصالحون يغضبون والله يعصمهم من الوقوع فى محذور شرعى ويتظلمون على أهليهم ومن فى أيديهم تغيير المنكر ولا عتب عليهم فى ذلك .

٣٠ـ لا حرج بالتشهير بمن علم منه النفاق وإشاعة الفاحشة والثناء على أهل الورع .

٣١ـ أولياء الله يعودون إلى المعروف حبا لثواب الله تعالى مع إساءة من أسدوا إليه المعروف فمن عفى وأصلح فأجره على الله .

٣٢ـ الإنفاق فى سبيل الله تعالى من محاسن هذا الدين ومظاهر التكافل الاجتماعى فيه ، وظلت الأمة الإسلامية فى عافية وإخاء ووئام وحب متبادل بين الأرحام والفقراء والمساكين حتى منع قوم الزكاة وضيع آخرون المعروف والصلة الواجبة فتغير الناس ودب فيهم الشح والتقاطع فغير الله بهم ، فتنافرت القلوب وانتشر داء الأمم قبلنا فينا وهو الحسد والفرقة التى تحلق الدين وإن عدنا إلى منهج ديننا والصالحون من قبلنا رحمنا الله تعالى .

وعظ الرجل نساء غيره

١- عن أنس قال : قال عمر رضي الله عنه :وافقت ربى فى ثلاث ووافقنى ربى فى ثلاث . قلت يا رسول الله : لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله: ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ قلت يارسول الله إنه يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب. وبلغنى معاتبة النبى ﷺ بعض نسائه قال: فاستقر بيت أمهات المؤمنين فدخلت عليهن فجعلت استقريهن واحدة واحدة والله لئن انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله خيرا منكن فأتيت على بعض نسائه قالت : يا عمر ما فى رسول الله ﷺما يعظ نساءه حتى تكون أنت تعظهن فأنزل الله عز وجل : ﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن ﴾[1] .

٢- عن أنس قال : قال عمر : وافقت الله فى ثلاث - أو وافقنى ربى فى ثلاث - قلت : يارسول الله ، لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى . وقلت : يارسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب . قال : وبلغنى معاتبة النبى ﷺ بعض نسائه، فدخلت عليهن قلت : إن انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله خيراً منكن ، حتى أتيت إحدى نسائه قالت : يا عمر ، أما فى رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت ؟ فأنزل الله ﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات ﴾[2] .

٣- عن أنس قال : قال عمر وافقت ربى عز وجل فى ثلاث أو وافقنى ربى فى ثلاث قال : قلت : يا رسول الله لو اتخذت المقام مصلى قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ وقلت: لو حجبت عن أمهات المؤمنين فإنه يدخل عليك البر والفاجر فأنزلت آية الحجاب : قال : وبلغنى عن أمهات المؤمنين شىء فاستقريتهن أقول لهن : لتكفن عن رسول الله ﷺ أو ليبدلنه الله بكن أزواجاً خيراً منكن

(١) مسند الإمام أحمد ١/٣٦-٣٧ . (٢) الآية : البخارى كتاب التفسير ١٦٨/٨ .

مسلمات حتى أتيت على إحدى أمهات المؤمنين فقالت يا عمر أما فى رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهن فكففت. فأنزل الله عز وجل : ﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات ﴾ (١).

معانى الغريب :

البر : الطائع المتبع لأوامر الله تعالى .

الفاجر الفاسق المائل عن الحق والطاعة والدين .

معاتبة : موجد والعتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة ومراجعة الموجدة لإبداء العذر وقبوله .

فاستقريت : أى تتبعت والاستقراء الإحصاء والتتبع للوصول إلى حكم على شىء.

فكففت : أى توقفت عن وعظ بقية نساء النبى ﷺ وامتنعت لقول أم المؤمنين ذلك .

من فوائد هذه الأحاديث :

١- عمر بن الخطاب رضي الله عنه متطلع دائماً إلى أسرار الشريعة وما يحصل المصالح ويدفع المفاسد أو يقللها، لذا كان الحق على لسانه وفى قلبه ودائماً يفرق الله تعالى به بين الحق والباطل فهو رضي الله عنه من المحدثين الذين تتكلم الملائكة على ألسنتهم .

٢- يقع فى قلب الرجل الصالح المحب للخير والإصلاح ما يوافق شرع الله تعالى ولا يجب العمل بخواطر الناس ، ولكن ما وافق الحق والوحى عمل بالوحى فيه وكان علامة من الله تعالى على حب عبده ذلك ، إذ يقذف فى قلبه علما نافعاً بلا أسباب ظاهرة والعلم نور يقذفه الله فى قلب عبده .

---

(١) الآية : مسند الإمام أحمد ١/٢٤ .

٣- أدب الصحابة رضوان الله عليهم فى جانب الله تعالى ونبيه ﷺ وتقديمهم لما ينسب إلى الله تعالى على ماعرفهم به جل وعلا .

٤- أسباب النزول من العلوم النافعة المساعدة على فهم نصوص الوحى وما سيقت إليه .

٥- غيرة الرجل الصالح على نسائه ونساء الأفاضل وأهل العلم والصلاح والسعى فى صيانتهن وأخذ الحيطة بحجبهن حيث إن الاختلاط بالأجانب من الرجال ضرره على الدين والمروءة عظيم وسواء فى ذلك بعد هذه الآية علم صلاح الأجنبى أم فساده وسواء أيضاً فى ذلك نساء المؤمنين الحرائر إلا مادعت إليه حاجة شرعية تقدر بقدرها ولا يزاد عليها .

٦- صحابة رسول الله ﷺ يحبونه أكثر من أنفسهم وذويهم لذا لا يرضون من أحد أن يؤذيه أو يسبب له أى حرج أو يأخذ من وقته لأمر من أمور الدنيا التى هو ﷺ لا يحفل بها إلا بقدر ما يشرع لأمته ﷺ وهذا عمر الفاروق رضي الله عنه يتتبع نساء النبى ﷺ يعظهن ويهددهن تهديداً ضمنياً من أجل ما بلغه من معاتبة بعضهن على رسول الله ﷺ فى النفقة والرغبة فى التوسعة ويوافقه الوحى فيما وعظهن وهددهن به .

٧- عدم ذكر أسماء النساء اللآئى عتبن على رسول الله ﷺ والستر عليهن وعلى كل مذنب غير مجاهر من الأدب الرفيع الذى سنه لنا رسول الله ﷺ حيث إن الغرض المطلوب يمكن أن يحصل ويعم نفعه الجميع بدون التصريح بأسماء أشخاص بأعيانهم إما سترا عليهم أو رفعاً لحرج قد يحصل لذويهم وغير ذلك من الفوائد.

٨- جرأة نساء المؤمنين ورفعة مكانة رسول الله ﷺ فى نفوسهن حيث اعترضت إحداهن على عمر رضي الله عنه وهو المهاب المطاع وتذرعت بأن مكانة النبى ﷺ تمكنه من وعظ الجميع وهو مصدر العلم والوعظ

للجميع ولنسائه رضي الله عنهن الحظ الأوفر من ذلك .

٩ـ إذا بلغ العالم دعوته وأخلص فى نصحه وكف عن أسباب الجدال وتجنب المفاضلة بين الأفاضل كان قد أتى ما عليه وفاز بالأجر والثواب من الرب التواب .

١٠ـ كل واحدة من هذه الأمور التى وافق عمر رضي الله عنه فيها الوحى دروس وعبر وأحكام ينبغى للدارس تفهمها والرجوع إليها فى مظانها من كتب أهل العلم وخصوصاً كتب التفسير وأسباب النزول وشروح الحديث الشريف .

الوعظ للرجال فى عشرة النساء

آيات من كتاب الله تعالى تعظ المؤمنين فى نسائهم المؤمنات .

١ـ قال الله تعالى :

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) ﴾[(١)] .

٢ـ ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) ﴾[(٢)] .

٣ـ ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧) ﴾[(٣)] .

٤ـ ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٢٣٢) ﴾[(٤)] .

٥ـ ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ

---

(١) سورة الطلاق الآية (٢) .
(٢) سورة المجادلة الآية (٣) .
(٣) سورة النور الآية (١٧) .
(٤) سورة البقرة الآية (٢٣٢) .

سَرِّحُوهُـــنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) ﴾ [١] .

٦- ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤) ﴾ [٢] .

الأحاديث الشريفة :

١- عن سليمان بن عمرو بن الأحوص ، حدثنى أبى أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال : استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان ليس تملكون منهم شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، إن لكم من نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقا فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن [٣] .

٢- عن ابن عباس قال : ﴿ لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ وذلك أن الرجل كان يرث امرأة ذى قرابته ، فيعضلها حتى تموت أو ترد إليه صداقها ، فأحكم الله عن ذلك ونهى عن ذلك ، وعن عبيد مولى عمر

(١) سورة البقرة الآية ٢٣١) .　　(٢) سورة النساء : الآية (٣٤) .

(٣) سنن ابن ماجه (١٨٧٣) ١/٥٦٨ - ٥٦٩ .

عن الضحاك ، بمعناه ، قال : فوعظ الله ذلك [1] .

٣ـ عن عبد الله بن زمعة قال قال رسول الله ﷺ « إذا انبعث أشقاها » انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهط مثل ابن زمعة ثم وعظهم في الضحك من الضرطة فقال: إلى ما يضحك أحدكم مما يفعل؟ قال : ثم قال : إلى ما يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم لعله أن يضاجعها من آخر يومه [2] .

٤ـ عن ثور بن زيد الديلى ، أن الرجل كان يطلق امرأته ثم يراجعها ولا حاجة له بها . ولا يريد إمساكها . كيما يطول بذلك عليها العدة ليضارها . فأنزل الله تبارك وتعالى :

﴿ ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ﴾ يعظهم الله بذلك [3] .

٥ـ وعن عبد الله بن زمعة قال : خطب النبي ﷺ ثم ذكر النساء فوعظهم فيهن ثم قال : « إلام يجلد أحدكم امرأته جلد الأمة ولعله يضاجعها من آخر يومه » [4] .

٦ـ عن عبد الله بن زمعة قال : خطب رسول الله ﷺ الناس يوماً ووعظهم في النساء فقال : « ما بال الرجل يجلد امرأته جلد العبد ولعله يضاجعها في آخر يومه » [5] .

٧ـ عن عبد الله بن زمعة وعظهم في النساء وقال علام يضرب أحدكم امرأته ضرب العبد ثم يضاجعها من آخر الليل [6] .

٨ـ عن عبد الله بن زمعة قال سمعت النبى ﷺ يذكر النساء فوعظ

---

(١) سنن أبى داود ، كتاب النكاح ، باب قوله تعالى : ﴿ لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ النساء الآية (١٩) ٢/٥٧٢ ـ ٥٧٣ .

(٢) مسند الإمام أحمد ٤/١٧ .

(٣) موطأ الإمام مالك بن أنس كتاب الطلاق (١٢٤٨) .

(٤) سنن ابن ماجه باب ضرب النساء ، ١/٦١١ ـ ٦١٢ .

(٥) سنن الدارمى كتاب النكاح ٢/١٤٧ .

(٦) مسند الإمام أحمد ٤/١٧ .

فيهن وقال علام يضرب أحدكم ولعله أن يضاجعها من آخر النهار أو آخر الليل [1] .

٩- عن عبد الله بن زمعه قال : خطب رسول الله ﷺ فذكر الناقة وذكر الذى عقرها فقال : ﴿ إذ انبعث أشقاها ﴾ انبعث لها رجل عارم عزيز منيع فى رهط مثل ابن زمعة ثم ذكر النساء فوعظهم فيهن فقال : علام يجلد أحدكم امرأته جلدا العبد ولعله يضاجعها من آخر يومه ثم وعظهم فى ضحكهم من الضرطة فقال : « علام يضحك أحدكم على ما يفعل » ؟ [2] .

الآيـــة الأولـــى

معانى الكلمات :

فإذا بلغن أجلهن: أى قارين انقضاء العدة .

فأمسكوهن بمعروف : من غير قصد المضارة وعضل المرأة عن الزواج من غيره إذا انتهت عدتها منه .

أو فارقوهن بمعروف : بدون مراجعة حتى تملك نفسها بانقضاء عدتها .

وأشهدوا ذوى عدل منكم : عند الطلاق وعند الرجعة .

وأقيموا الشهادة لله : أى تورعاً وتقرباً إلى الله تعالى فى الإتيان بها على وجهها كما أمر تعالى .

ذالكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر : إشارة إلى إقامة الشهادة حيث إن المؤمن بيوم الحساب والجزاء يرضى بهذه الأحكام وينتفع بهذه المواعظ .

ومن يتق الله يجعل له مخرجا : من كل شىء ضاق على الناس

(١، ٢) مسند الإمام أحمد ١٧/٤ .

وينجيه الله من كل كرب فى الدنيا والآخرة .

الآيـة الثانيـة

معانى الكلمات :

وإذا طلقتم النساء:من الطلاق ما هو سنة ومنه ما هو بدعة وتتناوله الأحكام الخمسة وهو من الإطلاق بمعنى حل عقدة النكاح الصحيح .

فلا تعضلوهن: لا تضيقوا عليهن فتمنعونهن من الرجوع لأزواجهن بنكاح جديد لأن منعهن مضارة بهن وعصبية وحمية جاهلية لا تحمد عقباها .

ذلكم أزكى لكم وأطهر : أفضل وخير عند الله تعالى من فرقتهن أزواجهن لما قد ينجم عنها من المفاسد .

والله يعلم وأنتم لا تعلمون : فيه تحذير وتطمين وتخويف وترغيب فالمسلم يطيع ويتبع رغبة فيما عند الله تعالى وثقة بوعده الحسن وعلمه المحيط .

الآيـة الثالثـة

معانى الكلمات :

أو سرحوهن بمعروف : أى خلوهن يقضين تمام عدتهن وينقضى بقية أجلهن فيها مع إعطائهن حقوقهن كاملة من صداق ونفقة ومتعة . أى لا تظلموهن بمراجعتهن فى عددهن مضارة لهن .

ولا تتخذوا آيات الله هزوا: لما بين الله تعالى أحكام الطلاق والرجعة اعتبر مخالفها متلاعباً مستهزئاً بآيات الله وهذا ترهيب عظيم يفزع المتقين .

واذكروا نعمت الله عليكم : بالإسلام وسائر نعم الله الظاهرة والباطنة التى لا تحصى .

ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه : الظلم درجات وظلم المرأة الضعيفة بمضارتها وعضلها شنيع ، ومرتكبه تعدى حدود الله تعالى وظلم نفسه بما جلب لها من الإثم .

وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به : السنة من وحي الله تعالى وحكمته التى أعطاها لنبيه صلى الله عليه وسلم ليبين بها لأمته الكتاب فكل من الكتاب والسنة تنزيل من الله يعظ بهما عباده .

الآيـــة الرابعـــة

معانى الكلمات :

والذين يظاهرون من نسائهم : أصل الظهار تشبيه ظهر بظهر ظهر حلال بظهر حرام ، وكان شائعا فى الجاهلية فجعل الإسلام فيه الكفارة .

ثم يعودون لما قالوا : أى لإرادة إمساكها وجماعها .

فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا : فعليهم تحرير رقبة مسلمة قبل أن يحل لهم ذلك منها .

ذالكم توعظون به : أى تؤمرون به .

والله بما تعملون خبير : فاحذروا مخالفة أمره ولا تظاهروا فمن ظاهر فعليه باتباع هذه الأوامر .

الآيـــة الخامسة

معانى الكلمات :

فيعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا : تخويف من الله تعالى لعباده المؤمنين من قذف المحصنات واتباع الهوى وإطلاق الألسنة فى الخوض فى الإفك .

إن كنتم مؤمنين : وربط امتثال هذا الوعظ بالإيمان الذى يحجز

صاحبه عن ارتكاب ما نهى الله عنه ويعصمه بالطاعة عن المخالفة .

الآيـة السـادسة

معانى الكلمات :

الرجال قوامون على النساء : الرجال أهل قيام على نسائهم ، فى تأديبهن ، والأخذ على أيديهن فيما يجب عليهن لله ولأنفسهن ولما يبذله الرجل للمرأة فى المهر والصداق والنفقة .

فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله : حيث إنهن يعملن الخير ويلتزمن الاستقامة ويطعن أزواجهن فى المعروف ويراقبن الله فى رعايتهن وما أقمن عليه .

والتى تخافون نشوزهن : أى تعلمون استعلاءهن على أزواجهن وارتفاعهن عن فرشهم عصيانا واتباعا للهوى والشيطان .

فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن : ذكروهن وخوفوهن من معصية الله تعالى وما فرض عليها من طاعة الزوج وتمكينه وجلب الراحة له .

فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا : أى لا تطلبوا ولا تلمسوا لأذيتهن الأسباب والأعذار .

إن الله كان علياً كبيرا : فهو أقوى منكم وأعلى منكم وأقدر عليكم منكم على نسائكم فاتقوه واجتنبوا الظلم لأزواجكم المطيعات ولا تطالبوهن بما ليس فى مقدورهن .

من توجيهات الآيات الكريمات :

١- من حكمة الله تعالى أن خلق الزوجين الذكر والأنثى ، وأنزل الرحمة والمودة بين الأزواج وجعل ماركب من شهوة ورغبة فى قضاء الوطر والمتعة وتحصيل النسل والتعاون على المعاش ومشاق الحياة ـ باعثا على الترابط وطلب النكاح الذى هو أهم أسباب التقارب الأسرى والتضامن الخاص والعام ، لذا فإن الله جل بحكمته لم يترك الإنسان سدى ولم يطلق له العنان كالحيوانات السائمة ، بل اقتضت حكمته تعالى بعد أن ركب فيه عقلا يميز به الخير من الشر وفطره على الفطرة السليمة مع الشهوات الأخرى التى يحتاج إلى إشباعها ويستجيب لها لقوة غريزتها ـ أن يخاطبه بما يكون ميزاناً له ومنهجا راشدا يتبعه حتى تحصل له الحياة السعيدة فى الدنيا بما يتوفر عليه من الاستقامة على المنهج الربانى ويلبى مع ذلك رغباته التى جبل عليها ولا يطلب منه كبتها أو حرمان نفسه من التمتع بها لأن ذلك ليس فى مقدوره وليس لله تعالى حاجة فى تعذيبه أو انحرافه عن منهج ربه .

٢- وقد جاءت فى الكتاب والسنة نصوص كثيرة تعالج أحكام النظام الأسرى وتؤكد على أهمية العلاقات الزوجية وتحدد لكل من الرجل والمرأة مسئوليات يجب المحافظة عليها وآداب ينبغى له رعايتها لأن المصلحة لا تتحقق إلا بذلك والفوائد المرجوة لا تحصل إلا بتوفر الإلتزام بالأحكام والآداب الربانية إذ الإنسان قاصر عن تحصيل مصالحه بعقله المجرد وأفكاره الأرضية لذا عليه أن يتبع تعاليم الحكيم العليم .

٣- وأن هذه الأحكام وتلك الآداب الواجب تطبيقها تبدأ مع الإنسان من حال ولادته إلى وفاته والذى يتعين التنبيه عليه منها هنا هو ماترشد إليه هذه الآيات الكريمات التى نصت على أن للرجل القوامة على زوجه وأهل بيته إذ لابد من رأس يرجع إليه ويقوم بمسئولية الرياعية

وجلب المنافع المعنوية والمادية ودفع المضار حسب جهده وما قدر له ويغلب فى الرجال الاستعداد الجبلى على تحمل هذه الأعباء والقيام بها بينما الغالب على النساء حسب الفطرة والجبلية الإحساس بالضعف والعجز عن مكابدة الحياة ومفاجآتها وما يعترى من نوائب الدهر ، لذا فإننا نجد المرأة تشعر دائماً بأنها فى حاجة إلى عطف الرجل وحنانه وجلبه ودفعه . فإن حاولت المرأة والحالة هذه الخروج عن أنوثتها وما خلقت عليه من لطافة بدنية وعاطفية فإنها تكون تكلفت ما ليس فى مقدورها وسيظهر لها عجزها ومقاومتها للقدر الذى سرعان ما يسقط مغالبه .

٤ـ ولما جعلت القوامة للرجل وفضل بذلك على المرأة وأحس بذلك مع ما جبل عليه من قوة بدنية ونفسيه وعظ بالله تعالى وخوف من العظيم الكبير المتعالى لئلا يصيبه الطغيان وينسى ضعفه فى جانب خالق الأرض والسماوات فيتعدى حدوده ويظلم ما ائتمن عليه وترك فى كنفه ورعايته وأمر بالإحسان إليه والمبالغة فى العطف والحنان عليه لتكون خلافته ناجحة ورعايته كاملة وموفقة تعطى الثمار المرجوة منها والتى هى صلاح الدنيا والفوز برضوان الله تعالى وجنته فى الآخرة .

٥ـ وإن الرجل المسلم مرغب فى النكاح طلباً لثواب الله تعالى وصيانة لنفسه وإعفاف غيره وتحصيل السكينة وإشباع الغريزة من الحلال وهو بذلك يجنى فوائد كثيرة علاوة على الأنس والمحبة والمودة المتبادلة . منها : التعاون والتكافل والتكاثر الذى يورث قوة الجانب والهيبة فى نفوس الأعداء من الكفار والمنافقين وأهل الحسد والحقد من المسلمين ، وإن عليه فى مقابل هذه الأرباح أن يدخل فى هذا الرباط والعقد الذى عبر الله تعالى عنه بالميثاق الغليظ ـ بنية صالحة وروح طاهرة زاكية حتى يكون معانا من الله تعالى موفقا فى حياته الزوجية

وعلاقاته الأسرية الاجتماعية وأن يعلم أنه استحل فرج امرأة بكلمة الله تعالى لا يملك منها إلا ذاك ما دامت مطيعة لربها راعية لبيتها موافقة لزوجها .

٦- يجب على الرجل أن يفتتح قوامته على زوجه أن يدفع لها صداقها ومهرها لأن ذلك فى أول حقوقها عليه ثم النفقة والكسوة والمسكن وحسن العشرة وتوثيق عرى المودة مع أهلها وأصهاره منها إذ بذلك يكمل له ودها ويقودها الإخلاص له فى التفانى فى جلب الراحة له وبذلك تكمل لهما السعادة .

الأحاديث الشريفة الناهية عن ظلم المرأة وضربها والوعظ فى ذلك

معانى الغريب :

استوصوا : طلب فيه حث على مزيد العناية والرعاية للنساء والوصية عهد خاص وحض خالص .

عوان : بمعنى حبيسات البيوت فهن مساعدات ومعاونات لأزواجهن فى أعباء الحياة .

فاحشة مبينة : الفحش مجاوزة الحد فى القول والفعل أى باللسان كشتمه وأذية أهله وبالعمل كارتكاب المنهيات الأخرى .

فاهجروهن : أى لاتصلوهن بالكلام ولا بالجماع وقاطعوهن بدون مودة .

المضاجع : كناية عن الهجر فى الفراش بالجماع وكل ما تفهم منه المودة والمحبة وحسن العشرة .

مبرح : مجهد ومؤثر بحيث يؤثر فى البشرة أو يشوه أو يكسر عظما أو سنا فكل ذلك منهى عنه .

من فوائد هذه الأحاديث :

١- لقد انتشر بين الصحابة رضوان الله عليهم أن رسول الله ﷺ يريد الحج فنفر الناس من أنحاء الجزيرة رغبة فى الحج معه والإتيان بهذا الركن العظيم فى صحبته فكثر الناس حتى كانوا عند الميقات مد البصر من جميع الجهات كل يريد أن يتعلم ويأخذ بالأصوب الأصح فى عباداته وآدابه وأحكام دينه وكل روى ما شاهد من ذلك وما نقل له حتى لو أراد شخص أن يجمع من حجة النبى ﷺ مجلدات لفعل ، وقد قام أئمة كبار بشرح أحاديثها ووقائعها ، ومن أهم أحاديثها الجامعة النافعة

ماجاء فى خطب النبى ﷺ الذى خرجها الأئمة مطولة ومختصرة ، ومن ذلك هذا الحديث الذى هو جزء من خطبته ﷺ يوصى فيه الرجال بالنساء خيراً ويوضح لكلٍ حقه على الآخر ليعرفه فيؤدى ما عليه ويطالب بما له .

٢- حمل الأبناء عن الآباء الحديث الشريف والعلم النافع من ميزات الإسناد فى هذه الأمة المحمدية حيث إن هذا الرجل يؤدى لولده علما شاهده وحضر النبى ﷺ حين بلغه عن ربه ، وكفى بالمسلم ثقة بالمصدر والعلم المروى له أن يقول له الثقة شاهدت أو سمعت أو حضرت .

٣- من سنن الخطب والتدريس أن يبدأها العالم بالحمد والثناء على الله تعالى لأن ذلك من أهم أسباب وضع البركة فى ذلك العمل وتوفيق صاحبه فيه وتهيئة النفوس لتقبله وحمله وأدائه إذ كل خطبة أو كلام أو عمل لا يبدأ فيه بذكر الله تعالى وحمده والثناء عليه بما هو أهله فهو عمل مقطوع مبتوراً أحذم لا بركة فيه ولا ثمرة تمتد إلى الآخرين .

٤- الوعظ بعد افتتاح الخطبة بالحمد والثناء يهيىء النفوس والقلوب لاستقبال الخير المنشود إذ أن القلب إذا وعظ وذكر بالله تعالى وأيامه ووعده الحسن ووعيده لمن خالف أمره لان ورق وخشع وانكسر بين يدى بارئه فنظر المولى إليه برحمته ورضى عنه بلطفه وجعله محلا لتنزل رحماته ووعاءًا طيبا يودع فيه العلم النافع الباعث على العمل الصالح ، وهكذا يكون قلبا صالحاً ، وإذا صلح القلب صلح البدن والجسد كله ، لذا كان النبى ﷺ يبدأ بما يصلح هذا الرئس المطاع الذى بصلاحه تصلح الرعية ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة .

٥- الوصية فى الإسلام مهمة جداً وفيها زيادة على مجرد التبليغ والتعليم لأن الذى يوصى على شيء يدل على أهميته عنده ويريدك أن يكون عندك فى منتهى الأهمية وعند ذلك تعتنى به وتحافظ عليه

وتحيطه بالرعاية وينشرح صدرك لمعرفة ما يعينك على صيانته والإحسان إليه حسب مقدورك وما يتطلبه أمره كله .

٦ـ وقد وضح لنا المصطفى ﷺ أن وصيته بالنساء وصية خير وشرح أسباب هذه الوصية حيث إن المخاطبين ومن يأتى بعدهم من الرجال فى حاجة إلى معرفة ما تتطلبه منهم العلاقات الزوجية التى يريدها الإسلام الذى جاء للقضاء على عجرفية الرجل وتسلطه على المرأة ظلما وعدوانا .

٧ـ الإسلام يختلف عن الجاهلية كلية حيث إن المرأة وإن كانت أسيرة بيتها وللرجل القوامة عليها وتدبير شئونها التى لا يناسبها القيام بها بنفسها أو يمكن أن ينوب الرجل عنها فيها فإن حقوقها مصانة وكرامتها موفورة ذلك أن الرجل لا يملك منها شيئاً إلا أنه استحل فرجها بكلمة الله وتحمل فى عنقه واجبات شرعية نحوها بذلك حيث وجب عليه بالدخول بها الإحسان إليها فى الكسوة والنفقة وحسن العشرة وهذا ما تطلبه الحياة الكريمة والأخلاق العالية الرفيعة .

٨ـ والإسلام وإن كان انتشل المرأة من ظلم الجاهلية واستهضام الرجل لها واستلابه حقوقها فإنه حد لها حدوداً يجب عليها اتباعها ، والمحافظة على أدائها ومن تلك الواجبات :

٩ـ أن تحافظ على طهارة لسانها وصيانته من البذاءة والأذية لزوجها وأهله لأن ذلك من أساسيات المحافظة على المودة والرحمة التى جعلها الله برباط الزوجية والمصاهرة الشرعية العائلية .

١٠ـ فإن خالفت المرأة شرعها وأغضبت ربها بمخالفتها لزوجها وأذية أهله وجيرانها من المسلمين استحقت العقوبة المذكورة فى الكتاب والسنة بدون زيادة ولا إجحاف وهى :

١١ـ الهجر فى المضاجع بترك الكلام معها أو جماعها ، أو إظهار

الإعراض عنها والصدود عن جهتها .

١٢- ضربها ضربا غير مؤثر لا يكسر عظما ولا يشوه خلقة لأن المراد منه التأديب لا الأذية والإهانة حيث إن ذلك ينافر القلوب ويخالف المطلوب .

١٣- ومن الواجبات عليها رعاية بيتها والمحافظة على شعور زوجها ورغبته المشروعة فلا تدخل عليه أجنبياً ولا تأذن في بيته لمن لا يحبه، ولا يريد رؤيته لأن سلامة خاطره وكسب حبه ومودته وطاعة الله تعالى بحسن التبعل له أولى وأوجب من مراعاة غيره من الإخوان والأقارب .

الحديث الثانى

معانى الغريب :

انبعث أشقاها : يعنى تصدى لعقرها رجل كأنه لشقاوته كالمبعوث والمرسل لهذه المهمة الفاجرة .

عارم : قوى كالسيل الذى لا يطاق لشدة تدافعه وغليانه فكأن قوة الحياة والغضب واجتماع الهمة على الشر الذى يقلع ويقطع عليه اجتمعت فى أشقى الناس هذا .

فى رهط : فى قومه وعشيرته وقبيلته والرهط لا تكون فيهم امرأة وهو ما دون العشرة ولا واحد له من لفظه .

من فوائد الحديث :

١- التحذير من صنيع أهل الفجور المعرضين عن الحق وذلك أن الهلاك مصير من قلدهم حيث إنه لا فضل لفاجر علي فاجر وقد أهلك الله تعالى الفجار الأولين وسنته تعالى ماضية فى الآخرين والنبى ﷺ شفقة على أمته يضرب لها الأمثال ويشرح لها ما ورد فى القرآن الكريم من ذلك ليرتدع المتسرع ويهاب الجرىء سرد عاقبة أمره .

٢- وصف الرجل بالعزة فى قومه والمنعة فى عشيرته وضرب المثل بأحد المخاطبين ليتضح المثال للسامعين فيكون أبلغ فى نفوسهم ووجه الشبه بين صاحب الناقة وابن زمعة ﷺهو العزة والمنعة بالأهل والعشيرة .

٣- تحدث الرجل برواية فيها وصفه بما فيه له مفخرة ما دام المراد البلاغ عن الله ورسوله ﷺ .

٤- أعطى النبى ﷺ جوامع الكلم ، ومكن من معاقد الوعظ وذلك جلى فى هذا المثال حيث قال بإيجاز بليغ لمن يضحك من خروج الريح والفساء بصوت الضراط كيف تضحك على نفسك فى حدث حصل لغيرك ويحصل لك ؟ أنت تفعله فكيف تضحك من غيرك إن فعله إذاً فأنت إنما تضحك من نفسك فى هذا .

٥- ومثل ضحكك من ضراط غيرك الذى تفعله مثل ضربك لزوجك ضرباً وجلداً وغلظة كما يفعل أهل الجاهلية بنسائهم ثم يأتى هذا الفظ الجلاد ويضاجعها وهى مازالت متألمة من آثار ضربه لها .

فالنبى ﷺ يريد أن يرتفع المسلم العاقل عن الوقوع فى مثل هذه المتناقضات المضحكة بنفسها ، ثم إن ضحك المرء من أخيه إذا ضرط علاوة على أنه يعادل ضحك الإنسان من نفسه فإنه يحرج المضحوك منه ويغضبه ويبعث العداوة فى نفسه وهذا مخالف للأخوة الإسلامية التى تتطلب تحصيل ما يجلب المودة ويزيد الصلة والمحبة .

وكذا حال من يجلد زوجه جلدا عبد آبق وهى امرأة ضعيفة أسيرة بيته وصانعة طعامه ومعدة شرابه وراعية أولاده ، فحقها الإكرام والتبجيل حتى تتم الألفة ويدوم الحب والوئام وتحس بأن جهدها مقدرا ومكانتها محفوظة ، أما أن تجلدها وتقترب تريد حرارة العاطفة ومبادلة اللذة والمحبة فأنت تناقض نفسك كمن يضحك مما يفعل .

٦- فى هذا الحديث تشنيع واضح على من يركب رأسه ويتبع الشيطان والهوى فيرد الحق الذى فى اتباعه نجاته وفى مخالفته هلاكه .

٧- وفيه استثارة نخوة العاقل حتى لا يرتكب ما ينكره هو لو استحضر عقله ومروءته .

الحديث الثالث

معانى الغريب :

ولا تعضلوهن : لا تمنعوهن من الزواج ذلك أن منعها من حقها فى ذلك ظلم تترتب عليه مفاسد وأمور معضلة لا يهتدى لوجه الصواب والعلاج لها .

فأحكم الله عن ذلك : أى قضى فيه بأمر لا راد له ، أى فمنع الله بما أنزل من شرعه وقوع هذا الظلم .

من فوائد الحديث :

١- ابن عباس ﷺحبر هذه الأمة وترجمان القرآن الكريم إذ دعا له النبى ﷺ بالفقه فى الدين والإصابة فى التأويل فكان كما دعا له رسول الله ﷺ حتى صار يعول عليه بين علماء الصحابة فى تفسير القرآن الكريم وقد جمع ما عندهم إلى ما عنده حتى انتهى الناس إليه فى هذا العلم بعد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﷺ .

٢- جاء الإسلام للإصلاح والتشريع وقد عالج قضايا مزمنة ومعضلات مشكلة مات عليها الكبير وشاب فيها الصغير ، ومن هذه القضايا والمعضلات تسلط القوى على الضعيف ومصادرة حرياته وانتهاك حقوقه ، وفى مقدمة أولئك البؤساء المستضعفون فى ذلك المجتمع الجاهلى المرأة بنتا كانت أو زوجة فالبنت توؤد حية وينتهك عرضها ويداس شرفها إذا وقعت فى سلب أثناء الغارات القبلية العصبية . والزوجة مع أنها متفانية فى الخدمة والكدح على العيال مع الزوج ،

فإنها لا تعدو متاعاً من الأمتعة التي يمتلكها الزوج فإذا مات عنها كانت فريسة لتلك العادات العوجاء فبدلاً من أن ترحم ويزاد لها في الرعاية والإكرام لفقدها زوجها القائم عليها فإنها تعيش بعده تكابد ألواناً من الظلم فتورث مع سقط المتاع ، وتبقى سنة أو أكثر حسب العادة في مكان مظلم متسخ لا تتطهر ولا تتنظف ولا تلبس جديداً ، فإذا انقضت هذه الفترة القاسية كانت أمامها أن تواجه وارثها بأن تقبله زوجاً إن رغب فيها بدون مهر أو صداق أو تتحمل الأعباء لتحصل له ما لا عوضا عن السماح لها بالتزوج من غيره ، وهكذا تخسر المسكينة الوقت الذي يذبل فيه شبابها ونشاطها أو المال الذي تدفعه لمن لا يستحقه ليتمتع به وتبأس هي في جمعه وتحصيله .

٣ـ والإسلام دين رباني جاء لرحمة الجميع فوجد هذا الظلم المتأصل فأخذ يعالجه من نفوس أتباعه ليقتلعه من أعماقهم حيث تغلل في عقولهم ومعتقداتهم وأفكارهم حتى صار اقتلاعه يعادل نزع أرواحهم ولكن نجح الإسلام في ذلك فأحكم الأحكام ووعظ الفساة وشرع للمرأة المتوفى عنها عدة معلومة وفرض لها ميراثا من زوجها بدلا من وراثتها هي بنفسها ولم يترك لأحد عليها سلطاناً بعد انتهاء عدتها فلها بعد ذلك أن تتزوج من طلبها ورغبت في العيش في كنفه ، وبذلك ظهر للنساء عدل الإسلام ورحمته بهن وتقديره لمتطلبات الحياة الكريمة لهن فاعتقدنه واتبعنه وعملن على نشره وتربية الأبناء والبنات على هديه فانكشف الجهل بظلامه واستقر العدل بنوره .

الحديث الرابع

معاني الغريب :

يراجعها : لأن له عليها رجعة بالعقد السابق حتى تنقضي عدتها .

ليضارها : المضارة بمعنى إلحاق الضرر بها بتطويل مدة العدة

عليها فلا هى منتفعة ومطمئنة بحياة زوجية ولا هى أيمن تنتظر الخطاب أو يرعاها أحد أوليائها .

من فوائد الحديث :

١- كانت المرأة فى الجاهليات الأولى تتعرض لألوان كثيرة من الظلم والمضايقات التى لا تملك مستندا لرفعها عنها ، أو التخفيف من معاناتها ، لأنها ضعيفة مستضعفه فى مجتمع لا يعرف معروفاً لبعده عن منابع الخير والهدى الربانى ، لذا فهى تستسلم لتلك القوانين الجائرة والعادات البالية .

٢- فلما جاء الإسلام وتنفس الضعفاء فيها الصعدا وتسللت إلى نفوسهم المكبوتة معالم الحرية والكرامة تذمروا من أوضاع كانوا قبل ذلك لا يملكون إلا الخضوع لها . ومن ذلك ما تضمنه هذا الحديث الشريف الذى يبين سبب نزول آية كريمة تنهى الرجل عن ارتكاب هذا الظلم الذى لا باعث وراءه إلا الأنانية وحب التسلط وكبت حريات الآخرين إرضاء لغريزة عدوانية لم يلطفها إيمان ولا علم ، ويعظ المولى جل وعلا فيها قساة القلوب غلاظ الأكباد من هذا التسلط الذى لا يهدف إلا إلى مضارة امرأة ضعيفة لا رغبة له فى استمرار الحياة الزوجية معها لأمر ما .

٣- ومن صور رفع الظلم والعدوان عن المرأة فى الإسلام أن أمر الزوج أن يطلق بعد الدخول بزوجته فى طهر لم يمسها فيه تخفيفاً عليها فى العدة ورفعاً للحرج عنها فى شبهة الحمل ، وتطيباً للنفوس التى تريد لها الخير وتحب أن تحميها من كل شر ليدوم الوئام والمحبة بين الأصهار والجيران وأهل القرابات ، وبالتالى استقامة أحوال المسلمين فى هذا المجال الأسرى الحساس ، وللزوج أن يراجع مطلقته فى عدتها مالم تكن حراماً باستكمال ثلاث طلقات صحيحات أو خلع شرعى أو تبين رضاع صحيح إذا كان يريد إمساكها لإكرامها وإحسان عشرتها وكان

فى ذلك إصلاح له ولها وأولاد بينهما ، فإذا كان هذا هو مقصوده كان إرجاعه لها فى صالح الإسلام والمسلمين وعوناً على سلامة المجتمع وترابطه .

٤ـ وإن من رحمة الإسلام بالمرأة المطلقة أن أباح لزوجها الذى غضب منها أو نفرت منه لنشوز أو غير ذلك من أسباب النزاع والخلاف بين الزوجين ـ أن يراجعها ـ لحصول ندم منه أو منها أو تدخل مصلحين لرفع الخلاف والنزاع الذى أثمر حلالاً هو أبغض الحلال إلى الله تعالى وهو الطلاق .

وكيف لا يفطن كل من الزوجين والمجتمع من بعدهما لما تضمنه هذا التشريع من الرحمة والرفق بحال المرأة والرجل والأولاد والمجتمع ؟

إن الطلاق قد يقع من بعض الرجال لأتفه الأسباب وأدنى الدواعى حتى إن بعضهم يستحى من ذكر سبب طلاقه لزوجه وتشتيته لأسرته ، فإذا رجع إليه صوابه وعاود عقله ومصلحة نفسه ومن فرقهم بهذا الطلاق ندم وأفاق من غيبوبة الكبرياء واستعاذ بالله من الشيطان الذى أغواه وجره لاتباع هواه فعندها يجد أن دينه كفل له مصلحته فى حال غفلته وعدوانه فيراجع زوجه وهو يريد إمساكها واستدامة الحياة الزوجية معها لما فى ذلك من المصالح العاجلة والآجلة .

وهكذا يظلم الرجل نفسه فيجد عند ربه رحمة واسعة .

٧ـ ومن تمام الإحسان إلى المرأة والرجل معاً أن أباح الإسلام لهما الفراق بطلاق شرعى سنى وهو الذى يكون للمدخول بها فى طهر لم يمسها فيه وأن يكون طلقة واحدة فإن ندم الزوج أو الزوجة على الفراق بالطلاق وكان سببه يمكن التغلب عليه فأوجب الله تعالى على الرجل أن يمسك مطلقته الرجعية بمعروف إن علم أن إمساكها فيه مصلحة راجحة وبقصد الإبقاء على العقد الشرعى للنكاح ، فإن كان يريد مضارتها

بإرجاعها لأذيتها والانتقام منها أو لتطويل مدة العدة عليها ، فإن الإسلام عند ذلك يدخله فى دائرة الظالمين الخائنين للأمانة العاجزين عن حسن الرعاية وتحمل المسئولية فيعظه الله تعالى فى كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ لينزجر عن ذلك المسلك المنافى لما خول من قوامه وما أمر من الإمساك بالمعروف أو التسريح بإحسان .

٨- إن الله تعالى يعلم ما كانت عليه البشرية من جاهلية ظالمة يأكل فيها القوى الضعيف ، ويسلب فيها الرجل حقوق المرأة ويزدريها ، ويأكل ما لها استخفافاً بها ، فامتن علينا بهذا الإسلام الذى يربط كل مؤمن به بربه ويبعثه إيمانه على العدل وأداء الواجبات واجتناب المنهيات ، لذا فهو يعظنا فى شكر هذه النعم الكثيرة التى بعث إلينا بها محمدا ﷺ وأنزل علينا بها الكتاب والحكمة التى بين النبى ﷺ بها القرآن الكريم بأمر الله تعالى له فى محكم كتابه فمن اتعظ وشكر الله تعالى على هذه الآلاء كان من الصالحين الموفقين ومن أعرض عن عظة الله تعالى كان لنفسه من الظالمين المتخذين لآيات الله هزوا وكفى بذلك إثماً عظيما .

٩- كان الظهار من الزوجة شائعا فى الجاهلية ، وارتكبه فى صدر الإسلام أفراد من السلف الصالح فأنزل الله لطفا بالمسلمين ورفقا بالمتسرعين له يؤديها الرجل المظاهر قبل أن يمس زوجه المظاهر منها فتحل عليه بعد ذلك . وإن الحكمة فى ذلك ظاهرة وأسباب نزول الآية توضح أن المولى جل وعلا علمه محيط بعباده ورفقه يشملهم ورحمته تحفهم إذ نزلت فى صحابية جليلة هى خولة بنت ثعلبة حيث ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت ولها منه أطفال نفضت بهم بطنها إن أمسكتهم عندها جاعوا وإن أسلمتهم له عند زوجة أخرى ضاعوا فشكت حالها إلى ربها فأنزل الفرج لها ولغيرها ممن حاله كحالها فهو تعالى أرحم بأولادها منها .

١٠- من تاب تاب الله عليه ، وقد وعظ الله أقواماً خاضوا فى الإفك

ونشروه وتحدثوا به وشربته قلوبهم ولم يستحضروا فى مغبة ذنبهم ذلك عظمة الله تعالى وعلمه المحيط وغيرته لكتابه ورسوله وزوجه الطاهرة المطهرة المبرأة فوعظهم الله تعالى أن يعودوا لمثل ذلك الصنيع الذى يغمس صاحبه فى الإثم ثم فى الحد فى الدنيا والوعد بالعذاب فى الآخرة والعياذ بالله تعالى .

١١ـ القرآن الكريم كتاب رحمة وهداية وأحكام مباركة نافعة وهو مع ذلك كتاب ترغيب وترهيب وقد ختمت كل آية من هذه الآيات المباركات بما يرغب المؤمن ويرهبه ، فكيف لا تأخذ المسلم العظة وتتملكه الرهبة إذا علم أن الله تعالى يخوفه من الظلم والعدوان بقوله : ﴿ إن الله كان علياً كبيرا ﴾ ﴿ والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ ﴿ واعلموا أن الله بكل شىء عليم ﴾ ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾.

وكيف لا يطير فرحا ويسارع بالطاعة رغبة فيما عند الله تعالى من الثواب المعد للمتقين عندما يسمع الله تعالى يعمم هذا الحكم ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴾ .

إن المؤمن تحيط به فى الدنيا والآخرة مضايق كثيرة لا مخرج له منها إلا بتقوى الله تعالى .

الوعظ فى الفتن والتخويف من الوقوع فيها

١- عن سليمان الأحول أن ثابتا مولى عمر بن عبد الرحمن أخبره أنه لما كان بين عبد الله بن عمرو وعنبسة بن أبى سفيان ما كان وتيسروا للقتال فركب خالد بن العاص إلى عبد الله بن عمرو فوعظه . فقال عبد الله ابن عمرو : أما علمت أن رسول الله ﷺ قال : من قتل دون ماله فهو شهيد وقال عبد الرزاق : من قتل على ماله فهو شهيد [(١)].

٢- عن محمد قال : جاء رجل إلى عمران بن حصين ونحن عنده فقال : استعمل الحكم بن عمرو الغفارى على خراسان فتمناه عمران حتى قال له رجل من القوم ألا ندعوه لك فقال له : لا ، ثم قام عمران فلقيه بين الناس فقال عمران : إنك قد وليت أمر من أمر المسلمين عظيما ثم أمره ونهاه ووعظه ثم قال : هل تذكر يوم قال رسول الله ﷺ : لا طاعة لمخلوق فى معصية الله تبارك وتعالى ؟ قال الحكم : نعم قال عمران : الله أكبر [(٢)].

٣- عن أبى الطفيل أن رجلاً ولد له غلام على عهد رسول الله ﷺ فأتى النبى ﷺ فأخذ ببشرة وجهه ودعا له بالبركة . قال : فنبتت شعرة فى جبهته كهيئة القوس وشب الغلام فلما كان زمن الخوارج أحبهم فسقطت الشعرة عن جبتهته فأخذه أبوه فقيده وحبسه مخافة أن يلحق بهم . قال : فدخلنا عليه فوعظناه وقلنا له فيما نقول : ألم تر أن بركة دعوة رسول الله ﷺ قد وقعت عن جبهتك . فما زلنا به حتى رجع عن رأيهم فرد الله عليه الشعرة بعد فى جبهته وتاب [(٣)].

٤- عن على بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا إسرائيل أبو موسى

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢/٢٠٧ . (٢) مسند الإمام أحمد ٥/٦٦ .
(٣) مسند الإمام أحمد ٥/٤٥٦ .

ولقيته بالكوفة جاء إلى ابن شبرمة ، فقال : أدخلنى على عيسى فأعظه فكأن ابن شبرمة خاف عليه فلم يفعل . قال حدثنا الحسن قال : (لما سار الحسن بن على رضي الله عنهما إلى معاوية بالكتائب قال عمرو بن العاص لمعاوية : أرى كتيبة لا تولى حتى تدبر أخراها . قال معاوية : من لذرارى المسلمين ؟

فقال : أنا .. فقال عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة . نلقاه فنقول له : الصلح . قال الحسن . ولقد سمعت أبا بكرة قال : بينا النبى ﷺ يخطب جاء الحسن ، فقال النبى ﷺ : ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين [1].

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب الفتن ، باب قول النبى ﷺ للحسن بن على : « إن ابنى هذا لسيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين » . (٧١٠٩) ١٣/ ٦١ .

الحديث الأول

معانى الغريب :

وتيسروا : بمعنى تهيئوا واستكملوا الاستعداد للمحاربة .

شهيد : الشهادة منزلة عالية عند الله تعالى لدلالتها على صدق إيمان صاحبها حيث إن قوة إيمانه ويقينه دفعته على الإقدام على أسباب الموت حتى قتل فى سبيل الله تعالى.

من فوائد الحديث :

١- وقوع الخلاف على أمور الدنيا بين السلف الصالح .

٢- تسلط الأمراء على أموال العلماء والصالحين .

٣- السعى فى الإصلاح بين المتنازعين من واجبات الأخوة الإسلامية .

٤- ليس أحد أعلى درجة من أن يوعظ ويذكر بسوء عاقبة الفتن والقتال .

٥- وجوب الاستعداد للدفاع عن النفس والمال والأهل ودفع الصائل.

٦- على العالم أن يقدم عذره للناس ويشرح لهم سبب أعماله إذا رأوا أنها مخالفة للشريعة .

٧- الصحابة رضوان الله عليهم يحفظون فى صدورهم العلم ويمتثلونه فى الرخاء والشدة ويعملون به ولو أداهم ذلك للقتل .

٨- حسن الأدب والتلطف بمن جاء ليعظك أو ينصحك ليمنعك من الوقوع فى شر دنيوى أو أخروى .

٩- أنواع ومنها القتل دفاعا عن المال. ويمتثلونه فى الرخاء والشدة ويعملون به ولو أداهم ذلك للقتل .

الحديث الثانى

معانى الغريب :

استعمل : اسندت إليه الولاية وكلف بالعمل .

فتمناه : ترجاه وأظهر رغبته فى مقابلته باهتمام .

من فوائد الحديث :

١- إطلاع أهل العلم والفضل على ماجد وطرأ من أمور مهمة لها تعلق بمصالح الأمة .

٢- اتساع رقعة الدولة الإسلامية فى عهد الصحابة رضوان الله علهيم حيث عملوا ولاة على خراسان .

٣- حرص التابعين على مجالسة الصحابة رضوان الله عليهم وأخذ العلم والأدب منهم .

٤- اهتمام أهل الفضل بالأمور السياسية كتعيين الولاة وما له صلة بالشؤون العامة .

٥- اهتمام طلبة العلم برغبات شيوخهم والاستعداد لتلبية رغباتهم وإعانتهم على حاجاتهم .

٦- صيانة أهل الفضل لطلبتهم عن الوقوف على أبواب السلاطين ولو لغرض نبيل .

٧- طلب العالم الأمير والحاكم فى مجلسه لإسداء النصح والتوجيه له .

٨- بيان العالم للمسؤول عظمة المهمة التى تقلدها ، ليكون على المستوى المطلوب .

٩- لا غضاضة عند أمراء السلف من نهى العالم وأمره لهم بالمعروف ووعظه لهم بل كانوا يطلبون ذلك منهم .

١٠- تذكير الأقران بالعلم خوفاً من نسيانه وتنبيهاً لهم على حمل الأمانة العلمية .

١١- المراد من مذاكرة العلم العمل بمقتضاه ومجانبة الهوى والأطماع الدنيوية المنافية لمقتضى العلم النافع ، لئلا يكون العالم المسلم كعلماء بنى إسرائيل الذين شبههم الله فى كتابه بالحمر التى تحمل العلم فى الأسفار على ظهورها بجامع عدم الانتفاع فى كل منهما بما يحمله من خير .

١٢- المرجعية عند الصحابة رضوان الله عليهم فيماحملوه عن النبى ﷺ ، ويكفى الواحد منهم نصحا لمن يخاطبه أن يذكره بنص من رسول الله ﷺ .

١٣- على المرء المسلم السمع والطاعة فى الجد والمنشط والمكره فيما استطاع إلا إذا أمر بمعصية فعند ذلك فلا سمع ولا طاعة إذ لا طاعة تجب لمخلوق فى معصية الخالق .

١٤- إذا أقر الإنسان بأنه يعلم فقد قامت عليه الحجة وبان تحمله للأمانة .

١٥- التكبير مشروع تعظيماً لله تعالى وفرحاً بنعمه وقيام حجته على خلقه .

١٦- الولاية من الفتن التى يبتلى بها الرجل الصالح فيحتاج من إخوانه أن يثبتوه ويعظوه ويوطنوه على تحمل مشاق ما تحمل وأن لا يجنح به الشيطان وحب رضى السلطان إلى عمل يخالف دين الله تعالى وما علمه من سنة نبيه ﷺ .

١٧- تعويل السلف رضوان الله عليهم على الوعظ لما فيه من تلين القلوب وجلب الرقة لها ودفع الغفلة والقساوة عنها .

١٨- منزلة عمران بن حصين منزلة عظيمة بين الصحابة رضوان

الله عليهم وأحاديثه ومناقبه كثيرة فعلينا أن نقرأ سيرته ونتعظ بها .

الحديث الثالث

معانى الغريب :

ببشرة وجهه : ظاهر جلده ، فالبشرة ظاهر جلد الإنسان .

البركة : النماء والزيادة الحسنة الميمونة والمراد أنه ﷺ دعا له بالبركة.

كهيئة القوس : يعنى أنها كانت على شكل المقوس وبذلك اختلفت عن نبات شعر الرأس ففهموا أن ذلك لخاصية وضع النبى ﷺ ليده الشريفة على ذلك المكان وتبريكه .

من فوائد الحديث :

١- الذى ولد على عهد النبى ﷺ له صحبة ولو بالولادة .

٢- كان الناس على عهد رسول الله ﷺ إذا ولد لأحدهم مولود أتوا به رسول الله ﷺ ليحنكه لهم ويدعو له بالبركة ليغرس بإذن الله فيه الإيمان وحب الخير .

٣- هذا الرجل أتى بولده إلى النبى ﷺ اعتقاداً فى بركته وحبا للخير لولده .

٤- أدب النبى ﷺ الذى يعامل به الناس أدب سماوى من تأذيب الله ووحيه ، لذا فهو يتواضع للناس عامة وللمؤمنين خاصة ويحمل غلمانهم ويحنك لهم صبيانهم تبريكا لهم وإدخالاً للسرور على أهليهم وكسبا لقلوبهم لذا فهو محبوب من الجميع ومبارك عند الكبير والصغير وهو فوق ذلك رسول رب العالمين .

٥- هذه الشعرة التى نبتت فى جبهة هذا الغلام فى المكان الذى لمسته اليد الشريفة علامة على حصول البركة لهذا الناشىء .

٦- الشباب يخشى عليهم من رفاق السوء لأنهم عاطفيون يغترون بالدعايات ولا يملكون التمييز بين الحقائق من التضليلات لذا تسرى فيهم الفتن بسرعة ويتصرفون طاعة لأهل الأهواء بسرعة وعليه فتجب صيانتهم والمحافظة عليهم من قرناء السوء .

٧- الولد من غرس أبيه وكسبه وثمرته من بعده لذا يصعب عليه جدا أن يرى الفتن المضللة تقطفه ، ولذا قيد هذا الرجل ولده وحبسه عن الأشرار لعل أن تنفع فيه نصيحة الأخيار .

٨- فقيض الله هؤلاء الناصحين فبصروه بعيوب القوم وأنهم دعاة فتنة واستدلوا له على ذلك بسقوط هذه الشعرة المباركة التى جعلها الله له وسام خير فى وجهه .

٩- على أهل العلم والخير والصلاح أن يبادروا إلى إنقاذ الناس من شرور الفتن وأن يصبروا على ذلك حتى يروا الاستجابة ولا يملوا من تكرار التذكير والوعظ.

١٠- على الشباب ومن شربت نفسه فتنة أو فكرة سيئة منحرفة أن يسمع للناصحين المشفقين عليه، ويبادر بالرجوع عنها والتوبة منها.

١١- اتباع أهل الأهواء والبدع يذهب بالبركة وسيما الصالحين من الوجه .

١٢- من تاب تاب الله وأعاد عليه ما سلبه منه وأعطاه المزيد من عنده .

الحديث الرابع

معانى الغريب :

الكتائب : وحدات الجيش المنظمة .

ذرارى : جمع الذرية ، وتطلق فى الأصل على الصغار ، وقد يراد بها الصغار والكبار عرفاً .

فئة : طائفة أو جماعة يجمعها مكان أو أمر تتفيأ من أجله وتتجمع حوله .

من فوائد الحديث :

١- تعويل السلف الصالح على الوعظ واتخاذهم له وسيلة نافعة فى إصلاح المعوج والفاسد

٢- حرص العلماء على إصلاح الراعى والرعية .

٣- أهمية الحاجب الأمين الذى يكون محل ثقة الجميع .

٤- الوسيلة للدخول إلى الأمراء والولاة كتابهم ووزراؤهم وحجبتهم .

٥- الوزير العاقل إذا خاف على نفسه أو غيره من الأمير امتنع من إيصال أسباب الخوف ، ولا يعد بذلك خائناً للأمانة .

٦- حصول الفتن بين السلف الصالح وأنه لا عيب عليهم فى ذلك لأنهم بشر يجتهدون .

٧- وجوب الكف عما جرى بين الصحابة رضوان الله عليهم . مع اعتقاد أن الحق فى جانب أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه .

٨- تكتيب الكتائب والاستعداد للحرب دفاعا عن الحق ومنعاً للخروج على الإمام الحق .

٩- يفهم منه شجاعة السلف واستبسالهم فى الحروب .

١٠- تشاور أهل الرأى لدفع المفاسد ، وتقليلها وجلب المصالح والسعى فى نمائها .

١١- حرص السلف على حماية المسلمين وذراريهم من طحن الحروب لهم .

١٢- من دهاة المسلمين معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما لذا نجحا

فى السعى إلى إخماد الفتنة عندما أتيحت لهما الفرصة .

١٣ـ ثقتهما بأمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنهما قادتهما إلى التفكير فى مقابلته والإفصاح له عن طلب الصلح لأنه من غرس النبوة وكان النبى ﷺ إذا خير بين أمرين اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً .

١٤ـ مع ما حصل فى هذه الفتن من ابتلاء وقتل ، فإن السلف لم يكن بينهم ذلك الحقد ورفض التحاور أو الاجتماع من أجل مصلحة ظهرت.

١٥ـ الصلح خير وجائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالا .

١٦ـ حرص السلف من العلماء على جمع الموضوع الواحد فى مكان واحد وربط معلوماته بعضها ببعض .

١٧ـ الحسن البصرى رحمه الله حريص على إفشاء مناقب السلف الصالح وخبرته بما كان فى آل النبى ﷺ من علم وخير معلومة لقربه منهم وحبهم عليه .

١٨ـ النبى ﷺ يخطب دائماً فى صحابته ليحمّلهم العلم والمسئولية من بعده ، فكان له ما أراد .

١٩ـ فيه ثبوت السيادة فى الدنيا والآخرة للحسن بن على رضي الله عنهما .

٢٠ـ مشروعية الثناء على الأولاد بما فيهم أمام الناس .

٢١ـ فيه علم من أعلام النبوة حيث رجى النبى ﷺ أن يكون هذا الصلح الذى سمى العام الذى حصل فيه بعام الجماعة على يد هذا السيد فحقق الله رجاءه .

٢٢ـ الحروب والفتن الاجتهادية لا تخرج أحدا من المسلمين من الملة وإن علم أن أحد الطرفين باغ على الآخر .

٢٣ـ جواز تنازل الفاضل للمفضول عن الإمامة العظمى حقنا

للدماء وجمعاً لكلمة المسلمين ، وأن ذلك من السيادة لما فيه من تغليب جانب المصلحة العامة على شهوة الإمارة التى جبلت عليها نفوس الكثيرين من بنى آدم وخصوصاً بعدما يرضعونها لا يكادون يفطمون عنها برغبتهم ورضاهم مع علمهم أنها نعمت المرضعة وبئست الفاطمة.

وعظ أهل المعاصى والستر على غير المجاهر

١- عن دخين كاتب عقبة بن عامر قال : قلت لعقبة : إن لنا جيراناً يشربون الخمر وأنا داع لهم الشرط فيأخذوهم فقال : لا تفعل ولكن عظهم وتهددهم قال ففعل فلم ينتهوا ، قال : فجاءه دخين فقال إنى نهيتهم فلم ينتهوا وأنا داع لهم الشرط . فقال عقبة ويحك لا تفعل فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا موءودة من قبرها» [١].

٢- (عن عقبة بن عامر ، عن النبى ﷺ قال : من رأى عورة فسترها كمن أحيا موءودة)، وعن كعب بن علقمة ، أنه سمع أبا الهيثم يذكر أنه سمع دخينا كاتب عقبة بن عامر : قال : كان لنا جيران يشربون الخمر ، فنهيتهم فلم ينتهوا ، فقلت لعقبة بن عام : إن جيراننا هؤلاء يشربون الخمر ، وإنى نهيتهم فلم ينتهوا ، فأنا داع لهم الشرط ، فقال دعهم ، ثم رجعت إلى عقبة مرة أخرى فقلت : إن جيراننا قد أبوا أن ينتهوا عن شرب الخمر ، وأنا داع لهم الشرط ، قال : ويحك دعهم فإنى سمعت رسول الله ﷺ فذكر معنى حديث مسلم [٢]. قال أبو داود : قال هاشم بن القاسم عن ليث فى هذا الحديث ، قال : (لا تفعل ولكن عظهم وتهددهم) [٣].

---

(١) مسند الإمام أحمد ٤/١٥٣ .

(٢) هو مسلم بن إبراهيم أحد رواة الحديث الذى قبل هذا فى السنن .

(٣) سنن أبى داوود ، كتاب الأدب ، باب فى الستر على المسلم (٤٨٩١ - ٤٨٩٢) ٥/٢٠٠-٢٠٢.

الحديث الأول والثانى

معانى الغريب :

الشُّرَط : رجال جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها ، الواحد منهم شرطة وشرطى وهم رجال أمن محلى يعول عليهم فى هذا العصر كثيراً.

ويحك : كلمة رحمة وإشفاق تعطى معنى التحذير والزجر خوفاً من عاقبة غير محمودة .

موءودة : أى مدفونة وهى حية وكانت كندة ومن قلدها من جهلة العرب فى الجاهلية يدفنون البنات فى المدافن وهن أحياء خوفاً من الغارات والجوع والعار وكفى بهذا الظلم عارا .

من فوائد الحديثين :

١- عقبة بن عامر من أمراء مصر وكان على جانب كبير من العلم فهو صحابى جليل .

٢- الرجوع إلى أهل العلم فى القضايا التى تخل بالأمن وتنتهك فيها حدود الله تعالى .

٣- عظم حرمة الجار فى الإسلام حيث يتردد هذا الرجل فى جلب الأذى لهم وهم يرتكبون محارم الله تعالى ويشربون أم الخبائث .

٤- المسلم يشرب الخمر ولا يكفر بذلك ولا يحل بذلك دمه أو ماله أو عرضه ولكن يوعظ ويهدد وينصح ويرشد .

٥- اتخاذ السلف للشرط وتوفير الأمن والقوة حماية للدين والأنفس والأموال والأعراض .

٦- من مسئوليات الشرطة أخذ أهل الفساد والمعاصى وتأديبهم وإقامة الحد عليهم بعد الإجراءات القضائية.

٧ـ نهى العالم لمن سأله عن عمل يخالف الشريعة وزجره عنه وإعطائه عنه بديلاً مشروعاً .

٨ـ تعويل السلف على وعظ العصاة وإيقاظ وازع الإيمان فى نفوسهم.

٩ـ حرص السلف على إنكار المنكر وحمل الناس على شرع الله تعالى بالوعظ والتهديد .

١٠ـ مراجعة العالم فى أمر قد نهى عنه رغبة فى أن يرحض فيه لرفع حرج أو دفع مفسدة .

١١ـ يستر على المسلم مادام لم يقبل النصح والتهديد ما لم يجاهر بمعصيته ويدعو لها غيره .

١٢ـ المعاصى من العورات التى يجب سترها على المسلم مادام يعملها فى بيته ويتستر بها عن غيره ولا يستحلها فى معتقده .

١٣ـ لا ينبغى اليأس من إصلاح أهل الفساد والمعاصى والذنوب لأن هذه أمراض تعالج حتى يقع العلاج موقعه فينفع بإذن الله فى دفع الداء ، لذا لا يجوز التسرع بالإبلاغ عنهم أو أذيتهم أو احتقارهم ، ولكن يجب على القادر أن ينصحهم ويعظهم ويهددهم إن علم خيرا فى ذلك ويجتنب مجالستهم ويحذر منهم .

ومن باب طلب الستر على المسلم

ما رواه مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أن رجلاً من أسلم جاء إلى أبى بكر الصديق رضي الله عنه . فقال له : إن الآخر زنى ، فقال له أبو بكر هل ذكرت ذلك لأحد غيرى ؟ فقال : لا ، فقال له أبو بكر : فتب إلى الله واستتر بستر الله ،، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ، فلم تقرره نفسه حتى أتى عمر بن الخطاب فقال له عمر مثل الذى قاله

أبو بكر ، فلم تقرره نفسه حتى جاء رسول الله ﷺ فقال له : إن الآخر زنى، فقال سعيد: فأعرض عنه رسول الله حتى إذا أكثر عليه ، فقال : أيشتكى؟ أبه جنة ؟ فقالوا : يارسول الله والله إنه لصحيح ، فقال : أبكر أم ثيب ؟ فقالوا : بل ثيب يارسول الله ، فأمر به رسول الله ﷺ فرجم . التمهيد ٢٣/١١٨ .

وعظ الخصماء قبل إصدار الحكم وتنفيذه

١- عن عبد الملك بن أبى سليمان قال : سمعت سعيد بن جبير يقول : سئلت عن المتلاعنين فى إمارة ابن الزبير أيفرق بينهما ؟ فما دريت ما أقول فقمت من مقامى إلى منزل ابن عمر فقلت : يا أبا عبد الرحمن المتلاعنين أيفرق بينهما ؟ قال : نعم سبحان الله إن أول من سأل عن ذلك فلان ابن فلان فقال يا رسول الله أرأيت ولم يقل عمرو أرأيت الرجل منا يرى على امرأته فاحشة إن تكلم فأمر عظيم وقال عمرو أتى أمرا عظيما وإن سكت سكت على مثل ذلك .

فلم يجبه فلما كان بعد ذلك أتاه فقال : إن الأمر الذى سألتك ابتليت به فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات فى سورة النور ﴿ والذين يرمون أزواجهم ﴾ حتى بلغ ﴿ والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ﴾ فبدأ بالرجل فوعظه وذكره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة . فقال : والذى بعثك بالحق ما كذبت ثم ثنى بالمرأة فوعظها وذكرها فقالت : والذى بعثك بالحق إنه لكاذب فبدأ بالرجل فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ثم ثنى بالمرأة فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ففرق بينهما [١].

---

(١) سنن النسائى كتاب الطلاق ، باب عظة الإمام الرجل والمرأة عند اللعان ٦/١٧٥ - ١٧٦ .

٢ـ عن عبد الملك بن أبى سليمان قال : سمعت سعيد بن جبير يقول : سئلت عن المتلاعنين فى إمارة مصعب بن الزبير أيفرق بينهما فما دريت ما أقول . قال : فقمت حتى أتيت منزل عبد الله بن عمر فقلت للغلام استأذن لى عليه فقال : إنه قائل لا تستطيع أن تدخل عليه قال : فسمع ابن عمر صوتى فقال : ابن جبير ؟ فقلت : نعم فقال : ادخل فما جاء بك هذه الساعة إلا حاجة قال : فدخلت عليه فوجدته وهو مفترش برذعة رحله متوسد مرفقه أو قال نمرقة شك عبد الله حشوها ليف فقلت يا أبا عبد الرحمن : المتلاعنان أيفرق بينهما ؟ قال : سبحان الله نعم إن أول من سأل عن ذلك فلان فقال يارسول الله صلى الله عليك أرأيت لو أن أحدنا رأى امرأته على فاحشة كيف يصنع ؟ إن سكت سكت على أمر عظيم وإن تكلم فمثل ذلك . قال : فسكت رسول الله ﷺ فلم يجبه فقام لحاجته فلما كان بعد ذلك أتى النبى ﷺ فقال يا رسول الله إن الذى سألتك عنه قد ابتليت به قال فأنزل الله تعالى هؤلاء الآيات التى فى سورةالنور : ﴿ والذين يرمون أزواجهم ﴾ حتى ختم هؤلاء الآيات قال فدعا الرجل فتلاهن عليه وذكره بالله وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقال : ما كذبت عليها . ثم دعا المرأة فوعظها وذكرها وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقالت : والذى بعثك بالحق إنه لكاذب فدعا الرجل فشهد أربع شهدات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين . ثم أتى بالمرأة فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين . ثم فرق بينهما [(١)] .

٣ـ عن سعيد بن جبير قال : سألت ابن عمر فقلت يا أبا عبد الرحمن المتلاعنين يفرق بينهما ؟ قال : سبحان الله نعم إن أول من سأل عن ذلك فلان قال يا رسول الله أرأيت لو أن أحدنا رأى امرأته على

---

(١) سنن الدارمى كتاب النكاح باب فى اللعان ٢/١٥٠ـ ١٥١ .

فاحشة كيف يصنع إن سكت سكت على أمر عظيم وإن تكلم فمثل ذلك فسكت رسول الله ﷺ ولم يجبه ، فقام لحاجته فلما كان بعد ذلك أتى رسول الله ﷺ فقال : إن الذى سألتك عنه قد ابتليت به قال : فأنزل الله تعالى هذه الآيات فى سورة النور : ﴿ والذين يرمون أزواجهم ﴾ حتى ختم الآيات فدعا الرجل فتلاهن عليه وذكره بالله تعالى وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقال والذى بعثك بالحق ما كذبت عليها ثم دعا المرأة فوعظها وذكرها وأخبرها بأن عذاب الدنيا أهون منعذاب الآخرة فقالت والذى بعثك بالحق إنه لكاذب . فدعا الرجل فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين . ثم دعا المرأة فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ثم فرق بينهما (1) .

٤- وعن سعيد بن جبير قال : سئلت عن المتلاعنين أيفرق بينهما فى إمارة ابن الزبير فما دريت ما أقول فقمت من مكانى إلى منزل ابن عمر فقلت أبا عبد الرحمن المتلاعنين أيفرق بينهما فقال : سبحان الله إن أول من سأل عن ذلك فلان ابن فلان قال : يارسول الله أرأيت الرجل يرى امرأته على فاحشة فإن تكلم تكلم بأمر عظيم وإن سكت سكت على مثل ذلك ، فسكت فلم يجبه ، فلما كان بعد أتاه فقال : الذى سألتك عنه قد ابتليت به، فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات فى سورة النور :

﴿ والذين يرمون أزواجهم ﴾ حتى بلغ : ﴿ أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ﴾ فبدأ بالرجل فوعظه وذكره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، فقال والذى بعثك بالحق ما كذبتك ثم ثنى بالمرأة فوعظها وذكرها وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقالت والذى بعثك بالحق إنه لكاذب قال فبدأ بالرجل فشهد أربع شهدات

---

(1) مسند الإمام أحمد ٤٢/٢ .

بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ثم ثنى بالمرأة فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ثم فرق بينهما [١].

٥ـ عن سعيد بن جبير قال : سئلت عن المتلاعنين فى إمرة مصعب أيفرق بينهما ؟ قال : فما دريت ما أقول فمضيت إلى منزل ابن عمر بمكة فقلت للغلام استأذن لى . قال : إنه قائل ، فسمع صوتى ، قال ابن جبير قلت : نعم . قال : ادخل فوالله ماجاء بك هذه الساعة إلا حاجة . فدخلت فإذا هو مفترش برذعة متوسد وسادة حشوها ليف . قلت : أبا عبد الرحمن : المتلاعنان أيفرق بينهما ؟ قال : سبحان الله . نعم . إن أول من سأل عن ذلك فلان ابن فلان قال : يارسول الله أرأيت أن لو وجد أحدنا امرأته على فاحشة كيف يصنع إن تكلم تكلم بأمر عظيم وإن سكت سكت على مثل ذلك . قال فسكت النبى ﷺ فلم يجبه ، فلما كان بعد ذلك أتاه فقال : إن الذى سألتك عنه قد ابتليت به فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات فى سورة النور: ﴿ والذين يرمون أزواجهم ﴾

فتلاهن عليه ووعظه وذكره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة قال : لا والذى بعثك بالحق ما كذبت عليها ثم دعاها فوعظها وذكرها وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة . قالت : لا والذى بعثك بالحق إنه لكاذب . فبدأ بالرجل فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ثم ثنى بالمرأة فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ثم فرق بينهما [٢].

٦ـ عن سعيد بن جبير قال : (سئلت عن المتلاعنين فى إمارة

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢/١٩.

(٢) صحيح مسلم كتاب اللعان ،١٠/١٢٤ ـ ١٢٥ وسنن النسائى كتاب النكاح باب موعظة الإمام الرجل والمرأة عند اللعان ٦/١٧٥ ـ ١٧٦ والمسند كتاب اللعان ١٧/٢٨ .

مصعب بن الزبير أيفرق بينهما فما دريت ما أقول ، فقمت من مكانى إلى منزل عبد الله بن عمر فاستأذنت عليه فقيل لى إنه قائل فسمع كلامى فقال لى : ابن جبير؟ ادخل ما جاء بك إلا حاجة ، قال فدخلت فإذا هومفترش برذعة رحل له . فقلت يا أبا عبد الرحمن المتلاعنان أيفرق بينهما ؟ فقال سبحان الله نعم إن أول من سأل عن ذلك فلان ابن فلان أتى النبى ﷺ فقال يارسول الله أرأيت لو أن أحدنا رأى امرأته على فاحشة كيف يصنع ؟ إن تكلم تكلم بأمر عظيم ، وإن سكت سكت على أمر عظيم . فسكت النبى ﷺ فلم يجبه فلما كان بعد ذلك أتى النبى ﷺ فقال : إن الذى سألتك عنه قد ابتليت به . فأنزل الله الآيات فى سورة النور : ﴿ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله ﴾ حتى ختم الآيات . قال : فدعا الرجل فتلاهن عليه ووعظه وذكره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة . فقال لا والذى بعثك بالحق ما كذبت عليها . ثم ثنى بالمرأة ووعظها وذكرها وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون الآخرة فقالت لا والذى بعثك بالحق ما صدق ، فبدأ بالرجل فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ثم ثنى بالمرأة فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ثم فرق بينهما [١].

معانى الغريب :

البرذعة : بالفتح الحلس الذى يلقى تحت الرحل والحلس كساء ..

النمرقة : وسادة صغيرة أو الطنفسة التى تجعل فوق الرحل .

---

(١) وفى الباب عن سهل بن سعد وهذا حديث حسن صحيح ، سنن الترمذى ، أبواب التفسير ، سورةالنور (٣٣٩٢) ٩/ ١٩ . وأبواب الطلاق واللعان : باب ماجاء فى اللعان ، تحفة الأحوذى ٤/ ٣٢٤ ـ ٣٢٧ .

من فوائد هذه الأحاديث :

١ـ سؤال أهل العلم عن الأحكام المتعلقة بالحياة الزوجية وما يترتب على خيانة المرأة لزوجها فى نفسها .

٢ـ ذكر العالم علامة تاريخية يعرف بها تاريخ وجوده ومتى كانت المسألة المستفتى عنها مثارة .

٣ـ اعتراف العالم بجهل مسألة فقهية أو حكم شرعى لا منقصة له فيه ، لأن العلم أوسع من أن يحاط به ، وإذا لم يعتد العالم قول لا أدرى أصيبت مقاتله ونسب إلى الجهل الذى هرب منه لخيانته للعلم وأمانته .

٤ـ رفع المسائل العلمية وخصوصاً المستفتى عنها إلى العلماء الكبار إذ هم مظنة معرفتها وهم أهل الذكر الذين أمرنا الله بسؤالهم وقال لنا نبى الهدى ﷺ حثا على سؤالهم : (إنما شفاء العى السؤال) .

٥ـ حرص السلف الصالح على حل مشاكل الناس والمبادرة إلى تحصيل الجواب الشافى من المرجع الأساسى عالما كان أم كتابا معتمدا.

٦ـ ذهاب طالب العلم إلى بيت العالم فى أوقات القيلولة لنازلة نزلت خوفا من نسيانها وطلبا لرفع الحرج الواقع بسبب الجهل بحكمها .

٧ـ تواضع السلف الصالح وليونة جانب العلماء مع الطلاب طلباً للآخرة والثواب ومحبة نشر العلم والخير وأداء الأمانة الدينية التى أخذت على أهل العلم إذ لم يؤمر الجاهل أن يسأل إلا بعد أن أخذ الميثاق على العالم أن يبين .

٨ـ من الأدب مع الوالد والعالم تكنيتهما والنداء لهما بأحب الألقاب والكنى، وخفض الصوت عند مخاطبتهما والتلطف بالعبارة عند سؤالهما، لأن ذلك من أدب الإسلام الرفيع الذى يزيد المودة والمحبة ، ويشرح الصدور ويسر النفوس إذ الإنسان مجبول على حب من يقدره ويوقره وأولى الناس بجلب محبته وإدخال السرور على فؤاده الوالد والشيخ العالم المربى .

٩- تقدير السلف الصالح لظروف الناس ، ومسارعة العالم إلى إزالة الحرج من نفسى طالب العلم، وسؤاله عما جاء به ليرتاح إلى السؤال وحفظ الجواب .

١٠- إجمال الجواب بنعم، ثم جواز التسبيح تعجباً والإتيان بالجواب تفصيلا بعد ذلك .

١١- لا ينبغى للإنسان أن يظن بأهله السوء بدون بينة ولا يسأل عن الأمر الذى لم يقع كيف الأمر إن وقع لأن ذلك من التعريض المذموم شرعاً وعقلا ثم إن البلاء موكل بالمنطق .

١٢- إبهام الراوى اسم صاحب القصة من الآداب الإسلامية إذ معرفته على التعيين لا يترتب عليها حكم ولا تتعلق بها فائدة أكثر من أنه أول من سأل هذا السؤال وأنه سبب لنزول الآيات الكريمات وهذا حاصل بدون ذكر الاسم على أنه ذكر فى روايات أخرى ومعروف أن الستر على المسلم مطلوب .

١٣- وضع المسائل المشكلة والمعضلة التى تتعلق بالحياة الأسرية على أهل العلم وطلب رأيهم فيها إذ لم يكن نص من كتاب وسنة يرجع إليه فى ذلك .

١٤- يعلم الصحابة رضوان الله عليهم عظمة اتهام الناس بالفاحشة ونشرالسوء بين الناس ولكن الغيرة على الأهل والمحارم تجعل الرجل يظن ظناً لا يليق به فى اعتدال عقله وسلامة دينه لأنه ظن مبنى على أساس ضعيف لا يرقى إلى اليقين عند التثبت ، لذاكره كثير من السلف الإكثار من الغيرة على الأهل بدون ريبة لأن ذلك يجعلهم فى محل الريبة عند من لا يعلم عفتهم وطهارتهم .

١٥- من رأى الريبة فى أهله وسكت عليها سكت على أمر عظيم لأنه بذلك يقر الفاحشة فى أهله فيصير ديوثاً وكفى بذلك سوءا فى الشرع والعقل .

١٦- النبى ﷺ لا ينطق عن الهوى ، ولا يقدم على الرأى والاجتهاد فى الأمور التى يرتقب أن ينزل فيها وحى من الله تعالى ، ولعلمه ﷺ أن الله أجل من أن يهمل حكم المسائل الواقعة المتعلقة بالحياة الزوجية إذ سلامة الدنيا والآخرة مبنية على سلامة وطهارة العلاقات الزوجية والأسرية ، لذا لم يجب هذا المعرض بأهله لأمور منها أن الذى ذكره سؤال غير محدد وغير موجه من شخص بعينه إلى شخص معروف ثم إن هذه الأمور حرجة فى الإسلام جداً وتوجيهها هكذا على الإطلاق لا يرضى النبىﷺ لشدة حيائه وحبه لسلامة المجتمع الإسلامى من الفواحش الظاهرة والباطنة ، ولعله يكون من وسوسة الشيطان لهذا الرجل ، فإذا سكت عنه راجع نفسه واستعاذ من الشيطان فيكون قد ترك له باب الرجعة مفتوحاً . هذا بالإضافة إلى أن الحكم فى الأمر المعرض به لم ينزل بعد ، لذا عندما رجع الرجل ثانية وأعلن أنه ابتلى بما قدم ذكره والبلاء موكل بالمنطق - استجاب الله له وأنزل قرآناً يتلى ويطبق حكما فيه وفى من حاله كحاله إلى الأبد.

١٧- القاضى إذا تبين له الحكم الشرعى وتوفرت أركان تطبيقه لا يؤخره، لذا عندما نزل الحكم فى هذه المسألة على النبىﷺ وكانت مطروحة بدأ بالمدعى ووعظه وذكره وشرح له أن الأمر خطير جداً فيه عذاب دنيوى وأخروى وأن الدنيوى أهون من الأخروى لأنه منقطع بآلام من آثار الضرب أو الكلام الذى يتوقع أن ينال المرء فى حياته من مجتمعه إذا تعرض لمثل هذا ، أما العذاب الأخروى فإنه لا يعلمه إلا الله العظيم . ومن حملته الجرأة على الله فحلف به هذه الأيمان المغلظة ولعن على نفسه فى الخامسة فإنه إما أن يكون صادقاً فعذابه فى الدنيا أن يفرق بينه وبين زوجه وإما أن يكون كاذبا فيستحق سخط الله وعذابه الأليم .

١٨- على القاضى أن يتبع هذا المنهج فى الحكم مع الخصماء لأنه لو كان هذا الرجل على غير يقين وأثارت فيه الموعظة كامن الإيمان

والورع فرجع عن قذفه لزوجه انتهت المشكلة على أقل من اللعان والفراق . وبعض الناس يركب رأسه ويتبع هواه ويطيع الشيطان فى حال غفلة وجهل بالعواقب فإذا وجد قاضيا صالحا مصلحا أو عالما ربانياً مؤثراً لصدق لهجته ونصحه لربه ورسوله وعباد الله تعالى انتزعاه من حبال الهوى والشيطان وجذباه إلى الإيمان والتوبة النصوح وزينا له الندم على ما ارتكب من الدعاوى الباطلة ، وقاداه بدون إصدار حكم شرعى عليه إلى الصلح أو الإقلاع والندم إذا كان غير محق.

١٩- اللعان نادر فى التاريخ الإسلامى لأن الغالب على المسلمات الطهارة والعفاف والأكثر فى الأزواج صيانة زوجاتهم من مواطن الريب وفى الطلاق عند وجود الشكوك مندوحة إذ أن الزوج إذا تشوش خاطره وتكدر صفو وده لزوجه قل أن يرتاح لها أو يركن إلى الثقة بها ، وعندها كان التخلص منها أريح له من قذفها والدخول معها فى صراع لا زوجية معه. والزوج الفاسق الفاسد الذى يطلق الحبل على الغارب لزوجة تجول فى الأسواق والمسارح وتسافر مع الصالح والطالح لا يرجى منه خير لنفسه فكيف بالغيرة على زوجه ومحارمه ولا يخشى منه أيضاً والحالة هذه أن يعلن قذفه لها والتبرى من حمل علق بها فإن فعل فالبينة وإلا عاد الأمر عليه وانكشف أمام الناس والقضاة بأنه ليس بالرجل الذى يطلب الطهارة والعفاف لنفسه فكيف يطالب بها غيره . على أن عدم تطبيق أحكام الله فى عباد الله تعالى فى كثير من بلاد الله جعل الأمر فوضى ، فكم من طاهرة قذفت من فاجر وكم من عاهر تجاهر بفجوره وكشف ستر الله عن وجهه فصار ممقوتاً من ربه تافها بين بنى عمومته والصالحين من قومه .

٢٠- التلاعن بين الزوجين يكون بعد بيان الحكم الشرعى لهما فى الآيات الكريمات بتلاوتها على الرجل المدعى ووعظه وتذكيره بأن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة لعله يقلع وينزجر إن لم يكن على

يقين مما قذف به .

٢١- استدعاء المرأة المقذوفة وتلاوة الآيات الكريمات عليها ووعظها وتذكيرها بأن عذاب الدنيا بالرجم للزانى أهون من عذاب الله تعالى فى الآخرة.

٢٢- فإن أصرا ولم ينكث أحد منهما جرى اللعان بينهما كما فى الآيات وكان الفراق بينهما والله تعالى يعلم أن أحدهما كاذب ،ثم إن الولد إن كان نسب إلى المرأة .

٢٣- اللعان له مدة فى الشريعة الإسلامية إذا كان لقصد الانتفاء من الولد وذلك فى مدة الحمل وأن يكون قد أشهد على طهارة الرحم وجاءت على ذلك مدة سنتين عند بعض أهل العلم ومن علم بالحمل وسكت أو أقر بولده ولو طرفة عين لا يمكنه الانتفاء منه بعد ذلك . ويمكن الرجوع عند تدريس هذا الكتاب إلى كتب التفسير وشراح هذه الأحاديث لمعرفة ما للعلماء من خلاف وشروط فى اللعان وما يترتب عليه من أحكام وآثار .

٢٤- إن العصمة من الذنوب والمعاصى الكبار إنما هى للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، لذا فإن الولى أو الصالح أو المؤمن والعالم يجرى عليهم القدر كغيرهم من الناس ، ولكن الله تعالى بمنه يحفظ أهل طاعته وخصوصاً إذا أخذوا بالحيطة والتحفظ من حصول خلوة بأجنبية، والابتهال إلى الله تعالى بدوام السلامة والعافية من الكبائر والإكثار من التوبة والاستغفار من الصغائر لأن الإصرار عليها يعد كبيرة والمعصية تطلب أختها كما أن الطاعة تدل على الطاعة . وإنه يجب على الرجل المسلم صيانة أهله ومولياته بإبعادهن عن مواطن الريب ولا يثق بهن ثقة تجعله يتقاضى عن سلوكهن وعلاقاتهن بالآخرين عموماً والأجانب خصوصاً خدما كانوا أم أقارب .. لأن الشيطان عدو للإنسان .

من وعظ الله تعالى لعباده الصالحين
فى أبنائهم الفاسدين

قال الله تعالى :

﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) ﴾ (١) .

تفسير الآية الكريمة :

لما سأل نوح ربه فى قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) ﴾ (٢) .

استجاب الله دعاءه وأمره بقوله جل وعلا :

﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٣٧) ﴾ (٣) .

وكان ابن نوح عليه السلام من المستثنين فى قوله تعالى :

﴿ وأهلك إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ﴾ (٤) .

لأنه من الذين ظلموا ، وقد فرغ من الحكم عليه بالغرق ، وكان نوح عليه السلام لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله ولم يطلعه الله على أن ابنه كان من المشركين الظالمين الذين عملوا عملاً غير صالح لوضعهم الشيء فى غير موضعه بتكذيبهم لعبد الله ورسوله ، فلما نادى نوح ابنه بالركوب معه فى السفينة ليكون من الناجين وامتنع إنفاذاً لقضاء الله وقدره توجه نوح إلى ربه فى إنقاذ ابنه من الغرق إذ ﴿ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ ﴾ ولم يكن هذا المغرق ممن يستحق الرحمة لأنه كان مخالفاً لأبيه فى النية والعمل كأمه التى ذكر الله تعالى شأنها

---

(١) سورة هود الآية (٤٦) . (٢) سورة نوح الآية (٢٦).

(٣) سورة هود الآية (٣٧) . (٤) سورة هود الآية (٤٠).

وضرب بها المثل (١) فى الخيانة حيث كانت بمثابة الجاسوس عليه وتقول للناس : إنه مجنون (٢) .

ولما كان بعض الناس يقول فى تفسير قوله تعالى : ﴿ إنه ليس من أهلك ﴾ أنه ليس لصلبه ، والعلماء يقولون : إنه ما فجرت امرأة نبى قط ، والله تعالى قال : ﴿ ونادى نوح ابنه ﴾ ناقش ابن جرير الطبرى هذه المسألة وما ورد فيها ثم قال : (قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب ، قول من قال : (تأويل ذلك : إنه ليس من أهلك الذى وعدتك أن أنجيهم ، لأنه كان لدينك مخالفا ، وبى كافرا ـ وكان ابنه « لأن الله تعالى ذكره قد أخبر نبيه محمداً ﷺ أنه ابنه فقال : ﴿ ونادى نوح ابنه ﴾ ، وغير جائز أن يخبر أنه « ابنه » فيكون بخلاف ما أخبر . وليس فى قوله : ﴿ إنه ليس من أهلك ﴾ ، دلالة على أنه ليس بابنه ، إذ كان قوله ﴿ ليس من أهلك ﴾ محتملا من المعنى ما ذكرنا ، ومحتملا : « إنه ليس من أهل دينك » ، ثم يحذف « الدين » فيقال : إنه ليس من أهلك ، كما قيل : ﴿ واسأل القرية التى كنا فيها ﴾ (٣) .

ثم وعظ الله تعالى نبيه أن يسأله عما لم يُعلمه به من أسباب أفعاله أو أنه يجهل أن الله أجاب دعوته فى إهلاك الكفار الذين منهم ابنه لأنه كان لا يعلم أنه يبطن الكفر الذى به استحق الغرق والهلاك .

وقيل لسعيد بن جبير يقول نوح ـ عليه السلام ـ ﴿ إن ابنى من أهلى ﴾ أكان من أهله ؟ أكان ابنه ؟

فسبح الله طويلاً ثم قال : لا إله إلا الله ! يحدث الله محمدا ﷺ أنه ابنه ، وتقول إنه ليس ابنه ! نعم كان ابنه ؛ ولكن كان مخالفاً فى النية والدين ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ إنه ليس من أهلك ﴾ .

---

(١) سورة التحريم آية (١٠) .

(٢) تفسير الطبرى ٣٤٣/١٥ كما حكى الله تعالى عنهم فيه : ﴿ إن هو إلا رجل به جنة ﴾ المؤمنون آية ٢٥ .

(٣) نفسه ٣٤٦ والآية من سورة يوسف ٨٢.

﴿ إنه عمل غير صالح ﴾ : قيل الولد قد يسمى عملاً كما يسمى كسبا ، كما فى الخبر : أولادكم من كسبكم [١] .

قال القرطبى : في هذه الآية تسلية للخلق فى فساد أبنائهم وإن كانوا صالحين . وروى أن ابن مالك بن أنس نزل من فوق ومعه حمام قد غطاه ، قال: فعلم مالك أنه قد فهمه الناس، فقال مالك: الأدب أدب الله لا أدب الآباء والأمهات، والخير خير الله لا خير الآباء والأمهات [٢] .

وفى الآية دليل على أن الولد للفراش وأن الابن من الأهل لغة وشرعاً .

قال القرطبى : (الخامسة ـ قوله تعالى : ﴿ إنى أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ . أي أنهاك عن هذا السؤال ، وأحذرك لئلا تكون ، أو كراهية أن تكون من الجاهلين . أى الآثمين . ومنه قوله تعالى : ﴿ يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ﴾ [٣] . أى يحذركم الله وينهاكم ، وقيل : المعنى أرفعك أن تكون من الجاهلين . قال ابن العربى : وهذه زيادة من الله وموعظة يرفع بها نوحاً عن مقام الجاهلين ، ويعليه بها إلى مقام العلماء العارفين [٤] .

قوله تعالى : ﴿ فلا تسألنى ما ليس لك به علم ﴾ : قال ابن عطية: أى : إذا وعدتك فاعلم يقينا أنه لا خلف فى الوعد ، فإذا رأيت ولدك لم يحمل فكان الواجب عليك أن تقف وتعلم أن ذلك واجب بحق عند الله ..ولكن نوحا عليه السلام حملته شفقة النبوة وسجية البشر على التعرض لنفحات الرحمة والتذكير ، وعلى هذا القدر وقع عتابه ، ولذلك جاء بتلطف وترفيع فى قوله : ﴿ إنى أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾[٥] .

يقول الشوكانى فى قوله تعالى : ﴿ فلا تسألن ما ليس لك به علم ﴾

---

(١) سنن أبى داود ٣/ ٨٠٠ .
(٢) القرطبى ٩/ ٤٧ .
(٣) سورة النور آية (١٧)
(٤) القرطبى ٩/ ٤٨ .
(٥) المحرر الوجيز ٧/ ٣١٣ـ٣١٤ .

لما بين له بطلان ما اعتقده من كونه من أهله فرع على ذلك النهى ، وهو وإن كان نهيا عاما بحيث يشمل كل سؤال لا يعلم صاحبه أن حصول مطلوبه منه صواب، فهو يدخل تحته سؤاله هذا دخولا أولياً ، وفيه عدم جواز الدعاء بما لا يعلم الإنسان مطابقته للشرع ، وسمى دعاءه سؤالا لتضمنه معنى السؤال .

﴿ إنى أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ أى أحذرك أن تكون من الجاهلين ، كقوله : ﴿ يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً ﴾ وقيل المعنى : أرفعك أن تكون من الجاهلين [1] .

(٢) فتح القدير ٢/٥٠٢-٥٠٣ .

من وعظ الصالحين لأبنائهم الفاسدين

قال الله تعالي: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) ﴾ (١).

قال ابن كثير فى تفسير هذه الآية :

(يقول تعالى مخبرا عن وصية لقمان لولده (٢) .. وقد ذكره الله تعالى بأحسن الذكر وأنه أتاه الحكمة وهو يوصى ولده الذى هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف ولهذا أوصاه أولاً : بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً) (٣).

وأما كونه من الذين آتاهم الله الحكمة فذلك نص القران الكريم إذ يقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) ﴾ (٤).

وقد روى البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء عند هذه الآية عن عبد الله هو ابن مسعود ﷺ قال : (لما نزلت : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾ (٥) شق ذلك على المسلمين فقالوا : يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال : ليس ذلك ، إنما هو الشرك ، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه : ﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (٦) وقد بين الحافظ ابن حجر فى فتح البارى معنى هذه الآية وما ورد فيها من آثار حيث قال : إن الشرك أعظم الظلم ولا ظلم أعظم منه ولذا طابت أنفس الصحابة رضوان الله عليهم لما بين لهم النبى ﷺ آن درجات الظلم والمعاصى متفاوته وأن الشرك أعظمها وأعلاها وهم لم يلبسوا

---

(١) سورة لقمان الآية (١٣) .
(٢) وهو لقمان بن عنقاء بن سدون انظر فتح البارى ٤٦٦/٦ .
(٣) المصدر المذكور ٤٤٤/٣ .
(٤) سورة لقمان الآية (١٢) .
(٥) سورة الأنعام الآية (٨٢) .
(٦) فتح البارى ٤٦٥/٦ .

إيمانهم بشرك صريح ولا نفاق فلم يرتدوا ولم ينافقوا [1].

وقد أخذ بعض العلماء من بيان النبى ﷺ للصحابة أن المراد بالظلم هنا الشرك أن هذا الحكم من الله تعالى لا من كلام لقمان الحكيم لذا سكن إشفاقهم (وإنما يسكن إشفاقهم بأن يكون خبرا من الله تعالى ، وقد يسكن الإشفاق بأن يذكر الله عز وجل ذلك عن عبد قد وصفه بالحكمة والسداد) [2].

وعلى أن هذه الآية معطوفة على التى قبلها فإن التقدير كما يقول الشوكانى يكون : (آتينا لقمان الحكمة حين جعلناه شاكراً فى نفسه واعظا لغيره ...(وهو يعظه) : يخاطبه بالمواعظ التى ترغبه فى التوحيد وتصده عن الشرك ، (يا بنى لا تشرك بالله) : ونهيه عن الشرك يدل على أنه كان كافرا ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ ؛ تعليل لما قبلها ، وبدأ فى وعظه بنهيه عن الشرك لأنه أهم من غيره) [3].

وملخص ما قاله الآلوسى فى هذه الآية هو مايأتى :

١ـ (يا بنى) : تصغير إشفاق ومحبة لا تصغير تحقير .

٢ـ (لا تشرك بالله) : قيل : كان ابنه كافرا ولذا نهاه عن الشرك، فلم يزل يعظه حتى أسلم ،وكذا قيل فى امرأته .

وقيل : كان مسلما والنهى عن الشرك تحذير له عن صدوره منه فى المستقبل .

٣ـ (إن الشرك لظلم عظيم) الظاهر أن هذا من كلام لقمان ، وقيل : هو خبر من الله تعالى شأنه منقطع عن كلام لقمان متصل به فى تأكيد المعنى .

٤ـ وكون الشرك ظلما لما فيه من وضع الشيء فى غير موضعه

---

(١) انظر فتح البارى ٨٧/١ ، ٨٩. (٢) المحرر الوجيز ٤٩٢/١١ والقرطبى ٦٢/١٤ .

(٣) فتح القدير ٢٣٧/٣ ، ٢٣٨ .

وكونه عظيما لما فيه من التسوية بين من لا نعمة إلا منه سبحانه ومن لا نعمة له .

٥- عن حفص بن عمر الكندى قال وضع لقمان جرابا من خردل وجعل يعظ ابنه موعظة ويخرج خردلة فنفد الخردل ، فقال : يا بنى لقد وعظتك موعظة لو وعظتها جبلا لتفطر فتفطر ابنه [١] .

٦- قال ابن عطية : (وحكم لقمان كثيرة مأثورة ، قيل له : أى الناس شر ؟ قال الذى لا يبالى إذا رآه الناس مسيئا [٢] .

٧- عن القاسم بن مخيمرة قال : قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بنى إياك والشبع فإنه مخونة بالليل ومذلة بالنهار - أو قال : ومذمة بالنهار [٣] . عن عبد الواحد عن كعب قال : قال لقمان الحكيم فيما يعظ به ابنه يا بنى أقم الصلاة فإن مثلها فى دين الله كمثل عمود فسطاط ، فإن العمود استقام نفعت الأوتاد والأطناب والظلال . فإذا مال العمود أو تغير لم ينفع وتد ولا طنب ولا ظلال . يا بنى وإنما مثل الأدب الحسن كمثل طاق فى جدار بين كل طبقتين خشب مغروس فكلما تحات طبقة أمسكه خشبه بإذن الله ، إن الله إذا سجد له شىء لم يقلع من نظر الله فإذا قال يارب يارب سمع نداءه وأجابه ، وكن عبداً لمن صحبك يكن لك عبدا ، ولا تصاعر خدك للناس فيبغضوك، والله أشد منهم مقتاً ، وتصدق يابنى من فضل ما أعطاك ربك يزدك من فضله ويطفىء عنك غضبه وارحم الجار الفقير والمسكين والمملوك والأسير والخائف ، واليتيم فأدنه وامسح رأسه فإن الله يرحمك إذا رحمت عباده [٤] .

---

(١) روح المعانى للآلوسى ٢١/٨٤- ٨٥ . (٢) المصدر المذكور ١١/٤٩١ .

(٣) حلى الأولياء لأبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى ٦/٨٢. دار الفكر .

(٤) حلية الأولياء ٦/١٩.

من أخبار لقمان الحكيم

ورد من أخباره ما يأتى باختصار [1]:

١- قيل كان حبشيا . ٢- قيل كان نوبيا .

٣- قيل كان نبيا . ٤- قيل كان رجلا صالحا .

٥- قيل كان ابن أخت أيوب . ٦- وقيل ابن خالته .

٧- عن ابن عباس رضي الله عنهما (قال : كان عبدا حبشيا نجارا) .

٨- أنه كان مولى لقوم من الأزد .

٩- وعن سعيد بن المسيب : (كان لقمان من سودان مصر ذو مشافر ، أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة) .

١٠- وعن أنس رضي الله عنه قال : (كان لقمان عند داوود عليه السلام وهو يسرد الدرع ، فجعل لقمان يتعجب ويريد أن يسأله عن فائدته فتمنعه حكمته أن يسأل) .

١١- قال الحافظ ابن حجر : (والصحيح أنه كان فى زمن داوود) .

١٢- وعن مجاهد أنه كان قاضيا على بنى إسرائيل زمن داوود عليه السلام ، وقيل إنه كان يفتى قبل بعث داوود .

١٣- ويقال أن عكرمة تفرد بقوله : كان نبيا . وعن مجاهد : كان صالحا ولم يكن نبيا .

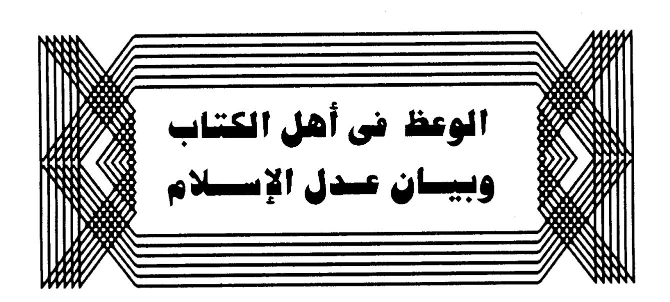
١٤- وعن قتادة أن لقمان خُيِّرَ بين الحكمة والنبوة فاختار الحكمة ، فسئل عن ذلك فقال : خفت أن أضعف عن حمل أعباء النبوة .

١٥- وعنه أيضاً فى قوله تعالى: ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ﴾ قال : التفقه فى الدين ولم يكن نبيا .

١٦- وقل كان خياطا ، وراعيا .

---

(١) يراجع فى هذا كله تفسير ابن عطيه ٤٨٩/١١ - ٤٩١ وفتح البارى ٤٦٦/٦ .


الوعظ فى أهل الكتاب
وبيـان عـدل الإسـلام

عن العرباض بن سارية السلمى ﷺ ، قال : نزلنا مع النبى ﷺ خيبر ومعه من معه من أصحابه ، وكان صاحب خيبر رجلا ماردا منكرا ، فأقبل إلى النبى ﷺ فقال : يامحمد ، ألكم أن تذبحوا حمرنا، وتأكلوا ثمرنا ، وتضربوا نسائنا ؟!

فغضب ـ يعنى النبى ﷺ ـ وقال :

(يا ابن عوف اركب فرسك) ثم ناد (ألا إن الجنة لا تحل إلا لمؤمن ، وأن اجتمعوا للصلاة) قال : فاجتمعوا ثم صلى بهم النبى ﷺ ثم قام فقال : (أيحسب أحدكم متكئاً على أريكته قد يظن أن الله لم يحرم شيئا إلا ما فى هذا القرآن ، ألا وإنى والله قد وعظت وأمرت ونهيت عن أشياء ، إنها لمثل القرآن أو أكثر ، وإن الله عز وجل لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ، ولا ضرب نسائهم ، ولا أكل ثمارهم ، إذا أعطوكم الذى عليهم) .

معانى الغريب :

ماردا : المارد المتعرى من الخيرات ، أى أنه تجرد عن المحاسن وخرج عن الطاعة .

منكرا : قبيحا فى هيئته التى جاء بها مع مكر وخداع ودهاء على خبث حيث يأتى بما تنكره العقول الصحيحة السليمة .

أريكته : منصة أو مقعدة على سرير تتخذ عادة للجلوس عليها والاتكاء على هيئة المترفين، ويفهم من هذا الوصف أن من هذا حاله لم يبذل جهداً فى طلب العلم ثم تقول من عنده ما لا علم له به وادعى ما لا تحمد عقباه .

صاحب خيبر : زعيم اليهود بها ورئيسهم الذى يطيعونه .

من فوائد الحديث :

١ـ غزو أهل الكتاب فى عقر دارهم وحصارهم فى حصونهم.

٢- خروج النبى ﷺ بنفسه للجهاد في سبيل الله تعالى بجيش جمع جمعاً من أصحابه رضوان الله عليهم لأن يهود خيبر تكررت منهم الخيانة ونكثوا العهود ولهم قوة ومنعة من المال والحصون الطويلة .

٣- أهل الفظاظة والطيش إذا لم يقيدهم علم أو إيمان لا يتقيدون بأدب ولو مع أنبياء الله تعالى ورئيس أهل خيبر هذا يدل كلامه وطريقة أسلوبه أنه كما وصفه هذا الصحابى الجليل رجل مارد منكر .

٤- إن اليهود فى المدينة كانوا مع حسدهم وعنادهم للنبى ﷺ يوقرونه ويكنونه بكنيته ولا يخاطبونه إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، لأن الله تعالى وضع له القبول وجبل النفوس على محبته عند مشاهدة طلعته ، فمن خالف هذا الذى فطرت عليه الفطر السليمة علمنا أنه تمرد وتنمر وتنكر لما فى داخله من الواعظ الذى يزعه عن مخاطبة النبى ﷺ بأسلوب جاف ، ويرد عليه فى الأسئلة الإنكارية التى لا يخاطب بها من عنده عقله من هو فوقه فى السن أو المكانة وأحرى نبيا ختمت به الرسالات وفضله على الخلق رب الأرض والسماوات . وهذا اليهودى يعلم ذلك علما يقينيا ولكنهم قوم بهت .

٥- إن اليهود يعلمون أن النبى ﷺ ليس بفظ ولا غليظ ولا يجازى بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح لذا يجترءون عليه فى المخاطبة وغرائب الأسئلة ثم إنهم يعلمون أنه ما جاء ليفسد فى الأرض ووصاياه بالكف عن النساء والأموال والثمار وغير ذلك معلومة عندهم مشهورة لذا شنع هذا المارد فى أسئلته ، بإيراد ذبح الحمر الأهلية لأن المصلحة العامة من إصلاح الزرع وجلب الماء وركوب الضعفة متعلقة بها ، وشنع كذلك بأن الجيش أكل الثمار وضرب النساء ونص على هذه لما يعلم من أن ذلك العمل يغضب النبى ﷺ وأن عدل الإسلام الذى جاء به يأباه ولا يقره .

وقديما مارس اليهود وظائف الشيطان من أذية الأنبياء وقتلهم وإفشاء الأسرار ونشر النميمة واتباع أسلوب التحريش لإفساد ذات البين

وإغضاب الولاة على جيوشهم ومواطنيهم وشعوبهم .

٦ـ تواضع النبى ﷺ . وأن غضبه لله تعالى وفزعه دائما إليه تعالى حيث إن قلبه دائما معلق بربه فإذا رغب فإنما يرغب بالجنة وإذا توعد فإنما يتوعد الكفار والعصاة بعذاب الله تعالى .

وإذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة لأن قرة عينه فى مناجاة ربه وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ومن أراد أن يخاطب الرحمن بلا ترجمان فليقرأ القرآن . فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر لما فيها من الخشوع والخضوع والتذلل والتعظيم لله تعالى ، فالمؤمن إذا وعد بالجنة ورغّب فيها ووقف فى صف من المؤمنين فى الصلاة انشرح صدره وسطع فى قلبه نور الإيمان فاطمأنت روحه لوعد الله الحسن فتلقى العلم والأوامر مهما كانت بغبطة وسرور فامتثلها والتزمها .

٧ـ وهذا هو الرحمة المهداة والأسوة الحسنة للدعاة ﷺ أمر عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بأن يركب فرسه وينادى فى الناس بصوته الجهورى مع ارتفاع الفرس وسرعة عدوة : (ألا إن الجنة لا تحل إلا لمؤمن وأن اجتمعوا للصلاة) إنه موقف باهر اشتمل على دعوة عملية لأهل خيبر وغيرهم حيث شاهدوا غضب النبى ﷺ انتصارا للحق مع شنآن اليهود وبغضه لهم ومحاصرته لهم فى حصونهم وقتاله لهم، ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾.

وشاهد كذلك سرعة استجابة الجيش الذى ادعوا أنه ارتكب فى حقهم جرائم لقائده العظيم ، وشاهدوا وأشهدوا على أن الجنة لا تحل إلا لمؤمن وهم ليسوا من أهل الإيمان الذى يدخل صاحبه الجنة ، وفى هذا من إبطال ما يدعونه من الإيمان بالكتاب الذى ينتسبون إليه والنبى الذى يزعمون اتباعه ماهو جلى واضح علاوة على ما تضمن من التقريع والتوبيخ الذى يتغلغل إلى أعماقهم ولا يملكون دفعه ، ولا فى مقدورهم جوابا عنه ، ضف إلى ذلك مشهد الاجتماع إلى الصلاة فى

صفوف كبيرة خاشعة قانتة لله رب العالمين.

إنها مواقف ومشاهد افتقدها اليهود منذ عصور طويلة حيث حرفوا كتاب ربهم ولم يتناهوا عن منكر فعلوه إذ لا يغضبون لله ولا يتحاكمون إلى كتاب الله ولا يجتمعون إلى قائد واحد إذا ناداهم طاعة لله ﴿ بل قلوبهم شتى ﴾ وإن اجتمعوا من أجل مصالح دنيوية فى الظاهر فإن الحسد والحقد يأكل بعضهم على بعض بدليل سرعة فرقة كلمتهم وتكايدهم فيما بينهم .

وإن الدعاة إلى الله تعالى يحتاجون إلى تفهم هذه المواقف النبوية النيرة كما هم بحاجة إلى التعامل مع واقع اليهود الذى بينه الكتاب والسنة وألمحنا إليه هنا بومضة .

٨- إنها سنة رائعة فى جمع الكلمة والفزع إلى الله تعالى فى النوازل فينبغى نهجها فى الحالات التى سلكها النبى ﷺ فيها وكم فى جمع الناس للصلاة من فوائد ودلائل حسنة .

٩- لقد تحقق كثير من أعلام نبوة نبينا محمد ﷺ فى أمور كثيرة وفى أزمنة مختلفة ، والزمن الباقى قبل الآخرة سوف يتحقق فيه الباقى مما أخبر به المصطفى ﷺ وقد جمع بعض أهل العلم فى مؤلفات مستقلة وأبواب وفصول ضمن مؤلفاتهم فى النبوات والسير والحديث وما وقع لهم مما علموا وقوعه .

ومما تحقق: وجود رجل مترف جاهل بالدين ضال فى متاهات الفكر واتجاهات الناس فى مذاهبهم متبع لكل ناعق يتكىء على أريكته يقول : نحن قرآنيون ، أين هذا فى القرآن ؟ من قال بكذا فعلت به وفعلت لأنى لا أجده فى القرآن كيف تقول بتحريم كذا أو وجوب هذا وليس فيه آية من القرآن ؟ لا أعمل بأحاديث الآحاد فى كذا لأنها ظنية فأتنى بآية وإلا فاترك الحديث معى. هكذا قالوا ويقولون .. إن النبى ﷺ

قد حذر فى هذا الحديث الجليل من هذا الصنف من الجهال الماكرين الذين يدعون القرآنية والاقتصار على النصوص القرآنية فقط وهم بهذه الدعوة يتهربون من التمسك بالقرآن ويقعون فيما حرم القرآن ليحرموا ما أحل القرآن ويحلوا ماحرم القرآن . وكذبوا لو أرادوا طاعة القرآن لأخذوا بما أوجب عليهم القرآن من اتباع سنة من كلف بالبيان الذى هو أعلم الناس بما أراد الرحمن من تأويل أى القرآن. وإن دعواهم تلك لم تفت علماء الأمة بل قرروا شبهتهم وكشفوا عن مقاصدهم وانتصروا لكتاب ربهم وبينوا مكانة سنة نبيهم ﷺ وخفت صوت الخفافيش فى نور العلم والإيمان .

١٠- إن الصحابة رضوان الله عليهم لا يظن بهم أن يفرقوا بين وحى الله تعالى فى الأعمال والأحكام إذ إنهم يعلمون أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ . وأن هذا الذكر المحفوظ جاء بأحكام عامة ومجملة ، وجاء بخاص وعام ومخصوص ومطلق ومقيد وناسخ ومنسوخ وغير ذلك - وأن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يبين للناس الوحى المنزل بما أعطاه الله تعالى من وحى مع القرآن الكريم هو الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية الشريفة - وذلك أن الله تعالى قال : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ (١) . وقوله تعالى:

﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ﴾(٢) .

وانطلاقاً من هذه الآية قال الإمام الشافعى رحمه الله : إن النبى ﷺ ما حكم وما أفتى إلا بما أراه الله فى القرآن (٣) . وقد قال ﷺ : (ألا وإنى أوتيت الكتاب ومثله معه) (٤) .

---

(١) النحل آية (٤٤) . (٢) النساء آية (١٠٥)

(٣) الرسالة للإمام الشافعى ، بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ٨٨ ، ١٠٥ .

(٤) الفتح الربانى ١٩١/١ .

وكيف لا وقد قرر القرآن الكريم أنه ﷺ، لا ينطق عن الهوى ﴿ إن هو إلا وحى يوحى ﴾ (١) . وقد أجاب عبد الله بن عمرو رضي الله عنه بقوله : (اكتب)، فمن يعلم ذلك مع قوة الإيمان والاتباع التام لا يظن به أنه لا يحرم إلا ما فى القرآن أو يعلم السنة ولا يحكمها فى ميدان التحليل والتحريم ولكن من فاتته السنة ولم يحفظ نصا من القرآن الكريم فى مسألة فعليه أن يرجع إلى أهل العلم (فإنما شفاء العى السؤال)(٢) .

﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ (٣) . لذا فهم مازالوا فى زمن نزول الوحى وتجدد الأحكام وهذا الذى يخاطبهم به النبى ﷺ فى هذه الخطبة هو من الوحى الذى يتلقون أحكامه لأول مرة حيث أمرهم أن يكفؤا القدور التى فيها لحوم الحمر الأهلية وأن يجتنبوا متعة النساء وغير ذلك مما بادروا إلى امتثاله رضوان الله عليهم .

١١- يحلف الصادق فى أثناء خطبته بالله تعالى تأكيدا للسامعين وتنبيهاً لهم على قوة اهتمامه بالأمر وتعظيمه له ولو أنه يعلم أنه لا أحد منهم إلا وهو يصدقه ويفديه بأبيه وأمه ونفسه .

١٢- لا يحل لمسلم أن يفعل فعلا حتى يعلم حكم الله فيه وخصوصاً فى حضرة أهل العلم الذين لا يتأخرون عن إسعافه بالحكم وتبليغه العلم فإن فعل أو عمل قبل الرجوع إليهم كان بذلك كالمعترض على وحى الله أو من العاملين ببعض الكتاب دون بعض ويكون بذلك قد شابه اليهود الذين جاء رئيسهم للنبى ﷺ مشنعاً على الجيش ذاكراً لأمور علم أن الإسلام لا يقرها وأن النبى ﷺ يكف أصحابه عنها ويوصى قواده باجتنابها فكان هذا اليهودى مقرا على نفسه بنبوة محمد ﷺ وعدالة الإسلام الذى جاء به ، ولكنه حجبه الحسد عن الإيمان به وإظهار الشهادة التى يعلمها فى كتابه عن صدقه وعموم رسالته لمن كان له

---

(١) سورة النجم آية (٤) .
(٢) مشكاة المصابيح بتحقيق محمد ناصر الدين الألبانى ١/١٦٦ .
(٣) سورة النحل آية ٤٣ .

كتاب أو لم يكن له كتاب من العرب وغيرهم ، وإن ضمن إقراره ذلك وكتمانه لشهادة أخذها الله عليهم بتصديق نبى آخر الزمان الخاتم للنبوات والرسالات لدليل على أن اليهود يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فعلى المسلم أن يحذر من مشابهتهم .

١٣- صدق رسول الله ﷺ وبرّ ، إنه وعظ مواعظ بليغة اقشعرت منها الجلود ولانت لها القلوب ووجلت ، وذرفت منها العيون ، وارتفعت الأصوات بالبكاء والخنين ، فوعظنا فى أنفسنا ورغبنا فى طاعة ربنا وخوفنا من سوء عاقبة أمرنا ورهبنا من المعاصى وأسباب سخط الله تعالى ونادى فينا بلهجة صادق مشفق : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾(١). ومتّعنا قبل فراقه لنا إلى الرفيق الأعلى بوصايا تضىء لنا الطريق حتى نفد عليه فى عرصات القيامة ونرد حوضه ويسقينا بيده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبداً ونسعد سعادة لا شقاوة معها .

١٤- إنه لا يفرق بين الوحى فى الأوامر والنواهى إلا مخذول مفتون يميل به هواه عن قصد الاتباع ، والله تعالى يقول فى كتابه فى معرض الحض على لزوم ماجاء به النبى ﷺ : ﴿ ... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) ﴾ (٢). وإنه ﷺ الداعى لأمر الله المبلغ عن الله فلا يعلم مراد الله إلا عن طريقه ومن هنا قال بعض أهل العلم إن السنة حاكمة على القرآن لبيانها له محفوظة بحفظه لما هيأ الله تعالى لها من الجهابذة المخلصين لدينهم الذابين عن سنة نبيهم ﷺ .

١٥- إن عدل الإسلام يتجلى فى مجالات عديدة ويتضح فى مواقف كثيرة فمن محاسنه الظاهرة أنه دين سماوى محفوظ من التغيير والتبديل، لأن النبوات ختمت به والديانات كملت بكماله، وهذه المحاسن

---

(١) الأنفال آية (٢٤) . (٢) النور آية ٦٣ .

والميزات يُعلم منها أنه رحمة مهداة للناس عامة وهذه الرحمة الإلهية والنفحة الربانية مكلّلة بدعائم البقاء ، مشيدة على أركان الاستمرار ليتمكن من العيش فى ظلاله الوارفة المؤمن والمنافق والمسلم والكافر والموافق والمخالف والمطيع والمعاند ، والناصح والغاش والبر والفاجر والذمى والمعاهد . فيه يصان الدم والعرض والمال ، والضعيف فيه قوى حتى يؤخذ له حقه، والقوى ضعيف حتى يعطى الحق الذى عليه ، فى دوحته لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ولا قرار لجور ظالم ، الدماء محقونة إلا بحق الله تعالى والأموال محفوظة على أصحابها إذا أدوا حق الله فيها ، والأعراض محمية إلا بكلمة الله ، والعورات فيه مستورة بستر الله والبيوت آمنة بأمانة الله والأبشار سالمة إلا فى حد من حدود الله. لهذا وغيره جاء ذلك اليهودى المحارب طالباً عدل الإسلام ، ولما حصل غضب نبى الإسلامﷺ فجمع أصحابه وصلى بهم وخطب فيهم مبيناً مكانته من الله وأن وعظه وأوامره ونواهيه فى أعلى درجات وحى الله الذى تجب طاعته على عباد الله فلما عرفهم ذلك وعرفوه عاد لبيان حماية الإسلام لبيوت الناس وممتلكاتهم مسندا الأمر فى ذلك إلى الله بقوله : « وإن الله عز وجل لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن .. » .

إنه عدل فى ميدان المعركة لا تعرفه أمة إلا فى الإسلام ولا تطبقه روح لم تتذوق طعم الإيمان تراقب منهج الرحمن فى القرآن : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (١) .

لهذا قال الزبير رضي الله عنه ليهود خيبر بعد هذا بزمن لما جاءهم ليخرص ثمر النخيل عاملا عليهم من قبل النبى ﷺ وأرادوا دفع رشوة له ليتجاوز فى الخرص وأخذ المقادير ـ قال لهم : والله لقد أتيتكم من عند أحب الناس إلىّ وإنكم لأبغض الناس إلى، ووالله لا يحملونى حبى له وبغضكم

(١) المائدة آية (٨) .

على أن أظلمكم فعلام الرشوة ؟

١٦- وإننا فى هذه الأزمان قد تسلط اليهود بحبل من الناس على أهل الأرض عموما وعلى المسلمين خصوصاً فأظهروا العداوة والبغضاء وجاهروا بالتخطيط والتدبير لنشر الكفر والفساد ، وسخروا فى سبيل ذلك أنواع الوسائل ومن أطاعهم من طغاة المسلمين وجهلتهم حتى تغلغلوا بسبب ما أحدثوه من فرقة فى صفوف المسلمين إلى أعماق المجتمعات وتدخلوا فى شئون التعليم والسياسة واقترحوا البرامج والخطط والمناهج وأداروا الجامعات والمدارس وإذا نفذ السم إلى المقاتل ارتخت الأعصاب وخمدت حرارة البدن ، وهذا ما حصل فى كثير من بلاد المسلمين إذ تبلدت مشاعرهم وماتت غيرتهم الدينية فاستحسنوا المنكرات وانقادوا لأمر العصاة والطغاة ، واعتبروا العلماء الناصحين بغاة وحكموا فيهم حكم أولئك الجفاة في رسول رب الأرض والسماوات كما حكته الآيات :

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ (١) .

وإن علماء الأمة ورثة الأنبياء وهم فينا كأنبياء بنى إسرائيل وقد كانت بنو إسرائيل كما أخبر تعالى عنهم :

﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧) ﴾ (٢) .

فلنتعظ عن هذا المنهج اليهودى ولنعلم أن نجاتنا فى الدنيا من مكر الأعداء فى وحدة كلمتنا وطاعة علمائنا وولاة أمورنا :

﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ (٣) .

أما النجاة فى الآخرة من عذاب الله تعالى فبالإيمان واتباع منهج السنة والقرآن : ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (٤) .

والله أعلم وهو الهادى إلى سواء السبيل ..

---

(١) الأنفال آية (٣٠) . (٢) البقرة آية (٨٧)

(٣) آل عمران آية (١٢٠) . (٤) سورة النساء آية (٨٠) .

العاقبة الحسنة لمن تقبل الموعظة

١ـ قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) ﴾ [١].

تفسير الآية الكريمة :

يقول ابن عطية : (هذه آية خوطب بها جميع العالم ، والموعظة : القرآن لأن الوعظ إنما هو بقول يأمر بالمعروف ويزجر ويرقق ويوعد ويعد ، وهذه صفة الكتاب العزيز ، وقوله : (من ربكم) يريد : لم يختلقها محمد ﷺ ولا غيره ، بل هذ من عند الله عز وجل ، و (ما فى الصدور) يريد به الجهل والعتو عن النظر فى آيات الله تبارك وتعالى ونحو هذا مما يدافع الإيمان . وجعله موعظة بحسب الناس جميعاً، وجعله هدى ورحمة بحسب المؤمنين فقط ، وهذا تفسير صحيح المعنى إذا تؤمل بان وجهه) [٢].

ويقتصر القرطبى على بيان مفردات الآية الكريمة حسب ما يأتى عنه إذ يقول :

(قوله تعالى : يأيها الناس) : يعنى قريشا (قد جاءتكم موعظة): أى وعظ (من ربكم) : يعنى القرآن ، فيه مواعظ وحكم (وشفاء لما فى الصدور) : أى من الشك والنفاق والخلاف والشقاق (وهدى) : أى ورشد لمن اتبعه (ورحمة) أى نعمة : (للمؤمنين) : خصهم لأنهم المنتفعون بالإيمان ، والكل صفات القرآن) [٣].

إن القرآن الكريم موعظة من عند ربنا وشفاء منه لقلوبنا وأبداننا ودواء لما فى صدورنا من الجهل بالله وأحكام دينه فمن أخذ به هداه آلله

---

(١) سورة يونس الآية (٥٧).
(٢) المحرر الوجيز ١٦٧/٧ .
(٣) القرطبى ٣٥٣/٨ .

لمعرفة الحلال والحرام ودله على الطاعة وحذره من المعصية فكان رحمة له .

أما من لم يكن القرآن له عظة وذكري تذكره عذاب الله وتخوفه وعيده بأن كفر به أوشك فى أنه من الله تعالى لا من محمد ﷺ ولا من غيره أو قال إنه لا يأمن أن تكون نسبته لله غير صحيحة فهذا لا يكون له شفاء ولا هدى ولا رحمة . كما قال الطبرى : (فهو رحمه يرحم - الله - بها من شاء من خلقه ، فينقذه به من الضلالة إلى الهدى ، وينجيه من الهلاك والردى ، وجعله تبارك وتعالى رحمة للمؤمنين به دون الكافرين به ، لأن من كفر به فهو عليه عمى وفى الآخرة جزاؤه على الكفر به الخلود فى لظى) [1]. والعياذ بالله .

ويوجز ابن كثير تفسير هذه الآية فيقول رحمه الله تعالى : يقول تعالى ممتنا على خلقه بما انزله من القرآن العظيم ، على رسوله الكريم ﴿ يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم ﴾ : أى زاجر عن الفواحش وشفاء لما فى الصدور أى : من الشبه والشكوك وهو إزالة مافيها من رجس ودنس . وهدى ورحمة أى يحصل به الهداية والرحمة من الله تعالى ، وإنما ذلك للمؤمنين به المصدقين الموقنين بما فيه كقوله تعالى :

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [2]. وقوله :

﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾[3]. الآية [4].

وقريب مماقاله ابن كثير ما يأتى عن الشوكانى إذ يقول فى تفسير هذه الآية الكريمة : ﴿ يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم ﴾ :

---

(١) تفسير الطبرى ١٥/١٠٤-١٠٥ . (٢) سورة الإسراء الآية (٨٢) .
(٣) ابن كثير ٢/٤٢٠ ، ٤٢١ . (٤) سورة فصلت الآية (٤٤) .

يعنى القرآن فيه ما يتعظ به من قرأه وعرف معناه، والوعظ فى الأصل: هو التذكير بالعواقب سواء كان بالترغيب أو الترهيب ، والواعظ هو كالطبيب ينهى المريض عما يضره ... (وشفاءلما فى الصدور) : من الشكوك التى تعترى بعض المرتابين لوجود ما يستفاد منه فيه من العقائد الحقة واشتماله على تزييف العقائد الباطلة ، (والهدى) : الإرشاد لمن اتبع القرآن ، وتفكر فيه وتدبر معانيه إلى الطريق الموصلة إلى الجنة ، والرحمة : هى ما يوجد فى الكتاب العزيز من الأمور التى يرحم الله بها عباده ، فيطلبها من أراد ذلك حتى ينالها ، فالقرآن العظيم مشتمل على هذه الأمور)[1]. ويحسن أن نجلب هنا ما أورده الشوكانى من التفسير بالمأثور عن الشفاء المراد فى هذه الآية الكريمة والقرآن عموماً :

١ـ عن أبى الأحوص قال : جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال : إن أخى يشتكى بطنه ، فوصف له الخمر ، فقال : سبحان الله ما جعل الله فى رجس شفاء ، إنما الشفاء فى شيء من القرآن والعسل ، فهما شفاء لما فى الصدور وشفاء للناس[2]..

٢ـ وعن الحسن قال : (إن الله جعل القرآن شفاء لما فى الصدور ، ولم يجعله شفاء لأمراضكم) [3].

٣ـ وعن أبى سعيد الخدرى قال : (جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إنى أشتكى صدرى ، فقال : إقرأ القرآن ، يقول الله : شفاء لما فى الصدور)[4].

٤ـ وعن واثلة بن الأسقع أن رجلا شكا إلى النبى ﷺ وجع حلقه قال : (عليك بقراءة القرآن والعسل ، فالقرآن شفاء لما فى الصدور

---

(١) فتح القدير ٤٥٣/٢ .
(٢) الطبرانى وأبو الشيخ .
(٣) أبو الشيخ .
(٤) ابن المنذر وابن مردوية .

والعسل شفاء من كل داء) [١].

ويتلخص من تفسير الألوسى لهذه الآية ما يأتى :

١) قال بعد نص الآية الكريمة (التفات ورجوع إلى أستمالتهم نحو الحق واستنزالهم إلى قبوله واتباعه غب تحذيرهم من غوائل الضلال بما تلا عليهم من القوارع وايذان بأن جميع ذلك مسوق لمصالحهم ...).

٢) وبعد أن بين أن الخطاب للعموم غير خاص بقريش كما ذهب إليه بعضهم قال : (والموعظة كالوعظ والعظة تذكير ما يلين القلب من الثواب والعقاب ، وقيل : زجر مقترن بتخويف) .

٣) (والشفاء الدواء ويجمع على أشفيه وجمع الجمع أشافى)

٤) (والمراد قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع كاشف عن أحوال الأعمال حسناتها وسيئاتها مرغب فى الأولى ورادع عن الأخرى ومبين للمعارف الحقة المزيلة لأدواء الشكوك وسوء مزاج الاعتقاد وهاد إلى طريق الحق واليقين بالإرشاد إلى الاستدلال بالدائل الآفاقية والأنفسية ، ورحمة للمؤمنين حيث نجوا به من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان وتخلصوا من دركات النيران وارتقوا إلى درجات الجنان).

٥) فالقرآن واعظ بما فيه من الترهيب والترغيب ، أو بما فيه من الزجر عن المعاصى كيفما كانت ، المقترن بالتخويف فقط بناء على التفسير الثانى للموعظة .

٦) وشاف لما فى الصدور من الأدواء المفضية إلى الهلاك كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها .

٧) ومرشد ببيان ما يليق وما لا يليق إلى ما فيه النجا والفوز

---

(١) البيهقى فى شعب الإيمان .

بالنعيم الدائم أو موصل إلى ذلك .

٨) وسبب الرحمة للمؤمنين الذين آمنوا به وامتثلوا ما فيه من الأحكام .

٩) واستدل كما قال الجلال السيوطى بالآية على أن القرآن يشفى من الأمراض البدنية كما يشفى من الأمراض القلبية ـ قال:

١٠) ونحن لا ننكر أن قراءة القرآن بركة قد يذهب الله تعالى بسببها الأمراض والأوجاع ، وإنما ننكر الاستدلال بالآية على ذلك .

١١) وتأول حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ المتقدم بأنه وإن كان ظاهراً فى المقصود لكن ينبغى تأويله كأن يقال : لعله ﷺ اطلع على أن في صدر الرجل مرضا معنويا قلبيا قد صار سببا للمرض الحسى البدنى فأمره عليه الصلاة والسلام بقراءة القرآن ليزول عنه الأول فيزول الثانى.

١٢- ولا يستبعد كون بعض الأمراض القلبية قد يكون سبباً لبعض الأمراض البدنية فإنا نرى أن نحو الحسد والحقد قد يكون سببا لذلك . ومن كلامهم : لله تعالى در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله [1].

---

(١) روح المعانى ١١/١٣٩ ، ١٤٠.

العاقبة السيئة لمن أعرض عن الموعظة

١ـ قال الله تعالى :

﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) ﴾ (١) .

تفسير الآية الكريمة :

إن الذى يريد أن يفهم مدلول سخرية هؤلاء الكفرة المردة من نبى الله هود عليه السلام ، عليه أن يطالع القرآن وتفسيره ويجمع آيات فى سورة هود وغيرها حتى يعرف ما كانت عليه عاد قوم هود من الترف والطغيان ، وما ارتكبوه من الكفر والعصيان ، والصد والإعراض عن داعى الإيمان ، وما أخبرنا الله من أخبار هذا النبى الكريم مع قومه من النصح والتذكير والوعظ والتخويف من سوء عاقبة التكذيب له ، ولما جاء به من عند الله وما ضربه لهم من الأمثال بقوم نوح وما حل بهم من نقمة الله تعالى حتى أغرقهم بالماء الذى هو عصب حياتهم فقلب عليهم النعم نقما والعياذ بالله . إذا عرف ذلك عليه أن يعرف أنهم وصلوا إلى نهاية لا يرجى لهم معها فلاح حيث أغلقوا الباب فى وجه دعوة الحق تكبراً وعنادا بقولهم لرسول الله هود عليه السلام : ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴾ وعندها استحقوا نزول سخط الله تعالى فأهلكهم جل وعلا بما سخر عليهم من الريح العاتية وأبادهم عن آخرهم وما ينتظرهم فى الآخرة أشد وأنكى ، عندها يعرف المرء سوء عاقبة الإعراض عن الموعظة ويعلم أن العزة والقوة لله وحده وأنه لا ينجى من سخطه وأليم عقابه إلا الإيمان واليك بعضاً من كلام أهل العلم فى تفسير الآية الكريمة :

بعد أن وضح ابن عطية مدلول الآيات التى ذكر بها هود عليه

---

(١) سورة الشعراء الآية (١٣٦) .

السلام قومه عاد قال :

١- (وكانت مراجعتهم أن سووا بين وعظه وتركه الوعظ) [1] .

٢- وقال القرطبى فى بيان قولهم له :(كل ذلك عندنا سواء لا نسمع منك ولا نلوى على ماتقوله) [2] .

٣- ويقول النسفى : (أى لا نقبل كلامك ودعوتك وعظت أم سكت ولم يقل : أم لم تعظ لرءوس الآى) [3] .

٤- ويضيف ابن كثير لجواب هؤلاء الكفرة لهذا النبى أجوبة مماثلة لقوم تشابهت قربهم بهم فيقول:

(يقول تعالى مخبرا عن جواب قوم هود له بعد ما حذرهم وأنذرهم ورغبهم ورهبهم وبين لهم الحق ووضحه : (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) : أي لا نرجع عما نحن عليه ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [4] .

وهكذا الأمر فإن الله تعالى قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [5]. وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ الآية [6] [7] .

٥- ويقول الشوكانى : (أى وعظك وعدمه سواء عندنا لا نبالى بشىء منه ولا نلتفت إلى ما تقوله) [8] .

ومن تفسير الألوسى فى قولهم فى الآية الكريمة :

﴿ سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ﴾

---

(١) المحرر الوجيز ١٣٧/١١

(٢) القرطبى ١٢٥/١٣ .

(٣) النسفى ١٩١/٣ .

(٤) سوة هود الآية (٥٣).

(٥) سوة البقرة الآية (٦) .

(٦) سوة يونس الآية (٩٦).

(٧) ابن كثير ٣٤٢/٣ .

(٨) فتح القدير ١١١/٤.

١) فإنا لا نرعوى عما نحن عليه، قالوا ذلك على سبيل الاستخفاف وعدم المبالاة بما خوفهم به عليه السلام .

٢) وعدلوا عن : أم لم تعظ الذى يقتضيه الظاهر للمبالغة فى بيان قلة اعتداداهم بوعظه عليه السلام لما فى كلامهم على ما فى النظم الجليل من استواء وعظه والعدم الصرف البليغ وهو عدم كونه من عداد الواعظين وجنسهم ....أى سواء علينا أوعظت أم استمر انتفاء كونك من زمرة من يعظ انتفاء كاملا بحيث لا يرجى منك نقيضة)[١] .

وقد بوب البخارى فى كتاب الأنبياء بقوله : (باب قول الله تعالى : ﴿ وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون ﴾ [٢] .

وأورد حديث ابن عباس بعد ذكر آيات تبين مآل إليه حالهم بعد تكذيبهم لنبيهم فقال : عن ابن عباس ﵄ عن النبى ﷺ قال : (نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور) .

وجاء فى آخر حديث المارقة من خوارج هذه الأمة قول النبى ﷺ : (لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد) [٣] .

٣) قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) ﴾ [٤] .

ملخص تفسير الآية الكريمة :

١ـ افتخار اليهود فى عهد النبى ﷺ بطاعة الله تعالى فى أمره لهم بقتل أنفسهم ليتوب عليهم من عبادة العجل ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ

---

(١) روح المعانى ١١١/١٩ .
(٢) سورة هود آية (٥٠).
(٣) انظر فتح البارى ٣٧٦/٦ ، ٣٧٧ .
(٤) سورة النساء آية (٦٦).

﴿ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٥٤) ﴾(١) .

٢- معافاة الله تعالى للأمة المحمدية من تكليفها قتل أنفسها طلباً للتوبة كما فعل بقوم موسى عليه السلام .

٣- وثبوت الإيمان فى هذه الأمة حتى إن رجالاً منها قالوا : (لو أمرنا لفعلنا ، والحمد لله الذى عافانا) .

وقول النبى ﷺ : (إن من أمتى رجالاً الإيمان أثبت فى قلوبهم من الجبال الرواسى ، وقوله : (الإيمان أثبت فى قلوب الرجال من الجبال الرواسى) .

ومن هؤلاء الرجال أبو بكر وعمر وعمار وابن مسعود .

(وقد ترك المهاجرون بيوتهم خاوية وخرجوا يطلبون بها عيشة راضية) .

٤- من فعل ما يوعظ به كان ذلك خيراً له فى الدنيا والآخرة وأثبت له على الحق وحصول الأجر العظيم الجزيل من الله تعالى(٢) .

٥- ومن لم يفعل ما وعظ به لا يكون ذلك خيراً له فى الدنيا ولا فى الآخرى بل يلقى مصير المعرضين عن موعظة الله تعالى وهو الهلاك والعذاب والمسخ والتنكيل .

(قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : ولو أن هؤلاء المنافقين الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وهم يتحاكمون إلى الطاغوت ، ويصدون عنك صدودا (فعلوا ما يوعظون به) يعنى : مايذكرون به من طاعة الله والانتهاء إلى أمره (لكان خيرا لهم) فى عاجل دنياهم ، وآجل معادهم (واشد تثبيتا) ، وأثبت لهم فى أمورهم ، وأقوم لهم عليها .

---

(١) سورة البقرة آية (٥٤). (٢) روح المعانى ١١/١٣٩ ، ١٤٠.

وذلك أن المنافق يعمل على شك ، فعمله يذهب باطلا وعناؤه يضمحل فيصير هباء ، وهو بشكه يعمل على وناء وضعف . ولو عمل على بصيرة، لا كتسب بعمله أجرا ، ولكان له عند الله ذخرا ، وكان على عمله الذى يعمل أقوى ولنفسه أشد تثبيتا، لإيمانه بوعد الله على طاعته، وعمله الذى يعمله) (١) .

ويشرح ابن عطيه معانى كلمات الآية كقوله تعالى : و﴿ كتبنا ﴾: معناه : فرضنا ، و ﴿ اقتلوا أنفسكم ﴾ : معناه : ليقتل بعضكم بعضا .... ثم يقول : (وسبب الآية على ما حكى أن اليهود قالوا : لما لم يرض المنافق بحكم النبى عليه الصلاة والسلام : ما رأينا اسخف من هؤلاء يؤمنون بمحمد ويتبعونه ، ويطؤون عقبه ، ثم لا يرضون بحكمه .

ونحن قد أمرنا بقتل أنفسنا ففعلنا ، وبلغ القتل فينا سبعين ألفا فقال ثابت بن قيس : لو كتب ذلك علينا لفعلناه، فنزلت الآية معلمة حال أولئك المنافقين، وأنه لو كتب ذلك على الأمة لم يفعلوه وما كان يفعله إلا قليل مؤمنون محققون ، كثابت وغيره.. وقوله تعالى: ﴿ ولو أنهم فعلوا ﴾ : أى لو أن هؤلاء المنافقين اتعظوا وأنابوا لكان خيراً لهم . و(تثبيتا) : معناه: يقينا وتصديقا ونحو هذا ، أى يثبتهم الله) (٢) .

ويوجز ابن العربى تفسير الآية الكريمة فى مسألتين الأولى ما روى فى سبب نزولها ، ومن نسب إليهم القول من الصحابة رضوان الله عليهم أنه لو كتب على هذه الأمة أن تقتل أنفسها لفعلت ، وما روى عن النبى ﷺ من ثبوت الإيمان فى رجال من هذه الأمة إلى أن قال: (المسألة الثانية: حرف (لو) : تدل على امتناع الشىء لامتناع غيره، فأخبر الله سبحانه أنه لم يكتب ذلك علينا لعلمه بأن الأكثر ما كان يمتثل ذلك

(١) الطبرى ٨/٥٢٥ ، ٥٢٩ .

(٢) المحرر الوجيز ٤/١٢٣ ، ١٢٤وقارن بما فى القرطبى ٥/ ٢٧٠ .

فتركه رفقا بنا ، لئلا تظهر معصيتنا، فكم من أمر قصرنا عنه مع خفته، فكيف بهذا الأمر مع ثقله ؟ .

أما والله لقد ترك المهاجرون مساكنهم خاوية وخرجوا يطلبون بها عيشة راضية والحمد الله) [١] .

ومن الذين فسروا هذه الآية الكريمة بالآثار الواردة فيها وأسندوها الإمام ابن كثير حيث يقول :

(يخبر تعالى عن أكثر الناس أنهم لو أمروا بما هم مرتكبونه من المناهى لما فعلوه لأن طباعهم الرديئة مجبولة على مخالفة الأمر، وهذا من علمه تبارك وتعالى بما لم يكن أو كان فكيف كان يكون، (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) : أى ولو أنهم فعلوا ما يؤمرون به ، وتركوا ما ينهون عنه ، (لكان خيراً لهم) : أى من مخالفة الأمر وارتكاب النهى) [٢] .

ويضيف الشوكانى : (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) : من اتباع الشرع والانقياد لرسول الله ﷺ (لكان) : ذلك (خيرا لهم) : فى الدنيا والآخرة (وأشتد تثبيتا) : لأقدامهم على الحق فلا يضطربون فى أمر دينهم) [٣] .

٣ـ قال الله تعالى : ﴿ وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون ﴾ [٤] .

---

(١) أحكام القرآن ١/٤٥٦ ، ٤٥٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/٥٢١ ، ٥٢٢ .

(٣) فتح القدير ١/٤٨٥ وقارن بما فى الألوسى ـ روح المعانى ٥/٧٢ ، ٧٣ .

(٤) سورة الأعراف الآية (١٦٤) .

تفسير الآية الكريمة :

إن الصراع بين الحق والباطل سنة من سنن الله تعالى إذ الخير والشر فى نفوس الناس دائما فقوم نشؤا على الطاعة والفضيلة ، وطائفة أخرى كأنما غرس فيها الشر والعصيان ، لذا لابد أن يحدث بين أهل الخير والشر صراع ، فهؤلاء يريدون الإصلاح وأولئك يطلبون الإفساد ، ومن صور ذلك ماتضمنته هذه الآية الكريمة إذ خرجت جماعة على حدود الله تعالى واستسهلت المعصية بدافع الطمع والشهوة فتصدت لها طائفة صالحة مصلحة بالوعظ والتخويف والترغيب والترهيب لعل وازع الخير والإيمان يستيقظ فى نفوسها ، وكانت طائفة ثالثة أو جماعة من الصالحة الناهية قد ايست من اهتداء هؤلاء العصاة ، واستقر عندها أن الله يمهل ولا يهمل وأن الهلاك حال بالقوم لا محالة ، لذا لا طمع فى الهداية لها ، وعليه فلا ينبغى تضييع الوقت فى وعظها وعظاً لا ترجى من ورائه فائدة ، ويختلف الناس فى درجات التحمل والصبر على مشاق الدعوة والأذى فيها وطول النفس والأمل فقوم يتسلل إليهم اليأس والملل بسرعة وآخرون لا ينقطع أملهم ولا يملون حتى يأتى أمر الله .

وقد اعتنى المفسرون رحمهم الله بهذه الآية الكريمة فرووا ماجاء فيها عن علماء الصحابة فمن بعدهم رضوان الله عليهم .

ونختار من ذلك ما له صلة بهذا الكتاب المبارك إن شاء الله ..

قال ابن جرير محللاً ألفاظ الآية الكريمة :

(قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ واذكر أيضاً يا محمد: (إذ قالت أمة منهم ، جماعة منهم لجماعة كانت تعظ المعتدين فى السبت، وتنهاهم عن معصية الله فيه ، ﴿ لمتعظون قوما الله مهلكهم ﴾ ، فى الدنيا بمعصيتهم ، وخلافهم أمره ، واستحلالهم ما حرم عليهم :

﴿ أومعذبهم عذابا شديدا ﴾ ، فى الآخرة ، قال الذين كانوا ينهونهم عن معصية الله مجيبيهم عن قولهم : عظتنا إياهم معذرة إلى ربكم ، نـؤدى فرضه علينا فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ﴿ ولعلهم يتقون ﴾ يقول : ولعلهم أن يتقوا الله فيخافوه ، فينيبوا إلى طاعته ، ويتوبوا من معصيتهم اياه ، وتعديهم على ما حرم عليهم من اعتدائهم فى السبت) إلى أن قال : (واختلف أهل العلم فى هذه الفرقة التى قالت : ﴿ لم تعظون قوما الله مهلكهم ﴾ ، هل كانت من الناجية أم من الهالكة ! فقال بعضهم : كانت من الناجية ، لأنها كانت هى الناهية الفرقة الهالكة عن الاعتداء فى السبت ، ثم أورد رحمه الله روايات عكرمة عن ابن عباس ﷺ فى قصة هؤلاء اليهود الذين افترقوا فى أمر اصطياد السمك بالحيلة يوم السبت وأكله فى غير اليوم المحرم عليهم اصطياده فيه ابتلاء من الله تعالى لهم وأن الشيطان زين لهم هذه الحيلة حتى فشت فيهم وأعجز الصالحين منهم رد الفاسدين المعتدين وخوف ابن عباس ﷺمن أن يكون مثل الفرقة الساكتة حيث إنه يرى أشياء ينكرها بقلبه ولا يأمر فيها بشىء والله تعالى يقول : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ﴾ [1]. قال ابن عباس ﷺ : (لا أسمع الفرقة الثالثة ذكرت نخاف أن نكون مثلهم) [2].

وقال ﷺ : (فأرى اليهود الذين نهوا قد نجوا ، ولا أرى الآخرين ذكروا ، ونحن نرى أشياء ننكرها فلا نقول فيها) [3]. لكن تلميذه عكرمه مولاه قال له : (جعلنى الله فداك ، ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه ، وخالفوهم وقالوا : (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو

(١) سورة الأعراف الآية (١٦٥) . (٢) الطبرى ١٣/١٨٨ .
(٣) نفسه ١٩٠ ، ١٩٤ .

معذبهم) قال : فأمر بى فكسيت بُردين غليظين) .

ولئن كان ابن عباس يخشى على نفسه من المسخ كالذين عتوا عما نهوا عنه من اليهود لنحن وكثير من علمائنا أحق بالخوف ، ولكنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ، والصدور خربة من الخشية والبكاء الذى حصل لابن عباس لتفهمه لكتاب الله تعالى ، عامرة بحب الدنيا وذلك حجاب كبير . ولئن كان هذا التلميذ النجيب بصر شيخه بالحوار الهادى أن الذين خاف عليهم وعلى نفسه من الهلاك مثلهم قد نجوا ، فإن طائفة من العلماء ترى أنهم قد هلكوا مع الهالكين ومسخوا قردة خاسئين .

قال ابن جرير فى روايات يبين بها أن لابن عباس وغيره من العلماء روايات أخرى تقول بهلاك ومسخ غير الناهية التى صرح القرآن بنجاتها : (وقال آخرون : بل الفرقة التى قالت : (لم تعظون قوما الله مهلكهم) ، كانت من الفرقة الهالكة) قال ابن عباس : « كانوا ثلاثا : ثلث نهوا ، وثلث قالوا : (لم تعظون قوما الله مهلكهم) ، وثلث أصحاب الخطيئة ، (نجا الناهون ، وهلك الفاعلون، ولا أدرى ما صنع بالساكتين) .

وبسند الطبرى قال : عن أيوب قال ، تلا الحسن ذات يوم : واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر إذ يعدون فى السبت ﴿ إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كنوا يفسقون ﴾[1]، فقال : حوت حرمه الله عليهم فى يوم ، وأحله لهم فيما سوى ذلك، فكان يأتيهم في اليوم الذى حرمه عليهم كأنه المخاض لا يمتنع من أحد، وقلما رأيت أحدا يكثر الاهتمام بالذنب إلا واقعه ، فجعلوا يهتمون ويمسكون حتى أخذوه ، فأكلوا أو خم أكلة أكلها قوم قط ،

(١) سورة الأعراف الآية (١٦٣) .

أبقاه خزيا في الدنيا ، وأشده عقوبة فى الآخرة وأيم الله ، ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مؤمن ، وللمؤمن أعظم حرمة عند الله من حوت ولكن الله جعل موعد قوم الساعه ﴿ والساعة أدهى وأمر ﴾ [1][2] .

ويقول القاضى ابن العربى : (المسألة الخامسة : لما فعلوا هذا نهاهم كبراؤهم ، ووعظهم أحبارهم فلم يقبلوا منهم ، فاستمروا على نهيهم لهم ، ولم يمنع من التمادى على الوعظ والنهى عدم قبولهم ، لأنه فرض قبل أو لم يقبل ، حتى قال لهم بعضهم : (لم تعظون قوما الله مهلكهم) يعنى فى الدنيا ، (أو معذبهم عذابا شديدا) فى الآخرة قال لهم الناهون : معذرة إلى ربكم ، أى نقوم بفرضنا ، ليثبت عذرنا عند ربنا) [3] .

قال ابن عطية : (قال جمهور المفسرين : إن بنى إسرائيل افترقت ثلاث فرق ، فرقة عصت وصادت ، وفرقة نهت وجاهرت وتكلمت واعتزلت ، وفرقة اعتزلت ولم تعص ولم تنه .

وأن هذه الفرقة لما رأت مجاهرة الناهية وطغيان العاصية وعتوها قالت للناهية : ﴿ لم تعظون قوما ﴾ يسريدون العاصية ﴿ الله مهلكهم أو معذبهم ﴾ على غلبة الظن وما عهد من فعل الله حينئذ بالأمم العاصية فقالت الناهية : موعظتنا معذرة إلى الله [4] .

وبعد أن بين القرطبى معنى الآية التى قبل هذه الآية وما جاء فيها من أمر الله تعالى لنبيه ﷺ سؤال اليهود فى زمنه عن حال أسلافهم فى القرية المسئول عنها قال :

---

(١) سورة القمر الآية (٤٦) .

(٢) الطبرى ١٣/١٩٦ ، ١٩٧ .

(٣) أحكام القرآن ٢/٧٩٧ .

(٤) المحرر الوجيز ٦/١١٦ ، ١١٧ .

١ـ أى وأسأل اليهود الذين هم جيرانك عن أخبار أسلافهم وما مسخ الله منهم قردة وخنازير. وهذا سوآل تقرير وتوبيخ . وكان ذلك علامة لصدق النبى ﷺ، إذ أطلعه الله على تلك الأمور من غير تعلم، وكانوا يقولون : نحن أبناء الله وأحباؤه ، لأنا من سبط خليله إبراهيم ، ومن سبط إسرائيل وهم بكر الله (زعمت اليهود أن الله عز وجل أوحى إلى إسرائيل أن ولدك بكرى من الولد) ومن سبط موسى كليم الله ، ومن سبط ولده عزيز ، فنحن من أولادهم . فقال الله عز وجل لنبيه : سلهم يامحمد عن القرية ، أما عذبتهم بذنوبهم ، وذلك بتغيير فرع من فروع الشريعة ... وكان اليهود يكتمون هذه القصة لما فيها من السبة عليهم .

٢ـ وعلى القول بأن بنى إسرائيل افرقت فرقتين عاصية وناهية يقول القرطبى : (فعلى هذا القول إن بنى إسرائيل لم تفترق إلا فرقتين ويكون المعنى فى قوله تعالى : ﴿ وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا ﴾ أى قال الفاعلون للواعظين حين وعظوهم : إذا علمتم أن الله مهلكنا فلم تعظوننا ؟ فمسخهم الله قردة . ﴿ قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون ﴾ أى قال الواعظون : موعظتنا إياكم معذرة إلى ربكم ، أى إنما يجب علينا أن نعظكم لعلكم تتقون) [١] .

يفهم من كلام النسفى أنه يرى بنى إسرائيل لم تفترق إلا فرقتنين إذ يقول : (وإذ قالت أمة منهم) : جماعة من صلحاء القرية الذين أيسوا من وعظهم بعدما ركبوا الصعب والذلول فى موعظتهم لآخرين لا يقلعون عن وعظهم : (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا) ، وإنما قالوا ذلك لعلمهم أن الوعظ لا ينفع فيهم . (قالوا معذرة إلى ربكم) ـ معذرة ـ أى موعظتنا إبلاء عذر الي الله لئلا ننسب فى النهى عن المنكر إلى التفريط...أى وعظناهم للمعذرة (ولعلهم يتقون):

(١) القرطبى الجامع لأحكام القرآن ٣٠٦/٧ .

ولطمعنا فى أن يتقوا) [1] .

أما ابن كثير فمع جمهور المفسرين القائلين بأن القوم انقسموا إلى ثلاثة طوائف حيث يقول فى تفسير الآية الكريمة : (يخبر تعالى عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلى ثلاث فرق ، فرقة ارتكبت المحذور واحتالوا على اصطياد السمك ويوم السبت كما تقدم بيانه فى سورة البقرة وفرقة نهت عن ذلك واعتزلتهم ، وفرقة سكتت فلم تفعل ولم تنه ولكنها قالت للمنكرة : (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديدا) أى لم تنهون هؤلاء وقد علمتهم أنهم قد هلكوا واستحقوا العقوبة من الله فلا فائدة فى نهيكم إياهم ؟.

قالت لهم المنكرة : (معذرة إلى ربكم) : قرأ بعضهم بالرفع كأنه على تقدير هذا : معذرة، وقرأ آخرون بالنصب أى نفعل ذلك: (معذرة إلى ربكم) : أى فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (ولعلهم يتقون) : يقولون : ولعل لهذا الإنكار يتقون ماهم فيه ويتركونه ويرجعون إلى الله تائبين فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم) [2] .

وبهذا النقول المفسرة لهذه الآية الكريمة وقصتها يتضح أن عاقبة الإعراض عن الموعظة وخيمة ، وأن السكوت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فاعلة إن لم يكن من الهالكين فإنه يهمل ولا يذكر مع الناجين والحمد لله رب العالمين .

٤- قال الله تعالى : (أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولاً بليغا) [3] .

قد فسر النسفى هذه الآية الكريمة بقوله : (أولئك الذين يعلم الله ما

---

(١) تفسير النسفى ٢/ ٨٢ ، ٨٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢/٢٥٧ وقارن بما فى الألوسى ٩/ ٩١ ، ٩٢ وفتح القدير ٢/٢٥٧ .

(٣) سورة النساء الآية (٦٣).

فى قلوبهم) من النفاق .

(فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولاً بليغا) : فأعرض عن قبول الأعذار وعظ بالزجر والإنكار ، وبالغ فى وعظهم بالتخويف والإنذار) وأعرض عن عقابهم وعظهم فى عتابهم وأبلغ كنه ما فى ضميرك من الوعظ بارتكابهم ، والبلاغة أن يبلغ بلسانه كنه ما فى جنانه و (فى أنفسهم) : يتعلق (بقل لهم) : أي (قل لهم) : فى معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم) [١].

تفسير الآية الكريمة :

المنافقون :

١- يزعمون الإيمان بالنبى ﷺ

٢- اليهود يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل قبل النبى ﷺ

٣- والمنافقون يريد أن يتحاكم فِي أموره إلى الطاغوت بدلاً من التحاكم على رسول الله ﷺ لأنه يريد حكماً ظالما يقبل الخيانة فى الحكم والرشوة فى القضاء .

٤- وقد أمروا أن يكفروا به أى الطاغوت .

٥- لأنه شيطان وطريق الكفر والعصيان والضلال البعيد .

٦- المنافقون لايخفون إعراضهم عن منهج الله والاعتراض على التحاكم على الكتاب والسنة .

٧- وهم أيضاً لا يتورعون عن الإيمان الكاذبة وادعاء إرادة الإصلاح وفيق بين المناهج والآراء والخصوم وحل المشاكل والقضايا

---

(١) تفسير النسفى ١/٢٣٣ وقريب منه ما فسرها به الألوسى انظره/٦٩ وقارن بما فى فتح القدير ١/٤٨٣

(وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى) [1] .

٨ـ تخويف الله تعالى لهم بعلمه المحيط بما تكنه صدورهم وما انطوت عليه قلوبهم مما يخالف ما يظهرونه من الكذب والإيمان بإرادة الإحسان [2] .

٩ـ تكذيب الله لهم بأمره لنبيه ﷺ بالإعراض عنهم وعدم قبول أكاذيبهم وعدم الاشتغال بهم وتضييع الوقت فى محاولة استصلاحهم .

١٠ـ أمر الله تعالى لنبيه ﷺ بعد الإعراض عنهم وعدم قبول اعتذارهم أن يستثير فيهم وازع الدين ومقتضيات النخوة والمروءة بالتخويف بعذاب الله تعالى فى السر والخلاء ، والمبالغة لهم فى الزجر عما هم فيه من خبث الطوية وأن يكون قولاً يبلغ المراد فى الوعظ حتى يحصل به الانزجار والانكفاف وحتى يبلغ مبلغه من الأنفس المخاطبة به .

وبنحو ما لخصنا من القرطبى وابن كثير قال ابن جرير قبلهما :

قال : (قال ابو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : (أولئك) ؛ هؤلاء المنافقون الذين وصفت لك يا محمد ، صفتهم (يعلم الله ما فى قلوبهم) فى احتكامهم إلى الطاغوت ، وتركهم الاحتكام إليك ، وصدودهم عنك من النفاق والزيغ ، وإن حلفوا بالله : ما أردنا إلا إحسانا وتوفيقا « فأعرض عنهم وعظهم » ، يقول : فدعهم فلاتعاقبهم فى أبدانهم وأجسامهم ، ولكن عظهم بتخويفك إياهم بأس الله أن يحل بهم ، وعقوبته أن تنزل بدارهم ، وحذرهم من مكره ماهم عليه من الشك فى أمر الله وأمر رسوله (وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا) يقول : مرهم باتقاء الله

(١) سورة التوبة الآية (١٠٧) .

(٢) القرطبى ٥/٢٦٥ وابن كثير ٥١٩/١ .

والتصديق به وبرسوله ووعده ووعيده) [1].

ويتلخص من كلام ابن عطيه حول تفسير الآية الكريمة ما يأتى:

١ـ وقوله تعالى : ﴿ أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم ﴾ : تكذيب المنافقين المتقدم ذكرهم وتوعدهم ، أى فهو مجازيهم بما يعلم .

٢ـ ﴿ فأعرض عنهم ﴾ يعنى عن معاقبتهم ، وعن شغل البال بهم ، وعن قبول أيمانهم الكاذبة فى قوله : (يحلفون) .

٣ـ وليس بالإعراض الذى هو القطيعة والهجر، فإن قوله: (وعظهم) يمنع من ذلك .

٤ـ ﴿ وعظهم ﴾ معناه بالتخويف من عذاب الله وغيره من المواعظ.

٥ـ والقول البليغ اختلف فيه ـ فقيل : هوالزجر والردع والكف بالبلاغة من القول .

٦ـ وقيل : هوالتوعد بالقتل إن استداموا حالة النفاق قاله الحسن وهذا أبلغ ما يكون فى نفوسهم) [2].

---

(١) تفسير الطبرى ٨/٥١٥ .

(٢) المحرر الوجيز ٤/١١٨ ، ١١٩.

باب الموعظة بأهوال الآخرة
ووصية الناس بالتمسك بالكتاب والسنة

١- عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال رسول الله ﷺ : إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين) فأول الخلائق يكسى إبراهيم خليل الرحمن عزوجل قال : ثم يؤخذ بقوم منكم ذات الشمال قال ابن جعفر : وإنه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابى فيقال لى : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك لم يزالوا مرتدين أعقابهم منذ فارقتهم . فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ﴾ الآية إلى ﴿ أنت العزيز الحكيم ﴾ [(١)] .

مما تضمنه هذه الأحاديث :

١- عن ابن عباس قال : قام فينارسول الله ﷺ بموعظة فقال : يا أيهاالناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ﴾ ألا وإن أول الخلق يكسى يوم القيامة ابراهيم وإنه سيجاء بأناس من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فلأقولن أصحابى فليقالن لى : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فلأقولن كما قال العبد الصالح : ﴿ وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد ﴾ إلى ﴿ فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ . فيقال إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم) [(٢)] .

٢- عن ابن عباس قال : قام رسول الله ﷺ بالموعظة فقال : يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله عز وجل عراة قال أبو داود : حفاة غرلا

(١) مسند الإمام أحمد ١/٢٣٥ . (٢) مسند الإمام أحمد ١/٢٥٣ .

وقال وكيع ووهب : عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده ، قال : أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام وإنه سيؤتى قال أبو داود : يجاء . وقال وهب ووكيع : سيؤتى برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول رب أصحابى فيقال إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك . فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى ﴾ إلى قوله : ﴿ وإن تغفر لهم ﴾ الآية فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مدبرين ، قال أبو داود : مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ﴾ [١] .

٣ـ عن ابن عباس قال: قام رسول الله ﷺ بالموعظة فقال : يا أيها الناس إنكم محشرون إلى الله عراة غرلا ، ثم قرأ ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ إلى آخر الآية : قال : أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإنه سيؤتى برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول رب أصحابى فيقال إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿ وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلم توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإ تغفر لهم ﴾ الآية ، فيقال هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم) [٢] .

ومن حديث ابن ماجه عن :

٤ـ العرباض بن سارية يقول : قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فوعظنا موعظة بليغة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقيل يا رسول الله وعظتنا موعظة مودع فاعهد إلينا بعهد فقال : « عليكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشيا وسترون من بعدى اختلافاً شديداً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها

(١) سنن النسائى ، كتاب الجنائز ، ذكر أول من يكسى ٤/١١٧ .

(٢) هذا حديث حسن صحيح . سنن الترمذى . أبواب التفسير ، سورة الحج (٣٣٧٩) ٩/٦-٧ .

بالنواجذ وإياكم والأمور المحدثات فإ كل بدعة ضلالة » (1).

٥- (وعن العرباض بن سارية يقول : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقلنا يارسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا قال : تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك ، من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بما عرفتم من سنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ وعليكم بالطاعة وإن عبدا حبشيا فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيث قيد انقاد) وعنه قال : (صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح ، ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة فذكر نحوه) (2).

معانى الغريب :

حفاة : جمع حجاف وهو من يمشى بلا خف ولا نعل .

عراة : جمع عار من الثياب أى لا يستر أبدانهم شيء.

غرلاً : غير مختونين كما ولدتهم أمهاتهم .

ذرفت : أى سالت الدموع من مخافة الله وخشية عذابه

وجلت : خافت والوجل شدة الخوف .

النواجذ : الأضراس فى أقصى الأسنان بعد الأرحاء وللإنسان أربع نواجذ.

من فوائد هذه الاحاديث

١- قيام النبى ﷺ بمهمة الوعظ والتخويف من مشاهد يوم القيمه وهى من الأمور المغيب التى لاتعلم إلا بالوحى اهوال يوم القيامه يجب الايمان بما فى القرآن منها أو صح عن رسول الله ﷺ فى السنة المطهرة

---

(٢) ابن ماجه باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ١/١٩ - ٢٠ .

(٣) ابن ماجه نفس الباب ١/٢٠-٢١.

إن المؤمن باليوم الآخر وما فيه يجعله ذلك راغبا وراهبا وإن هذا الحديث تضمن ما يرغب المؤمن ويرهبه . إن توجيه الخطاب للصحابة ﭫ : إنكم محشورون إلى الله تعالى... فيه تخويف شديد لهم إذ هم أعلم الناس بصدق رسول الله ﷺ وشفقته عليهم ، ثم إن عبارة الحشر تعطى معنى عظيماً مهولا فى زهن الغافل فكيف بمن ترتعد فرائصه ويرجف قلبه منه دائما خاصة ! أن هذا الحشر إلى الله تعالى الذى يعلمون عظمته ويؤمنون بإحاطة علمه بهم واطلاعه عليهم

ومراقبته لهم وهم من أهل درجة الاحسان بعد الإسلام والإيمان. حفاة عراة غرلا : هذه الهيئات الثلاث العامة على الناس فى ذلك الموقف المهول تبعث المؤمن على مراقبة الله تعالى واستحضار عظمته إذ من يبعث الأولين والآخرين ويحشرهم فى صعيد واحد متساوون ، له القدرة التامة والأمر النفاذ فهو سبحانه يستحق التعظيم والمحبة وأن يخاف ويرجى ويعمل بطاعته ابتغاء ما عنده تبارك وتعالى .

٢- الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى إذ من قدر على ابتداء الشيء وإنشائه كان على الإعادة أقدر ، والله لا يعجزه شيء ولا تتفاوة مقدوراته ، فهو على كل شيء قدير.

٣- من ابتلى وصبر نال الإمامة وكرم من الله تعالى فى الدنيا والآخرة وهذا ما أراد النبى ﷺأن يعلمنا به عن خليل الحمن إبراهيم عليه السلام وفى ذلك إكرام له ﷺ حيث إنه هو أيضاً خليل الرحمن وخاتم الأنبياء المكرمين من رب العالمين .

٤- الصالحون يكسون ويحلون يوم القيامة وإبراهيم خليل الرحمن أولهم .

٥- النبىﷺ يهمه كثيرا أمر الآخرة ويعلن بلهجة المحذر المتحسر

أن ناساً من أمته ﷺ سيكون منهم مالا تحمد عقباه فى الدار الآخرة .

٦- النبى ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله تعالى وقد علمه المولى جل وعلا بأنه قوما من أمته غيروا وبدلوا بعده وهو وإن عرفهم بعلامة أمته المميزة لها عن الأمم الآخرين فإنه لا يعلم أن هؤلاء الذين يذادون دون حوضه ﷺ قد ارتكبوا ما يوجب طردهم وحرمانهم من رؤية نبيهم والشرب من حوضه الذى لا يظمأ من شرب منه أبدا .

٧- استشهاد الفاضل بقول المفضول فى مواطن الشدة والتبرىء من الحول والقوة ودفع الضر عن المذنبين المغيرين ذلك أن النبى ﷺ إنما وعد بالشفاعة والشهادة من صبر وتحمل الأذى فى سبيل الله تعالى ولم يركب الهوى ولم يدخل غمار الفتن .

٨- الله جل جلاله أعلم بحال عباده وهو الرقيب عليهم بعد بلاغ أنبيائه لهم أمور دينه .

٩- الأنبياء من أعظم عباد الله الصالحين لأن الصالح من أدى الواجبات وكف عن المنهيات وزاد بالنوافل حسب الاستطاعة .

١٠- الاستمرار فى الإدبار عن الحق واتباع الهوى فى الفتن والبدع يورث الندامة يوم القيامة ولات ساعة مندمى .

١١- أمر العصاة إلى الله تعالى إذا ماتوا على المعصية بدون توبة إن شاء الله تعالى عذبهم وإن شاء رحمهم فهم عباده العصاة.

١٢- كان ﷺ إذا وعظ أصحابه رضوان الله عليهم فرغبهم وخوفهم كأنما يرون مشاهد القيامة وما فيها من أهوال بين أيديهم ينظرون إليها ماثلة بين أعينهم ، وعندها كان الوجل الذى هو الخوف الشديد يلين القلوب ويذرف الدموع الغزيرة رغبا ورهبا، فيغطون وجوههم ولهم خنين من البكاء وكيف لا وهو الذى ملىء شفقة على

أمته وأعطى جوامع الكلم مع صدق اللهجة والبلاغة والفصاحة والبيان؟

١٣- المودع الناصح يعطيك خلاصة ما عنده ويصفى لك لباب تجاربه ويصارحك بالحقائق حتى تحس فى نفسك بسلامة فطرتك أن هذا الكلام محض نصح وحق لا غش فيه ولا أرب ، وهكذا الأنبياء دائماً امناء الله على وحيه ابتعثهم لإصلاح عباده ، ولا يكون الإصلاح إلا بمحض النصح والشفقة .

١٤- النبى ﷺ جاء مودعاً وبعث بين يدى الساعة وبه ختمت الرسالات من رب الأرض والسماوات ، لذا فقد نفض لأمته علوم الأولين والآخرين وشرح لهم أمور الدنيا والآخرة شرحا لم يسبق له مثيل فما ترك خيرا إلا دلنا عليه ولا شرا إلا حذرنا منه ولا أدبا إلا أدبنا به حتى قال أحد الصحابة رضوان الله عليهم أنه ﷺ ما توفى حتى ما ترك طائرا يحرك جناحيه فى السماء إلا أعطانا منه علما وحتى أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، وعليه فإنه إنماجاء مودعا .

١٥- يكثر من الصحابة رضوان الله عليهم أن يطلبوا من النبى ﷺ أن يعهد إليهم بوصية جامعة، وغالبا ما يفعلها هو ﷺ بدون طلب إذا وجد منهم أو من أحدهم استعداداً ونشاطاً لتحمل العلم وحفظه وتبليغه .

١٦- التقوى كلمة جامعة نافعة هى وصية الله تعالى للأولين والآخرين ، وجاء الحث على لزومها دائماً وعلى الإطلاق، لأن العاقل قد جعل الله فى فطرته وقلبه واعظا يميز به بين الحق والباطل والجميل والقبيح ويقوى ذلك الواعظ بالعلم والعمل ، لذا فكل ما يقى به الإنسان نفسه وأهله ومجتمعه من سخط الله تعالى وعذابه فهو من التقوى المطلوبة شرعاً وكل العقلاء يفهمونها ويعرفون المراد منها شرحت بأمثلة أم لم تشرح .

١٧- لماعلم النبى ﷺ ما كان عليه العرب من العصيان والنفور وتفرق الكلمة ، وعلم أنه لا صلاح للناس إلا بوحدة الكلمة واتباع قائد تجب عليهم طاعته والانقياد لأمره وسياسته التى تخالف شرع الله أمرهم بالسمع والطاعة وضرب لهم مثلا بالعبد الحبشى الذى اعتادوا أن يكون خادما تابعاً لا متبوعاً مطاعا على سبيل المبالغة .

١٨- وطن النبى ﷺ أمته على أن ساحتها ستشهد خلافا واختلافاً شديداً بدون تعيين المصيب من المخطىء لأن الدين قد كمل وهو المتبع فى الأحكام ومعرفة أهل الأهواء والبدع وناشرى الفتن والشغب بالعرض على الكتاب والسنة وهذا ما حثنا النبى ﷺ على التمسك به إذ هذه أصول الدين الذى يضل من حاد عنها ويقع فى عناء وبلاء وشدة .

١٩- الخلفاء الراشدون وإن كانوا غير معصومين فإن صحبتهم للنبى ﷺ وطول ملازمتهم له أورثتهم علما بالكتاب والسنة وجعلت اتباعهما جزءا من تكوينهما الروحى حتى صار الواحد منهم كأنما جبل على ذلك من خلقته لذا جاءت أعمالهم وسياساتهم كالشارحة للكتاب والسنة فكان ذلك كله من البيان الذى يجب اتباعه والتشريع الذى يجب التسليم له والعض عليه بالنواجذ التى هى أغلى وأقوى وأعمق فى التمكن فى رأس الإنسان .

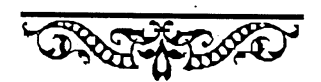
٢٠ ـ إن من أعظم أسباب الخلاف والاختلاف والحياد عن منهج الكتاب والسنة وهدى الأئمة الوقوع فى البدع الشرعية حيث إن المبتدع كالمستدرك على الشرع وهو فى الواقع يفتات عليه وكأنه يخون ببدعه حامل الرسالة وأمناء الأمة من بعده وهو مع ذلك فى ثوب أهل الإيمان والصلاح وحب الطاعة والإكثار من العبادة من هنا كانت البدع ضلالة، والضلالة فى النار ، لأنها إما محض شر أو غلب شرها على ما فيها من الخير والله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وهو أغنى الشركاء عن الشرك

ومن حاد عن الطريق الواضح فالهلاك مصيره .

٢١ـ من المعلوم أن المسلم المؤمن ينقاد للحق والخير إذا علم به ودل عليه والدين لا يأمر المؤمن إلا بما فيه خيرى الدنيا والآخرة وكماأن صاحب الجمل لا يقود جمله إلا إلى ما فيه له مصلحة أو منفعة أو دفع مفسدة فكذلك صاحب الشريعة يعلم مصالح العباد وما يفسدها عليهم فيقودهم إلى هذه المصالح وعن تلك المفاسد .

٢٢ـ الموعظة فى الصباح من ذلك الوجه الصبوح الذى يجلب لناظره الانشراح أثرها عظيم حيث القلوب مطمئنة والنفوس هادئة والخواطر صافية والفكر هادىء والبال فارغ ، لذا وقعت موقعها وأثمرت الخير الكثير فوقعت المخافة والخشية من الله تعالى فى القلوب ، ولانت وأطمأنت فكانت محلا للإيمان الخالص والرحمة والحنان فسالت الدموع واقشعرت الجلود ، فانتبهت وسائل التحصيل العلمى واستيقظت فطرة الخير فاشرأبت إلى المزيد من العلم النافع والعمل الصالح وبذلك تصلح الدنيا والآخرة .

وهكذا ينبغى للدعاة والعلماء اغتنام الأوقات المباركة حتى يزرعوا في نفوس عباد الله الخير والعلم والأخلاق والأدب ويرغبوهم فيما عند الله تعالى .



خاتمـــة

واقع الوعظ فى الحرم المكى الشريف

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى :

﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) ﴾ (٢) .

إنه لما كانت استفتاحيةهذا الكتاب المبارك بإذن الله تعالى بمواقف مصيرية واعظة من جوار بيت الله الحرام ناسب أن تكون خاتمته عن واقعة اليوم فى مجال الوعظ الذى ينم عن المواقف المصيرية لهذه الأمة المحمدية ايام هذه الصحوة الإسلامية المباركة وما تواجهه من معوقات واعداء الداء لا يقلون خطرا وشراسة عن اعداء الإسلام إبان البعثة المحمدية الخاتمة .

إن حظ جنبات الكعبة المشرفة من نشر العلم والوعظ والإرشاد والتوجيه عبر العصور الإسلامية الماضية وافر وقوى جدا ولكنه مع ذلك يساير الحياة العلمية والسياسية للأمة الإسلامية قوة وضعفا إذ إن الثمرات التى تجبى إلى هذا البلد الأمين ينبغى أن تكون على أعلى مستويات الإنتاج وخصوصا فى المجال العلمى والوعظ الإصلاحى ، ولكن الثمار تابعة لقوة ريها وصلاح تربتها وبيئتها .

ولما كانت المواقف الأولى قوية الرى طيبة التربة اعطت للأمة فى عقيدتها ومنهج حياتها فى الإسلام دفعة قوية عاشت بها فترات من الزمان قوية النشاط عالية الهمة والرؤس صالحة القلوب أبية النفوس .

ولما كانت هذه الأيام تسود المعمورة فيها صراعات قوية من اجل

---

(١) سورة آل عمران آية ٩٦ . (٢) سورة القصص آية ٥٧

الهيمنه والبقاء هيأ الله تعالى لهذه الأمة الخالدة صحوة سلفية ميمونة مباركة تنطلق من منابع الوحى الاساسية الكتاب والسنة وتنطلق كذلك من بلاد الوحى وتتمركز فى مصادر قوة الإسلام البشرية فى شبة الجزيرة العربية باعثة اضواءها الكاشفة وأشعتها المشخصه لكل ادواء الأمة إلى نواحى المعمورة .

وإن أعم عطاءات هذه الصحوة نفعا للعالم قاطبة ما كان منبعثا من الحرمين الشريفين لأن قلوب العباد تهفوا إليهما وارواح المسلمين متعلقة بها ونفوسهم تتطلع الى ما يدور فيهما وحولهما .

لذا فإن المسلم لابد أن يتأثر بما يدرس ويعلم فى جنباتهما من العلوم والمعارف وما يخطب به على منابرهما من وعظ وارشاد وتوجيه ذلك أنه لابد إن لم يحج أن يقابل من حج أوزار واعتمر ، أو رجع من رحلة علمية فى هذه الربوع الميمونة ، أو يتابع إذاعة القرآن الكريم ببرامجها وتلاواتها أو يستمع إلى إذاعة نداء الإسلام من جوار الكعبة المشرفة وما تبثه للمسلمين من برامج وأخبار تهمهم جميعا .

وباختصار فإن المطلع على حياة الوعظ والإرشاد فى جوار البيت العتيق يفرح بتعدد الوعاظ والمدرسين وسلامة عقيدتهم وقرب مأخذهم حيث يجلس فى حلقاتهم العالم والجاهل فيصحح العالم معارفة ويراجع أخطاءه العلمية والعقدية ، ويتعلم الجاهل من علوم الكتاب والسنة والفقه الصحيح بأدلته مع غرس حب السنة فى قلبه والنفور من البدع المنتشرة من حوله .

وإن أعظم وعاظ الحرم المكى الشريف أثرا على المسلمين أئمته [١] . حفظهم الله ورحم الميت منهم ووقى الأحياء آفات الوعظ والوعاظ وإن أعظم ما يوعظ به المسلم القرآن الكريم ـ وكفى بالقرآن واعظا ، فهم يسمعونه للمسلمين فى الصلوات الجهرية وفى شهر رمضان المبارك كل عام بأصوات خاشعة ونبرات مؤثرة وترتيل حسن يأسر النفوس ويحرك القلوب ويشرح الصدور ، إذ جمع بين حسن الأداء مع هيبة الوقت والمكان.

---

(١) وهم فضيلة الشيخ عبد الله المحمد الخليفى رحمه الله تعالى سكنت بجواره فكان لى نعم الجار أجاره الله بذلك من النار .

فصادف موقعا فى النفوس فاقشعرت الجلود ووجلت القلوب وذرفت العيون المدامع ، ورفعت الأكف بالتوبة والضراعه الى البر التواب العفو الرحيم .

وعند ذلك تنزل رحمة المولى جل جلاله على قلوب عباده فتتطلع الى تفهم خطابه ، تعلم احكام كتابه والاعتبار بقصصه ، والتأدب بآدابه، والتزام منهجه ، والدعوة إلى الأخذ به فى مناحى الحياة العلمية والعملية مع تحمل الأذى فى سبيل ذلك حيث إن القارىء والمستمع معاً قد بين الله لهما منهجاً لا محيد عنه لمن يريد الجنة بمسلك الأنبياء والدعاة إلى الله تعالى وهو أخذ الكتاب بقوة وتحصيل العلم به والتفقه فيه والدعوة إليه والصبر على الأذى فيه .

وإن المسلم الخاشع المتتبع للقارىء فى الحرم المكى لا يخرج من الصلاة إلا وقد فهم ما يطلب منه فى الآيات أو السور المقروءة حيث إن القراءة واضحة والوقوف مفهومه ، راعى فيها الإمام معانى الكتاب العزيز وما يدل عليه السياق الكريم من معانى القوة فى الوعيد ، وحسن العطاء اجزيل فى الوعد [١] . الكريم من الجواد العظيم جل جلاله وإن خطبهم التى يعدونها إعداداً متقناً يدل عليه قوة ترابطها وجمع أطرافها وحبك أسلوبها وتعاضد أدلتها مع التفاعل معها عند الأداء - تبث عبر الأثير حجة من الله اللطيف الخير على عباده فى جميع البلاد إذ تفعل فعلها فى الحاضر بين يدى الخطيب كما تعمله فى نفس المستمع لها فى الصين أو واشنطن .

وإن المسلم إذا سمع واعظا خطيبا تتوفر فى خطبته تلك العناصر المذكورة

---

(١) وفضيله الشيخ محمد بن عبد الله السبيل
- وفضيلة الشيخ سعود بن إبراهيم الشريم
- وفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد
- وفضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس
- وفضيلة الشيخ الدكتور عمر بن محمد عبد الله السبيل
- تنبيه : عندما كنت اكتب هذه الخاتمة فى الحرم المكى مساء يوم الأربعاء ١٤١٦/١١/٢هـ أقيمت الصلاة لفريضة المغرب وصلى بالناس الشيخ عبدالرحمن بن عبد العزيز السديس ، وقرأ فى الركعة الأولى بعد الفاتحة قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفى الآخرة لكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلا من غفور رحيم ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين.

وكانت تخاطب عقله وعواطفه وتحرك مشاعرة وتثير وجدانه وتنمى معلوماته وتعظ قلبه وتربى روحه وتصفى نفسه ولبه ثم لا يتفاعل معها ويحرص على سماعها والاستفادة منها والأخذ بما تأمر به أو تدل عليه أو ترشد إليه لمغبون فى عقله وناقص فى إيمانه .

وإن السياسى والمفكر والداعية المصلح والشاب النابه لعليهم مسئولة الأخذ بما تتضمنه تلك الخطب التى تعالج قضايا الأمة الحساسة وشئونها الأساسية وعلاقاتها بالآخرين وما يراد لها من تدمير وانحطاط وما يجب عليها من الاخذ بالحكمة والحيطة وحسن التدبير والعمل على جمع الكلمة ووحدة الصف والتآلف والتعاون والتكاتف والتكامل والتكافل.

وإذا كان الأثر الحسن العام قويا فاعلا فى مجالات الوعظ المتقدمة فى الحرم المكى الشريف فإن الدورس التى يقعد لها أئمة الحرم وغيرهم فى جنبات البيت العتيق لها هى الاخرى أثر بالغ وعام فى عقول أبناء المسلمين وتكوينهم العلمى وتربيتهم الدينية والفكرية والخلقية حيث انها تعتمد على الكتاب والسنة ومنهج السلف فى التربية والتعليم مع تمام المحبة المتبادلة والإخلاص لله والنصح لكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والحرص على تعليم أبناء المسلمين وإعدادهم إعدادا حسنا يناسب متطلبات الحياة الدنيا وما يجب أن يكون عليه المسلم من طاعة لله تعالى والأخذ بأسباب النجاة فى الدار الآخرة .. والله أعلم

هذا ونسأل الله تعالى أن يصلح قلوبنا ونياتنا وأعمالنا ويتقبل منا .

وصلى الله وسلم على نبينا وشفيعنا محمد ﷺ

وقرأ فى الركعه الثانيه بعد الفاتحة : ﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾ الايات من سورة فصلت (٣٠ ـ ٣٦)
وقد ادها كما أسلفت عن هؤلاء الأئمة من حسن الاداء وصدق اللهجة اثابهم الله ـ وذكرتها تفائلا بها وتنبيها على واعتمادها إن شاء الله تعالى منهجا أحتذيه وبالله التوفيق .

الفهرس